This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

+ *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.

+ *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.

+ *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.

+ *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at `http://books.google.com/`

al-Shirbīnī, Yūsuf ibn Muḥammad

Hazz al-quḥūf

هذا
كتاب
هز القحوف في شرح
قصيد ابي شادوف
للعلامة الشيخ يوسف
ابن محمد بن عبد الجواد
ابن خضر الشربيني
رحمه الله تعالى
وعفا عنا وعنه
آمين

al-Shirbīnī, Yūsuf ibn Muḥammad

Hazz al-quḥūf

هذا
كتاب
هزّ القحوف * فى شرح
قصيد ابى شادوف *
للعلامة الشيخ يوسف
ابن محمّد بن عبد الجواد
ابن خضر الشربينى
رحمه الله تعالى
وعفا عنّا وعنه
آمين

Top

al-Shirbīnī, Yūsuf ibn Muḥammad

Hazz al-quḥūf

هذا
كتاب
هز القحوف * فى شرح
قصيد ابى شادوف *

للعلامة الشيخ يوسف
ابن محمد بن عبد الجواد
ابن خضر الشربينى
رحمه الله تعالى
وعفا عنا وعنه
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرّف نوع الانسان بنطق اللسان * وخصّه بعموم الفضل والامتنان * وهيّاه لادراك حقائق المعرفة والبيان * وتوّجه بتاج الكرامة والبراعة والاتقان * وجعل الطّبائع مختلفة والاخلاق متباينة على ممرّ الازمان * وميّز صاحب الذوق السّليم بلطافة الذات وحلاوة اللسان * وخصّ اضداده بسوء الخلق وكثافة الطبع كعوامّ الريف اراذل الجدران * والصلاة والسلام على سيدنا محمّد المبعوث من افضل جرثومة العرب من عدنان * المخصوص بجوامع الكلم ولوامع التبيان * وعلى آله واصحابه الذين جعلهم الله لاقتطاف جواهر العلم افنان * صلاة وسلاما دائمين متلازمين فى كل وقت واوان * وبعد فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى كان الله له ورحم سلفه إنّ ممّا مرّ علىّ من نظم شعر الارياف * الموصوف بكثافة اللّفظ بلا اختلاف * المشابه فى رصّه لطين الجوالس * وجرى ذكره فى بعض المجالس * قصيد ابى شادوف * المحاكى لبعر الخروف وطين الجروف * فوجدته قصيدا يا له من قصيد * كانّه عمل من حديد * او رصّ من قحوف الجريد * فالتمس منى من لا تسعنى مخالفته * ولا يمكننى الا طاعته * ان اضع عليه شرحا كريش الفراخ * او غبار العفاش وزوابع السّباخ * يحلّ الفاظه السّخيمه * ويبيّن معانيه الذميمه * ويكشف القناع عن وجه لغاته الغشرويّة * ومصادره الفشكليه * ومعانيه الركيكه * ومبانيه الدكيكه * ومقاصده العبيطه * والفاظه المويطه * وان اتمّه بحكايات غريبه * ومسائل هباليّة عجيبه * وان اتحفه بشرح لغات الارياف * التى هى فى معنى ضراط النمل بلا اختلاف * واشعارهم المغترفه

[redacted]

من بحر التخابيط * واشتماق بعض كلماتها التى هى فى الصفات تشبه الشراميط * ووقائع وقعت لبعضهم باتفاق * فى القاهرة ومصر وثغر بولاق * وذكر فقهائهم الجهال * وعلمهم الذى يشبه ماء النخال * وفقرائهم الاجلاف * واحوال الاوباش منهم والاطراف * وذكر نسائهم عند الهراش * وملاعبتهن فى الفراش * التى هى شبيه نط القرود * او بربرة الهنود * وان اورد بول كلام المتن بمعنى اذا ذقته ايها السامع يحكى طعم البول * واذا اقتطفت من يانع ثمار لفظه ايها الناظر فكانك قد قطفت زبل الغول * واذا نظرت الى اشعاره فكانها رض القلقيل * واذا تاملت عفاشة كلامه فكانك تلوك زبل الخيل * وان اصرح فيه ببعض نكتات غزليه * وحكم هباليه * على سبيل المجون والخلاعه * والدبدبة والصقاعه * حتى يشتهر شرح هذا القصيد * من دمياط الى الصعيد * وارجو ان لا يخلو منه اقليم بل ولا بلد من بلاد العبيد * وقل ان يخلو سامعه من تواتر الالفاظ التى كالولايش * وربما اعترى قارئه ضرب من الطراش * فهو ان مر على المسامع يمر كالريح * وان مجه الطبع كالمرض للصحيح * كما قال الشاعر الفصيح * الملتقط شعره من الدر الوضيح *

اذا حققت ان اللفظ صوت * وان الصوت معنى يا فصيح *
فحقق ان تأليفى كلام * تلذ به المسامع وهو ريح *

وفى المثل فى البحر سمك يفسى نارا لو كان الماء يطفيه * فالهذا كلام اسمعه والا خليه * ولا باس بوصف هذا الشرح بابيات * كانها بول البنات * فاقول

كتاب قد حوى فن الولايش * كتاب قد اتى مثل الفرايش
كتاب فيه اوراق وحبر * وقول صادق مع قول لايش
وفيه يا اخى من كل معنى * اذا ما ذقته طعم العفايش
والفاظ به تحكى لبول * عليها رونق مثل العمايش
وفيه مسائل حازت هبالا * عليها سابل مثل العمايش
وفيه النظم شبه الطوب رصا * وفيه مسائل جاءت بلايش
اذا طالعته حقا وصدقا * فلا تأمن سريعا من طرايش

(RECAP) 874 1276 341

وكل هذا المناسبة الفاظ القصيد * وحل معانيه التي تحكي قحوف الجريد * فالشارح لا يخرج عن كلام الماتن * كما هو عادة القاطن في هذا الفن والظاعن * فياله من شرح لو وضع على الجبل لتدكدك * ولو نقش على عامود الصواري لتحرك * ولو مس به حجر لتشطى * ولو ألقي في اليم لتكدر * فهو جدير بأن يرقم ببول الجحوش على جدران الكنائس * وحقيق بأن يسطر على بيوت الاخلية ببول العرائس * وأن يلقى على روس المزابل * وأحق بأن يرقم على جدران المكاسل * فهو شرح عديم النظير في الكثافه * لكونه في معنى اوصاف الريافه * وليس له شبيه في الثقاله * لكونه في وصف ذوي الرذاله * واعلم ان كل شرح لابد له من اسم يناسبه * وعلم عليه يقاربه * (وقد سميت) هذا الشرح هز القحوف * بشرح قصيد ابي شادوف * وأطلب من القريحة الفاسده * والفكرة الكاسده * الاعانة على كلام أعرفه من بنات الافكار * وأسطره في الاوراق من فشار * وان يكون من نحو الخرافات * والامور الهباليات * والخلاعة والمجون * وشيء يحاكي كلام ابن سودون * فقد يلتذ السامع بكلام فيه الضحك والخلاعة * ولا يميل الى قول فيه البلاغة والبراعة * لأن النفوس الآن متشوقة الى شيء يسليها من الهموم * ويزيل عنها وارد الغموم * (وفي هذا المعنى شعر) *

ففي مذهبي أن الخلاعة راحة * تسلي هموم الشخص عند انقباضه

وزماننا هذا لا يعيش فيه الامن صنع طرف من التمسخر والخلاعه * والدبدبة والصقاعه * ولهذا قال الشاعر *

مات من عاش بالفصاحة جوعا * وحظي من يقود أو يتمسخر

وقد تساق الارزاق * لمن لا يدرك الخط في الاوراق * ويحرم صاحب البلاغه * ولا يجد من القوت بلاغه * ولهذا قال الشاعر *

رزق التيوس يجيبها بسهولة * وذوو الفصاحة رزقهم مسجون
ان كان حرماني لاجل فصاحتي * امنن علي من التيوس اكون

وقال البوصيري الاديب رحمه الله تعالى مواليا

رب الفصاحة عديم الذوق يقف ابلم * والابلم التيس مصدر ومتعظم
يارب ان كان حرمانى كما تعلم * امنن على اكون تيس ابن تيس ابلم *

(وقال ابن الراوندى)

ياقاسم الرزق كم ضاقت بى القسم * ما انت متهم قل لى من اتهم
تعطى اليهود قناطيرا مقنطرة * من اللجين ورجلى ما لها قدم
اعطيتنى حكما لم تعطنى ورقا * قل لى بلا ورق ما تنفع الحكم

فالشخص يكون مع زمانه بحسب حاله * ويدارى وقته بما يناسب لاحواله * ويكون حذرا من دهره وصولته * ويرقص للقرد فى دولته * ويعاشر الناس على قدر احوالهم * ويدور معهم وينسج على منوالهم * ويندرج فى مدارج خلاعاتهم * ويظهر فى مظاهر براعاتهم * كما قال بعضهم

ودارهم مادمت فى دارهم * وحيهم مادمت فى حيهم * واحسن العشرة مع بعضهم * يعنك الكل على بعضهم *

وقيل ان بعض الملوك مات امامه فقال لوزيره وخواص دولته انظروا لنا اماما يكون ورعا زاهدا فيه لين وهدء نفس فاجتمع رأيهم على رجل بالمدينة فيه هذه الاوصاف الا انه فقير الحال فقال الملك على به فلما حضر بين يديه اكرمه وعظمه واعلى منزلته وصيره ارفع من وزرائه واجرى عليه النعم فلما راى نفسه فى هذه الحالة تعاظم على ابناء جنسه واحتقرهم وترك مداراة الناس ولم يعتبرهم واحتقر ارباب الدولة * فاتفق رأيهم على مكيدة يهلكونه بها فلما كان يوم الجمعة واراد الملك ان يصلى فى بعض المساجد ارسل السجادة ففرشت له فى ذلك المسجد فدخل وجلس عليها هو وذلك الامام وكان اتفاقهم على ذلك انهم اصطنعوا صورة صليب صغير من الذهب والجوهر واعطوه لرجل من خواص الملك ممن يكتم السر وجعلوا له جعلا وقالوا له ضعه تحت جبهة الامام بحيث انه لا يشعر بك احد ففعل ذلك فلما فرغ الناس من صلاة الجمعة واراد الملك الانصراف اخذ الفراش السجادة فرأى الصليب فعرضه على الملك فانكره وقال لارباب دولته ما هذا الامر فانه قد رؤى هذا الصلي

تحت جبهة الامام فقالوا هذا كافر ومستتر علينا فغضب الملك وامر بقتله فلما مرت جنازته انشد بعضهم يقول *

(كان والله تقيا صالحا * منصفا عدلا وما قط اتهم) فاجابه آخر بقول (كان لايدري مداراة الورى * ومداراة الورى امر مهم) فالسلامة في مداراة الناس * وحسن الانطباع معهم بلطف الايناس * وان يكون الشخص متنقلا في اطوارهم * دائرا تحت فلك ادوارهم * كما صرحت بذلك في بعض الابيات

فطورا تراني عالما ومدرسا * وطورا تراني فاسقا فلفوسا
وطورا تراني في المزار عاكفا * وطورا تراني سيدا ورئيسا
مظاهر انس ان تحققت سرها * تريك بدورا اقبلت وشموسا

ولنشرع الآن فيما وعدنا * وما زمرنا به ورقصنا * والشخص يغلب عليه علمه وفنه * والزامر لايخبى ذقنه * وقبل الخوض في بحر هذا الكلام * والمشابهة له من جنس النظام * نذكر ما وقع لعوام بعض اهل الريف * ووصف طبعهم الكثيف * واخلاقهم الرذيله * وذواتهم الهبيلة * واسمائهم المقلبه * وفحوفهم المشقلبه * وقصائدهم المشرمطه * واشعارهم المخلبطه * ونسائهم المزعجات * وما لهم من الدواهي والبليات * فنقول اما سوء اخلاقهم وقلة لطافتهم فمن كثرة معاشرتهم للبهائم والابقار * وملازمتهم لشيل الطين والعفار * وعدم اكترائهم باهل اللطافه * وامتزاجهم باهل الكثافه * كانهم خلقوا من طينة البهائم * كما قال ذلك الناظم *

لا تصحب الفلاح لو انه * نافحة ارياحها صاعده
ثيرانهم قد اخبرت عنهم * بانهم من طينة واحده

فهم لايخرجون من طور العجافه * لملازمتهم المحراث والجرافه * ومن فحوفهم حول الاجران * وطردهم في الملق والغيطان * ودورانهم حول الزرع * ونطهم في الحصيدة والقلع * وغطوسهم في الجلة والطين * وعدم اكترائهم بالصلاة والدين * اذ الواحد منهم لايعرف غير الحزام والنبوت * والنقر والبنتوت * والساقية والفرقله * وشيل الطين

والجلة * والعياط والغاره * والطبلة والزماره * والحدوة خلف قفاه وفزراقه وهز رداه * وحزامه الليف * والتبن والشنيف * وخلقته المشرمطه * وشورته المخلبطه * وطربوشه الدنس * وزره الغلس * وطرده للغارات * والدواهى والبليات * ومشيه حافى * فى الحر والحلا * وعياطه فى الظلام * يا السعد اويا الحرام * فتجتمع عليه اللموم * ويقع منهم على البلاد الهجوم * وهم سعد او حرام * ويخرج اليهم الآخرون بالتمام * فيقع بينهم الحرب والعناد * وتخرب بسببهم البلاد * وتنقطع الطريق على العدو والصديق * ويترتب على ذلك المفاسد * وتمتنع عن بلادهم الفوائد * وكل هذا من قلة عقلهم * وكثرة جهلهم * وسوء اخلاقهم * وعدم اتفاقهم * اذ كلهم فى الظاهر مسلمون * والقتل عندهم مثل الديون * وايضا عندهم قلة الوفا * وعدم الانس والصفا * لا يؤدون القرض * ولا يعرفون السنة من الفرض * ان عاملتهم اكلوك * وان نصحتهم ابغضوك * وان افتت لهم الشرع رفضوك * وان النت لهم الجانب مقتوك * العالم عندهم حقير * والظالم عندهم كبير * امورهم معاند * وليس عندهم فوائد * عندهم قابض المال * اعز من العم والخال * سود الوجوه * اذا راوا معروفا انكروه * كما قال الشاعر فى المعنى

اهل الفلاحة لا تكرمهم ابدا * فان اكرامهم فى عقبه ندم
يبدوا الصياح بلا ضرب ولا الم * سود الوجوه اذا لم يظلموا ظلموا

اذا اقاموا افراح * لا تكون الا بالعياط والصراخ والصياح * وشدة الاضطراب والكرب * وربما وقع فيها البطح والضرب * وشاهدنا كثيرا من افراحهم * وما يقع فيها من عدم نجاحهم * وستأتى كيفية افراحهم واعراسهم * وعدم ذوقهم مع جلاسهم * واما اكرامهم للضيوف فهو هز الاردية والتحوف * والجلوس على المساطب * ونفش اللحى والشوارب * وان حصل منهم الكرم بالاضطرار * يكون العدس والبيسار * والكشك الحامض بالفول * او نوع من المدمس والبقول *

ولو سكن الشخص منهم مدة فی مصر ودمياط * لم يكتسب من اللطافة قيراط * وبعض اكابرهم المشار اليه * والمعول فی الامور عليه * اذا طلع مصر لمقابلة الامير * او قضاء حاجة من الوزير * ترى عليه لبس محبوب * ومع ذلك يمشی حافی بلا مركوب * وأمورهم ليس لها انضباط * وأحوالهم شياط وعياط * ووردهم عند الاسحار * التفكر فی الغنم والابقار * وتسبيحهم فی الظلام * هات النبوت والحزام * وحط العلف * وهات الكلف * قال الشاعر فی المعنی *

لاتسكن الارياف ان رمت العلا * ان المذلة فی القرى ميراث
تسبيحهم هات العلف حط الكلف * طلق لثورك جاءك المحراث

لا يرحمون صغيرا * ولا يوقرون كبيرا * عوراتهم عند الاستنجاء على الفسا فی مكشوفه * وثيابهم بالنجاسة محفوفه * يجتمعون لحساب المال فی المساجد * وليس فيهم راكع ولا ساجد * اولادهم دائما عريانين * وتراهم فی صورة المجانين * الرحمة فيهم قليله * والرأفة متروكة ذليله * كما انه يكتب لطرد النمل بلا مرا * ارحل ايها النمل كما رحلت الرحمة من قلوب شيوخ القرى * (ومن وصايا الامام مالك للامام الشافعی رضی الله تعالى عنهما لاتسكن القرى فيضيع علمك وجاهك * وقال سيدی عبد الوهاب الشعرانی رحمه الله تعالى لبعض تلامذته عليك بسكنی المدن فان المقت اذا نزل فی بلاد الريف طوفانا يكون فی المدن كخلخال الرجل (قلت) واذا صحفت لفظة ريف مع قلب حروفها كانت قبر فالساكن فی الريف معدوم اللذات لانه دائما فی انقباض وطر * وجری وكر وفر * وحبس وضرب * ولعن وسب * وهوان وشحات * وشيل تراب وحفر آبار * وخروج للعونة على جهة السخرة وتعب شديد بلا أجره * واذا كان ذو فضل ضاع فضله * او ذو عقل ذهب عقله * او ذو مال اغرواطيه الحكام * او ذو تجارة نهبوه فی الظلام * فالحق عندهم مضاع * والباطل عندهم مذاع * وحكم الله ليس له اندفاع *

ولنذكر طرفاً يسيراً من اسمآئهم وما يكنّون به فنقول امّا اسمآؤهم فانها كاسمآء العفاريت او رقع الشلاتيت فيسمّوا جنيجل وجليجل وعفر ودعموم وزعيط ومعيط وقسيط وشلاطه ولهاطه وشقليط ومقليط وصفار وبهوار وجمار وعمران وشعوان وسمنوت وبرغوت والعفش والنبش وكسبر وقفندر وجنين وبنين ومحمّد بكسر الميم والحاء المهملة ومحمّدين بكسرهما ايضاً وغير ذلك من الاسمآء وان كانت لا تعلّل فانّ اسمآءهم هذه تشبه التلقيب وقد يسمّوا بالفال كما اتفق انّ رجلاً ولد له غلامٌ فسمع رجلاً آخر يقول يا اعمش العين فقال نسمّيه عموش فسمّي بذلك واتفق انّ رجلاً ولدت زوجته انثى فسمع رجلاً يقول لآخر هات الزبّل فقال لامّها نسمّيها زبيلة فسمّيت بذلك وزبيلة تصغير زبلة وزبلة فيها معنيان كونها واحدة الزبل وكونها مشتقة من الزبالة والزبلة على وزن عجلة او فجلة او نملة او قملة وقال بعضهم في هذا المعنى (ووزن زبلة لديهم عجله * ونملة ورملة وفجله) وقد ذكرت بالتسمية بهذا الفال ما يقرب من هذا المعنى وهو ما حكى بعضهم انّ زوجته ولدت غلاماً فسمع رجلاً يقول لآخر دم الحسّ قفاك فسمّاه بذلك ثم ولد له ولد ثانٍ فسمع رجلاً يقول لآخر شاربك في الخرا فسمّاه بذلك ثم انّ دم الحسّ قفاك كبر وانتشى وكذلك شاربك في الخرا بلغ من العمر عشر سنين فارسلهما والدهما الى الكتّاب فقرأ دم الحسّ قفاك القرآن وبرع فيه وكذلك شاربك في الخرا بلغ منزلة عظيمة فاتفق في يوم من الايام انّ دم الحسّ قفاك قال لاخيه شاربك في الخرا اقصد بنا يا اخي الذهاب لبحر النيل نسبح فيه فقال شاربك في الخرا مليح السمع والطاعة فتوجّه دم الحسّ قفاك هو واخوه شاربك في الخرا الى ان اشرفا على بحر النيل ونزلا فيه وكان دم الحسّ قفاك ماهر في العوم واخوه شاربك في الخرا عومه قليل فسبق دم الحسّ قفاك اخاه شاربك في الخرا فتضايق شاربك في الخرا واشتدّ به الامر واشرف على الغرق

قوله عمران
للاعتراه
ه كا

فالتفت اليه دم الحس فقال فرأى شاربك في الخرا في شدة عظيمة
فاقبل عليه ووضع يده تحت ابطه واسنده على ظهره ولم يزل يتلطف به
حتى اوصله الى البر فلولا ان دم الحس فقال سبق والا كان شاربك
في الخرا غرق (ومر رجل) فرأى ولدا يضرب اباه ويسخر به ويسبه فقال
له يا غلام ان لابيك عليك حقا ان لا تنهره ولا تؤذيه وان تحسن الأدب
معه ولو كان كافرا فقال له يا سيدي وانا الآخر لي عليه حق فقال له
وما حقك عليه فقال له ان يحسن اسمي ويعلمني القرآن وان يرشدني
الى احسن الصنائع وهذا سماني دبوس وعلمني لسان المجوس وصيرني
بين الناس خلبوس افلا اضربه واسخر به واسبه فقال له بل صكه بالنعال
فانه مستحق لاقبح الفعال (ومر رجل) على سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال له ما اسمك فقال تنور قال وامك قال شرارة قال وابوك قال
لهب قال وفي اي وادٍ انت قال في وادي النار فقال له رضي الله تعالى عنه
اذهب الى واديك فان اهلك قد احترقوا فلما مضى الرجل رأى الامر
كما ذكره رضي الله تعالى عنه (والاسماء تدل على لطافة المسمى او على كثافته
وفي كلام اهل العلم والتأديب كل احد له من اسمه نصيب (واما كناهم)
فابو شعرم وابو معرم وابو عفرم وابو دعموم وابو شادوف وابو جاروف
وابو مشكاح وابو رماح وابو بطاح وابو بقر وابو مطر وابو هودج
وابو خرق النورج وابو ضلام وابو شقرير وابو قشقوش وابو قسيم
وابو جريدم وابو طعيمه وابو بليله وابو زغلول وابو سيسي وابو جاهل
وابو فصاله وابو زباله وابو بعبوص وابو عموص وابو لبده وابو غده
وابو زعيط وابو معيط وابو بربيطع وابو زعبزع وابو تعيتع وابو
شعيشع وابو صابر وابو خنافر وابو هبول وابو هوير وابو طرطر
وابو عوكل وابو حوقل وابو عسقول وابو ذبابه وابو زغابه وابو طريف
وابو قدح وابو عريش وابو كريش وابو فتيشه وابو دشيشه وابو قرد
وابو قلوط وابو جلاط وابو جبص وابو كانون وابو معلد وابو جعباط

(ويلقبون) عمران القليط وعمير القرط ودقمبوى وقنديسه وشحيبر وبجيبر وعنطوز الباب وشلاطه محلاب ومجد القلاب وكسبر الثقله وبن نوبه الهبله ولهاط الزبله ومشالى الجله ونحو ذلك كثير لا غاية له (ويجيبون التسائل) بلفظة هاه وهيه وايش مالك واى مالك وانما مما هو مشهور بينهم (واما اسماء نسائهم) فمن معنى اسمائهم فيسمون زعرم وبعرم وهبطله ومبكله واخطيطه وحويطه ومعيكه ودعكه ودكيكه وشباره وشراره وزراره وعلاره وعباره وشلبايه وعطايه وعليوه وحليوه وهديه وبليه وابده وغده وبثه ولمه وبلمه وسروه وبروه وفيوه وخربوه (ويكنون) بام جعيص وام معيص وام زميع وام عزام وام زقام وام شقيره وام صقيره وام شواهى وام دواهى (ويلقبون) بجلابيه وكرسابه وغاشوله وفاره وفرفاره وعاره وغايره (فهذه) اسماء والقاب وجودها كالعدم وانما هى الفاظ يضعونها مناسبة لذواتهم ليطابق الاسم المسمى وبعضهم اذا نادى زوجته يقول لها يا داهيه تقول له تجى لك من الحيط (كما اتفق) ان رجلا منهم دخل منزله فرأى زوجته عند الجيران فناداها يا داهيه يا داهيه فقالت له تجيلك من الحيط فقال لها تعالى تعشى فقالت ابنك يجرى كل انت وقال شخص منهم لزوجته يا قطيعه قالت له تجيلك يابو عنطوز (واما اولادهم) فانهم مثل اولاد الهنود او اولاد القرود دائما فى شلاتيت وشراميط ترى الواحد منهم دائما مكشوف الراس غارق فى الجله والتاس ونومه فى المدود وشربه من المترد واكله من نجله ولعبه حول العجله يشخ ويخرى فى ثيابه دائما فى سخامه وهبابه عمره فى الدناسه وامه فى نجاسه واذا درج فى الحاره لا يعرف غير الطبله والزماره والطرد وراء الثور والعجل وسخامه فى الجله والوحل لا يلبس على طهارة قميص وعيشه دائما فى تنغيص خالى من التنظيف وكلهم مخوف من مخوف الريف (واما نساؤهم) عند الجماع فانهن فى حكم الضباع

يدخلن الافران ويصير من فيها النيران ويعبق عليهم الدخان وتظهر لهم روايح الدمس حتى يصيروا فى قلس ثم ينضجعوا على شئ من القش وما تيسر من القصل والعفش بعد اكلهم المدمس والبيسار حتى يصير الشخص منهم كانه حمار ثم يضم زوجته اليه وهى تتشقلب عليه فيظهر من بين الاثنين روايح الجلة والطين وتعطيه رجلها وينظر الى عمشة عينيها ويطرحها على جنبها فتستغيث بربها وتقول احيه جتك داهيه احيه جتك مصيبه احيه جتك غاره فغنجها بليه وجماعها رزيه وربما جامع الشخص منهم زوجته فى مدود الحماره او فى الغيط جنب العباره وقد تمكث المراة منهن الجمعه لا تغتسل من الجنابة لمعه وكذلك الرجل تحقيق فى اعظم الدناسة وعدم التوفيق (واما اعراسهم) فانها مثل قيام الغارات او تعفير الكلاب فى الحارات يدوروا بالعريس دوره وهم فى غاره او غوره وهائط وصراخات ودواهى وبليات وزعيق وعفره وصياح وغبره والكلاب تنبح والشعراء تمدح والطبل يضرب والمشاة حوله تلعب والجدعان تخبط بالنبابيت والاولاد تنط بالشلاليت وربما كانوا فى هزل صاروا فى الجد وربما هشموا بعضهم البعض وقد يموت الواحد منهم والاثنين ويحصل من ذلك الفرح الهم والشين وتخرب من فعلهم البلد ويزيد الهم والنكد ثم بعد هذه الدوره يفرشوا للعريس جنب الجوره ويجلسوا على نخ او حصير او برش من ابراش البير ويأتوا له بالعروس كانها فحل جاموس منقشة بالحبر والهباب وقدامها الشاعر بالرباب وخلفها الصبايا بالزغاريط تصيح والجدعان تمشى بالمصابيح ويرشوا عليها الملح خوف النظره وقد خلبطوا وجهها بالسواد والحمره ويكشفوا وجهها عند الملا وصارت بهذه الفعلة مثلة بين الملا وهذا من اقبح افعالهم واتعس احوالهم اذ لا يجوز هذا فى الشرع ولا يقول به اصل ولا فرع ثم انهم يجلسوها على شئ عال ويأتى اليها الطبال وينشدوها الاشعار مما هو مناسب

لها بالاعتبار * شعر ياعروسه ياام غالى * انجلى ولاتبالى
انجلى ياوجه بومه * زاعقه وسط الليالى (وجهكى بالنقش يشبه * وجه ضبعه فى الرمال
لك مسخه شعر يربط * فوق راسك لامحال) (تشبهى به ام مجبر * دائره وسط التلال
ياعريس قم خذ عروسك * واطلع بها فوق العلالى) (وافرشوا القبه وناموا * فوقها جنح الليالى
واسخرى له وانجى له * بالدواهى والهبال) (تصلحى له ياعروسه * ثم امرك بالكمال *

(ثم انهم) يجتمعوا حول العروس وينادى بينهم رجل فلفوس بيده شعله من شرموط هاتوا النقوط صاحب العرس بقى فى امان هاتوا يانساء ياجدعان فيعطيه الشخص منهم الدرهم والدرهمين والذى يرمى نصف اونصفين وبعد هذا يقبلوا على العروس بوجوه كانها وجوه التيوس وينادوا واقمح والاشعير والاسمسم مقشور غزير فان كانت مليحه قالوا قمح زريع اوسمسم مقشور وان كانت قبيحه قالوا شعير نبت فوق الجسور ثم انهم يدخلوهما الى الفرن او البيت ويسرجوا لهم بشئ من عكار الزيت ويفرشوا لهم شئ من التبن او القصل ويصنعوا لهم وسائد محشوه من قشر البصل ويغلقوا عليهم الباب ويدقوا لهم بالحجاره على الاعتاب فان اخذ وجهها هنوه والا جرسوه وهتكوه وقالوا له شرقت البلاد وهتكتنا بين العباد فعرسهم هتكه وفرحهم مصيبه ووليمتهم الكشك والفول ونوع من البقول والارز بالعسل يشبه الطين والارز باللبن يشبه طعام المجانين وقد ذكر هذه الاوصاف صاحب الهكش حيث قال فى القصيد *

ويوم عملنا العرس ياما رقصنا * وياما حوقنا قش جوا المساطح
نصفها بالسنط من فوق قتنا * وكان انهدم ياما قشعنا فضايح
واخرجتها للصبح برا الزريبه * بقاشى يقول مشعور وشى يقول فاتح
وصبحت تهنينا اكابر بلدنا * علينا نقال العيش مسبول سايح
هداديه تخبط على ثقل ركبتى * وانا بلالبده قليل الملايح
وجلس بجنبى ابن جرو وابن كل خرا * وابن الغفير وانا اروح روايح

اى جلس بجانبه مشايخ الكفر وهم هؤلاء المذكورون فلا يحتاج الى اعاده

لان الاعادة فى ذكرهم ليس فيها افاده فقد افردت ذكرهم بمؤلف فراجعه ثم انهم عند الصباحيه يجتمعوا المشاة فى الظهريه ويجعلوا بينهم وبين العريس حكومه لا قدر لها ولا قيمه ويجتمعوا مع بعضهم البعض ويرمحوا فى طولها والعرض ويقولوا حكمنا عليك يا فلان قوم هات العيش والمش ورطل دخان وياكلوا وينطوا ويشيلوا ويحطوا ويأتوا بحجارة الدخان مثل ارباع الكيل ويصيروا فى عياط وشياط الى الليل ويسموا هذا اليوم الهروبه وامورهم كلها مقلوبه وبعد ثلاثة ايام يخرجوا العروسة بالتمام ويكشفوا وجهها ثانى مره ويجعلوها للناس شهره ويأخذوا ايضا النقوط من الناس واحوالهم فى انعكاس *

(ذكر وقائعهم) حكى ان بعض الملوك خرج هو ووزيره قاصدا التنزه فمر على رجل فلاح يحرث وعلى رأسه لبده مشرمطة ولابس خلقه مقطعه ترى عورته منها وقد حصره البول فبال عليها حتى غرقها ولم يبال من النجاسة وقد اسود قفاه من الحر وتشققت قدماه من الحفا وشدة البرد وهو فى حالة مكربه فقال الملك لوزيره ما حال هذا الرجل فقال له يا ملك هذا من فلاحين الريف ينشأ الشخص منهم على التعب والنصب والهم والغم والطرد والجرى وقلة الدين والجهل ولا يجد من يرشده للعبادة والصلاة فيصير فى هذه الحالة كما ترى فهم همج الهمج لا يعرفون غير الثور والمحراث فحكمهم حكم البهائم قال الشاعر

من فاته العلم وخطاه الغنى * فذاك والكلب على حد سوا *

فقال الملك لوزيره هل ترى اذا اخذناه وعلمناه القرآن وشغلناه بالعلم والبسناه ملابس النعم يتغير طبعه ويرق قلبه وتخف ذاته وينتقل من طور الكثافة الى طور اللطافة فقال الوزير ايها الملك اما سمعت قول الشاعر

لا يخرج الانسان عن طبعه * حتى يعود الدر فى ضرعه
من كان من جميزة اصله * لا ينبت التفاح من فرعه

وقال آخر

الطبع والروح فى جسم لقد خلقا * لا ينفد الطبع حتى تنفد الروح

وقال بعضهم يحول عن وكره ولا يحول عن طبعه وحكي ان رجلاً اعرابيًا مر بقارعة الطريق فرأى جرو ذئب صغير فرحمه واخذه الى منزله وكان عنده شاة ترضع فرباه عليها الى ان كبر فعدا يومًا على الشاة فبقر بطنها وولغ في لحمها ودمها فلما رجع الاعرابي ورأى ما فعل انشد يقول

غذيت بدرها ونشأت فينا * فمن انباك ان اباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا ادب يفيد ولا اديب

ومن ذلك ما حكي ان جماعة قصدوا اصيد ضبعة فالتجأت الى الاعرابي ودخلت منزله فخرج الاعرابي اليهم وبيده السيف مصلتًا وقال لهم لا تعرضوا لضيفي فانه قد استجار بي فقالوا يا هذا لا تحل بيننا وبين صيدنا فقال هذا لا يكون ابدًا ولا اسلم لكم ابدًا وجعل يغذيها اللبن فتجرد الاعرابي يومًا ليغتسل فلما ابصرته عريانًا عدت عليه فشقت بطنه وولغت في لحمه ودمه فقيل لابن الاعرابي فانشد

ومن يفعل المعروف في غير اهله * يجازى كما جوزي مجير ام عامر
اعد لها لما استجارت بقربه * من الدر البان اللقاح الدواسر
واشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بانياب لها واظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يوجه معروفًا الى غير شاكر

ومن كلام الامام علي رضي الله عنه قال لا تعلموا اولاد السفلة العلم فانهم اذا تعلموه طلبوا معالي الامور فاذا نالوها اعتنوا بمذلة الاشراف وقال الامام الشافعي رضي الله عنه

فمن منح الجهال علمًا اضاعه * ومن كتم المستوجبين فقد ظلم

وهذا الرجل لو علمته الحكمة وقيدت له من يعلمه لا يخرج عن طبعه ويرجع الى عادته الاولى خصوصًا طباع جهلة الريف وعوامهم فانهم اجلاف كأنهم خلقوا من صخر كما قيل

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه ❁ هل في الانام رأيتم * فحفار قيق الحاشيه

فاللطافة لا تخرج عن طور الاكابر ولا تتعدى لعوام الريف الاراذل خصوصًا دنيء الاصل اذا ادعى العلم والفضل (كما اتفق) ان امرأة

ذات حسن وجمال وقدّ واعتدال كانت متزوجة بابن عم لها وهي
متضررة منه وراغبة في فراقه فارسلت للعلماء في تدبير حيلة للفراق
فلم تتمكن من ذلك حتى وصلت الى وضيع دنيء الاصل تعلم العلم فدبرها
ان تدعي انها ارتدت عن دين الاسلام والعياذ بالله تعالى وتختفي الى
تنقضي عدتها فتصل الى الحاكم الشرعي وتعترف بصدور ذلك
منها وانها تابت ورجعت الى دين الاسلام واخذ على ذلك منها شيئا
ففعلت ما امرها به فاستغرب الناس ذلك وجزموا ان لا يصدر هذا
التعليم الا من ذلك الشخص فتفقدوه فلم يجدوه * وفي هذا المعنى
قول الامام الشافعي رضي الله عنه فمن منح الجهال الخ * وكذلك يا ملك
الحكاية المشهورة وهي ان رجلا دنيء الاصل سافر الى مدينة فاشتد به
الجوع فرأى رجلا يبيع الزلابية فوقف قبالة دكانه حائرا فرق له
قلب الزلابي ورحمه وقال له ادخل لاغديك صدقة عني فدخل فقدم
له ما يكفيه من الزلابية والعسل فاكل حتى شبع واذا محتسب المدينة
مار ينادي على اهل السوق ويزن عليهم ويحذرهم نقص الموازين وكذلك
صناع الزلابية ان ينضجوها ولا يبيعوها طرية فقام هذا الرجل الكثيف
الرذل واخذ بعضا من الزلابية وعجنه بيده وقال للمحتسب نصرك الله
على هذا الرجل بياع الزلابية انظر ما يفعله الناس من الغش قال فاخذ
المحتسب صانع الزلابية وضربه ضربا مؤلما فالتفت الى هذا الرجل
ردئ الحال والفعال وقال له ما ذنبي معك وانا شفقت عليك
واطعمتك حتى شبعت صدقة عني فسكت فقال له ما اسمك قال
فلان قال وابوك قال فلان قال وامك قال مرجانة جارية سوداء
فقال صانع الزلابية لا الومك ابدا جاءك الطبع الخبيث من جهة
امك ثم انه اخرجه من دكانه ومضى الى سبيله * وفي هذه الحكايات
يا ملك مواعظ واعتبارات كثيرة فقال الملك لا بد من اخذه وتعليمه
ولا اركن الى ما تقول فقال له الوزير افعل ما بدا لك فاخذ الفلاح وانعم عليه

والبسه الملابس الحسنة الفاخرة وقيد له من يعلمه القرآن والعلم فحفظ القرآن وبرع في علم الرمل والحرف حتى صار يخرج الضمير ويبين الضائع قال فتذكر الملك ما قال الوزير في حق الفلاح ونصحه للملك في عدم اخذه وتعليمه فارسل اليه فلما حضر قال له يا وزير خابت فراستك في الفلاح فانه الآن بقى على غاية من العلوم وصار له براعة في علم الرمل والحرف ويخرج الضمير ويبين الضائع فقال الوزير يا ملك اختبره وانظر طبعه وخلقه فارسل اليه فحضر فقال له الملك بلغني انه صار لك قوة في اخراج الضمير وبيان الضائع فقال له نعم ان شاء الله فقال له مرادي ان اضمر على شئ وتبينه لي فقال افعل قال فنوى الملك وقلع خاتمه واطبق عليه يده واتى اليه وقال له انظر ما في يدي قال فاقام الاشكال وقال في يدك شئ مدور قال نعم قال وهو خالي الوسط قال صدقت ولكن ما هو فسكت ساعة زمانية ثم قال اظن والله اعلم انه حجر طاحون قال فضحك الوزير وقال غلب عليه طبعه الاول يا ملك فاغتاظ الملك منه وسلب نعمته ورده الى حالته الاولى (وقيل التزم بعض الامراء بقرية من قرى الريف فسافر اليها لينظر احوالها كما هو عادة الملتزمين فلما دخلها ونزل في دار الحكم وتسمى عندهم دار الشد اقبل اليه الفلاحون وهم من كل حدب ينسلون وامامهم شيخ كبير قد طعن في السن وبيده عصا يتوكأ عليها قال فلما رآه الملتزم وهو امام القوم قام اليه واكرمه واجلسه الى جانبه لكبر سنه وقال في نفسه لعله من اهل الصلاح لانه ما في هذه القرية اكبر منه ثم ان الامير صار يحثهم على الزرع والقلع وعلى سداد مال السلطان والغرامة وان يجتهدوا ويفيقوا الى انفسهم ويكونوا مع بعضهم البعض قال فعند ذلك قام هذا الشيخ الكبير ووقف بين يدي الامير وقال له اني اريد ان انصحك ايها الامير وارشدك الى شئ تفعله فان انت فعلته فاقوا لانفسهم وسددوا المال فقال له الامير تكلم يا شيخ

فان ما فيهم من هو اكبر منك سناً واعلى قدراً فقال ان كان مرادك النصيحة اهدم دا الجامع اللى فى وسط البلد فانهم كل يوم يجتمعوا فيه للصلاة اللى يقولوا عليها الناس ويتركوا مصالحهم فاذا انهدم فاقوا للزرع والقلع وسدّوا المال ولو انى طاوعتهم يا امير وصرت كل يوم ادخل الجامع كان انكسر على مال السلطان وما نفعنى طول عمرى ما اعرف دى الصلاة اللى يقولوا عليها الناس ولا دخلت الجامع ابداً قال فتعجب الامير من طول عمره وقلة دينه وشدة جهله وقال له انت رجل طال عمرك وساء عملك ثم انه علق فى رقبته الاوطية واركبه حماراً معكوساً ونادى عليه حوالى البلد بعد ان ضربه ضرباً موجعاً واخرجه من القرية على اسوء حال (ومما يحكى) ان ابا نواس جلس يوماً هو والخليفة هرون الرشيد فى محل المداعبة والملاطفة فاحضر بين يدى ابى نواس صحن من الخشتنانك المحشو بالسكر وصار ياكل هو والخليفة فقال الخليفة يا ابا نواس هل يمكن ان احداً من الناس لا يعرف هذا قال نعم يا ملك عوام الريف الفلاحون واضرابهم فانهم اناس نشأوا فى اكل الدخن والذرة فضلاً عن الحنطة ولا يعرفون هذا ولا غيره من الماكولات الا العدس والبيسار فقال له الخليفة لابد ان تحضر لى رجلاً منهم فى هذه الساعة والا قتلتك قال فقام ابو نواس من عند الخليفة متحيراً يمشى فى شوارع بغداد فرأى رجلاً يحاكى سارية الجبل من طوله وعليه جبة من صوف الى ركبته وقد اتسخت وتمزقت من سائر الجوانب واذا اراد ان يتحزم عليها انكشفت عورته واذا بال بال عليها من غير مانع لكونه لا يعرف الطهارة من النجاسة وعلى رأسه لبدة من الصوف طويلة مثل القحف دائر من غير سقف وقد ربط وطاه وجعله خلف قفاه وبيده رغيف ذرة ياكل فيه وهو ينظر الى الحوانيت مثل المرتاب وهو فى حيرة لا يدرى اين يذهب وياكل وينظر الى الناس مثل المجانين قال فلما رآه ابو نواس فى هذه الحالة عرف انه

قحف من تحوف الريف فسلم عليه فلم يرد عليه السلام وتحير في نفسه
ولم يعرف كلام ولا سلام بل ظن انه يريد ان يأخذ الرغيف منه فحطه في
عبه وقال له يا جندي انا ما معي شئ تاكله غير هذا الرغيف وانا ان
اعطيته لك قتلني الجوع وانا عمري ما طلعت هذا الكفر وانا بانظر
فيه جنادي كثير مثلك ودور مثل دورنا وخايف من الجنادي لا
يقطعوا راسي فقال ابو نواس في نفسه الحمد لله الذي اوقعني في هذا
فهو المطلوب الذي لم يعرف الكفر من المدينة ثم انه لاطفه بالكلام
وقال له لا تخف ولا تفزع فما لي حاجة برغيفك ولا انا جيعان وانا
مرادي اغديك غدوة عظيمة فقال له حياك الله يا جندي وانا
الآخر لما تغديني وتبيض وجهي ازورك باربع بيضات وان
فقست وزتنا اجيب لك وزه خضرا واجعلك صاحبي ولا تخلي
احد يقطع راسي لاني خايف اروح الكفر بلا راس قال فضحك
عليه ابو نواس وقال له امض معي في هذه الساعة اغديك واصافيك
قال فسار معه وهو لا يدري اين يذهب حتى اقبل على ديوان امير
المؤمنين هرون الرشيد قال فلما رأى الديوان وكثرة العسكر بهت
وحار في امره واندهش وقال الله وكبر القيامة قامت ودا المحشر
لا كلام ثم انه اراد الهروب فقبض عليه ابو نواس وقال له لا تخف
ولا تخش من شئ وضمانك علي فقال له يا جندي اخاف العرض
على ربي من الحساب ليحاسبني على ضرب البهائم ونيك الحمير في الغيط
لاني ما خليت حمار في الغيط بلا نيك من خوف لا اهجم على نسوان
الكفر يمسكني المشد يقطع راسي وباسمع الناس وهم يقولوا كل
من نكح دابة يجي يوم القيامة وهو حاملها وانا نكحت دواب كثير
حتى الكلاب والقطط لا اقدر احملهم في هذا اليوم وانت تشفع
لي عند ربي يسامحني في هذا اليوم مما فعلت فقال له ابو نواس
لا تظن ان هذا يوم القيامة وانما هو ديوان الخليفة هرون الرشيد

السلطان فقال له يا جندى انا ما رأيت مثل هذا المحل ابدًا ولكن ما يكون الخليفة قال هو السلطان الذى يقبض المال من بلاد الارياف والكفور فصرخ الفلاح وقال له يا جندى السلطان يقطع روس الفلاحين ولا يخلى فلاح من غير قطع راس واراد الهروب فلما سمع الخليفة كلامه سأل عن القضية فاخبروه بها فضحك وارسل يطلبه قال فاخذه ابو نواس واقبل به على الخليفة وهو فى دهشة وحيرة مما راه من كثرة الجند والعسكر حتى وقف بين يدى الخليفة فقال انا فى جيرتك يا رسول الله يا ابو زعبل يا ابو عنطوز يا مشايخ الكفر خلصونى قال فامر الملك ان يلاطفوه بالكلام فلاطفوه حتى سكن رعبه وروعه ثم انه نظر فراى الخليفة جالسًا على الكرسى وعلى رأسه التاج الكسروى فقال له انا فى جيرتك يا خطيب المسلمين قال فضحك عليه الخليفة وقال له يا فلاح من اى البلاد انت فقال له انا من كفر ابو زعبل وانا شيخ الكفر وعندى بيت ملان تبن وقصل وعندى عنز ومركوب احمر وحياة راس السامعين وعندى فرختين وديك وشونتين عظم وقحف طويل مثل قحفك دا يا خطيب فضحك عليه الخليفة وقال له من احضرك عندى قال دا الجندى ضبيتك لا جزاه الله خير وكان مراده ياكل رغيفى دا ثم انه اخرج الرغيف من عبه واراه للخليفة فقال له الخليفة انت جيعان فقال له يا خطب ضبيتك اوعدنى بالغدوة فقال له الخليفة ما تشتهى قال العدس والبسار هات لى عدس ومترد بيسار ورغيفين ذره وانا اخلى ام خطيطه تدعى لك فقال له الخليفة اجلس يا فلاح قال فقعد ومد رجليه بحضرة الخليفة وحط النبوت بجانبه والمركوب خلف قفاه وربطه فى حزامه خوفًا عليه ان يقع من وراء ظهره فامر الخليفة ان يقدموا له الصحن الذى فيه الخشتنانك فقدموه اليه فلما راى الصحن قال يا خطيب المسلمين اعطى من دا المترد

كوزه العب بها فى الكفر انا وابو دعموم واولاد الكفر فضحك عليه الخليفة وقال كل منهم كوزه فقال يا خطيب المسلمين الكوز نتاكل فقال له كل على بركة الله تعالى قال فاخذ الفلاح واحدة ووضعها فى فمه ومضغها فلما استقرت حلاوتها فى جوفه صار ياكل اربع حبات سواء ويحجنها فى يده ويقطع منها ويبلع وتارة يسف وتارة يمضغ وهو فى حالة المجانين فضحك عليه الخليفة وقال له يا فلاح ما يكون هذا الذى تاكله وما اسمه فقال يا خطيب المسلمين طول عمرى آكل العدس والبسار والكشك بالفول والمدمس ما رايت مثل دا ابدا الا انى سمعت ام معكه جدتى تقول نعيم الدنيا الحمام والله اعلم ان دا هو الحمام اللى يقولوا عليه الناس فضحك عليه الخليفة وقال له مرحبا بك يا فلاح كل واشبع فقال له يا خطيب المسلمين وحياة وجهك لما اروح الكفر ازورك بحمل جله ومحلاب لبن من بقرتنا الحمرا وخمس بيضات وانت لاآخر ما تحرمنى من نعيم الدنيا دا لما اخضر بالمدينة فضحك الخليفة من كلامه وانعم عليه واذن له بالانصراف ومضى الى سبيله (ولقى) بعض اهل الارياف صديقا له وقد اشترى بردة من الصوف فقال له دى بردتك فقال له عبدك وجاريتك فقال له بكم اشتريتها فقال له بداهيه كبيره فقال له تلفك وتلف وليداتك فى الشتاء *

(وجلس) بعض اهل الارياف بين اصحابه فدخل عليه ولده وهو يبكى وقال له يا بويه فحل الفراخ مات فقال لا حول ولا قوة الا بالله العام الماضى ديك والعام دا ديك اخنايا ولدى اصحاب الرزايا والمصايب ربنا يعوض علينا ثم ان اصحابه عزوه وصار كانه مات له ميت *

(وولدت) لشخص منهم حماره فلقيه صديق له فقال له حمارتك ولدت فقال له وسبعت فقال له ما جاب الله فقال له جحيش كيفك سوا بسوا فقال الله يخليه لك ويجعله جحش الجيا (وعطس رجل منهم ايضا) فقال له فقيه من اهل الريف يرحمك اللى عطسك ولو شاء لقطسك

واخرج العطسه من قبر قراقير اللى خلفك فقال له الفلاح يا فقى لا
عدت تنسانا من دى السورة نقرأها علينا فى المساء والصباح واعطيك
ايام المقات اربع بطيخات وتقرا السوره لام معيكه وتهديها لابو زعبل
فانه مات من مدة شهرين فضحك عليه الرجل ومضى الى سبيله (وجلس)
جماعة من اهل الارياف يتحادثون فى احوال الزمان اقباله وادباره ؛
فقام رجل منهم يقال له ابو عفره وسحب رداه واتكا على عصاه ثم ضرب
بها الارض وقال لهم يا شيوخ الكفر زمن الفرح اللى ولى وراح ولا بقى فى
الدنيا خير ولا عاد يجى زمان مثل زماننا اللى كنا فيه وما تحصل ايام
الاعياد والمواسم فقالوا له الله عليك يا ابو عفره احكى لنا على زمن الفرح
اللى شفته فقال لهم رحت يوم عيد الله واكبر انا وابو معيكه وابو دعموم
وكان معى ابنى فرقع الليل ولد صغير واحنا بنجرى مثل الكلاب السعرانه
وانا نافش وعلى ردا من محر الكتان شريته بنص فلوس جدد الدراع
وجبة صوف خدتها بخمسة جدد الدراع ولبده خدتها بعتمانى
وانا مزوق على العيد كيف عنز الضحيه وتحزمت بسير وسكين
خدتهم من سوق هربيط باربعة انصاص فلوس جدد وعلى راسى
شد مستنير خدته من سوق بيشله بنصين فلوس جدد ونبوت
كنت سرقته فى زمان الشطاره ومركوب احمر كيف وجوهكم يا شيوخ
الكفر كانت سرقته ام زعبل من واحد حضرى دخل دارنا اللى على البركه
بالامارة يشترى بيض ورحت انا والجماعه نشترى مصالح العيد على
الطريق اللى تطلع على الكفر بتاع ابو عنطوز نمشى عليها كيف كلاب الغنم
وكنا لقينا واحد دبح جدى بالتخمين خمسة ارطال لحم فوقفت انا واصحابى
على راس صاحبه وهو عمال يسلخ فيه فقال لى ما تطلب يا شيخ الكفر انت
واصحابك فقلت له اسمع يا عرص يا راس الدقماق وحياة ام زعبل
ان كنت ما تكارمنى اليوم وتتوصّى نى والا ما عدت تدبح جدى ولا كلب
فقال لى يا شيخ الكفر تطلب من اللحم والا السقط فقلت له اطلب السقط

اقسمه بينى وبين اصحابى كل واحد يأخذ تلته فاخدت منه السقط
بعد عياط وشياط وضراط وحياة الحاكم يا اولاد كفرنا بنص فلوس
جدد ولولا عينت له الضرب وقلت له يا عرص يا تيس وانا شيخ
ونورد على الجدعان اليوم اطبخ واغرف وانا معمود فى الكفر ولاما كان
اعطانى السقط وقسمناه احنا التلاته كل واحد خد بجديدين ولكن
واحد من شركاتى غار على وخد رجل زايده وانا سرقت ودن من اودان
الجدى وطلبت اسرق سنه من اسنانه اعلقها لابنى عفره على راسه
تمنع عنه النضره اتغلبوا على شركاتى وقالوا لى يا ابو عفره لا تخون
الامانه ان جات الاسنان فى حصتنا خد ما تريد فتركت الاوده وخدت
حصتى فى طرف ردايه وكل واحد من شركاتى خد حصته ولفعت بوقتى
على كتفى وبقينا كيف الكلاب السعرانه وانا اعفر بين الكيمان والكلاب
تجرى ورانا على ريحة اللحم وكان حزقنى شخاخى وحياة الحاكم ومن خوفى
من الكلاب لا يأخذوا منى السقط وكنت اشخ على ردايه حتى غرقته شخاخ
ولما دخلت الدار شفت ام زعبل حشا العيب قاعده فى جنب مدود
الحماره كيف كلبة المشد تعمل الجله عليها قميص من قطن مخطط كنت
شريته لها من زمن الفرح بعشره انصاص فلوس جدد وفوق راسها
طرحه كبيره مثل الردا اخدتها باربعة انصاص فلوس جدد وسرموج
اخضر واحمر مصبوغ بحنا وبرسيم سابل للخوران وفى رجليها حجل نحاس
مطلى بقزدير وفى يديها انبايل نحاس اصفر وفى اودانها خلق طارات
فدخلت عليها مشنفر بدقن كيف دقن التيس وشوارب مطرطره كل من
شافهم خرى على روحه فقامت ام زعبل ومسحت يديها من الجله
ولاقتنى بالحضن لا تقول الا بقينا كيف الكلاب الجياع وبعد ما لاقشتها
ولاقشتنى ولاطعتها ولاطعتنى وعملت معها ما تعمل الرجال مع النسوان
يعنى ديك القضيه وانتم تعرفوا انى حدق وشاطر وما يطلع من حنكى
عيب وها انتم شفتم ايه من الفرح وبعد دا ودا فانى اغنى البهام والمحرات

٢ ى لثه ٥

اتعلمت الغنا من ابويه وجدى وانا فصيح قوى فقلت يا ام زعبل ربنا يخلى لى شلشولك وقامتك انا بانظر حلقك بيشتم الناس وهو مايل على اوذانك وانا رايح اغنى عليه فقالت لى يا ابوزعبل وحياة شاربك اللى كيف شارب الكلب الا تغنى لان اوحشنا غناك وقصايدك ومرادنا نسمعنا قصيدتك اللى تقولها فى الحلق فنشدت لها قصيد ومن صلى على النبى يستفيد

الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
تبيع الورد فى الصبحه * قميصك زين الطرحه * عسى الله انصر لمحه * تجمع عندنا الجلات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
الا يا بو قميص هربيط * عسى الله انصرك فى الغيط * واذى لك قدح مخيط * واذى لك شمال كرات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
واعطى لك شمال خبيز * واعطى لك قدح جميز * واجعل لك على ميز * قطره دهن فى الصبحات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
انا جبك كما العجله * ويا زينك حدا الجله * تعالى الغيط بلا مهله * ونتفرج على العجلات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
تعا عندى وكل جعضيض * وجيب لك يا مليح حميض * واقلى لك كمانه بيض * بزيت حار من حد الزيات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
انا خشى ان اقل تعال * تعا ونى على ذى الحال * تعال امشى وصل عمال * اروح بك دارنا وتبات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
ودمش لك انا العقبه * وجيب لك فول من القصبه * وكل واشرب كمان شربه * تخليك تشبه العنزات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وجيب لك عدس مع بيسار * وكسر عيش مع فول حار * وجيب لك مسرجه زيت حار * تنور لك كما القمرات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وتحطك جنب مزودنا * والا جنب جلتنا * وورك بوز بقرتنا * وهى تقرش من القصلات
الا يا بو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وان شا الله اروح طلخه * وجيب لك يا مليح فرخه * وفى الدار ان ترى الشخه * عليها صب من بولات

الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وخليك كيف ابو بربر * وتتملقش وتتشخر * وتتشقلب وتتغندر * وتبقى لى كما الكلبات
الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وتعطيه لى وتتبكه * وحطو فيك واتكه * وانا ابو عفر ابو دكه * ابيع المش فى الحارات
الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وناشاعر وشيخ الكفر * نشدت قصيد كيف الزمر * وقومى وارقصى بالعفر * ودا يوم عيد وله طنات
الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وحط اللحم والفشه * على الكانون والكرشه * ونتغدا ونتعشه * ونعزم دار ابوكرات
الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات
ونختم قولنا لاباس * نصلى على النبى يا ناس * ويشفع لى وجمع الناس * وينقذنا من الهلكات
الا يا بوحلق طارات * تبيع الورد بارطالات

فقامت ام عفره من الفرحه ورقصت هى وابنها عفره واخوه فرقع الليل حتى وقعت الرحى من على راسها وسمعوا الجيران فجونا وقالوا يا ابو عفره سمعنا القصيد فسمعتهم اول وتانى وقالوا غدا يسمع بك نصرانى البلد ويقربك وتبقى تجلس حداه ركبه بركبه ويقول لك يا عرص تقول له يا سيدى وان شا الله يعطيك كيلة شعير وقدح قمح فقلت لهم ان اعطانى شى انعمت عليكم ولما تمت الفرحه بنشد القصيد قامت ام عفره للسقط تطبخه فقالت لى يا بوعفره بقا عليك البخور فقلت لها وحياة شلشولك ما بقى معى فلوس وانا فشلان فقالت لى من خلى شى لعقب الزمان ينفعه انا خليت فى الصومعه اربع بيضات خذهم ولا تقل لحد فان الناس تحسد وخصوصا اليوم عيد وانت اليوم يا ابوعفره فى نعمه كبيره هات لنا ببيضه فرسيك وببيضه محلب وببيضه نعناع وبالبيضه الرابعه عصفر نزعفر به تياب ابنك عفره واخوه فرقع الليل حتى يبانوا بين اولاد الكفر ويبقى لهم الكلام والحمد لله عندنا شوية زيت حار ادهن بها شعر راسى وتدهن ببقيتها دقنك وشواربك

وتنط بين الجدعان وتنبط على شلشولك كيف شلشول العنز السمين
فخدت الاربع بيضات وجبت لها ما طلبته ولقينا فى كرش الجدى شوية
فول صحيح خدته ام عفره وفركته بالفراكه حتى بقى مثل البيسار وقلت للطعام
بتوم وزيت حار وصبته عليه حتى بقى مثل طعام المشد وجونى الشباب
والجدعان يغنوا حولى ويخبطوا بالنبابيت ففرقت عليهم ام عفره
لقانة طعام فاكلوا وفرحوا ولعبوا ورقصوا والمرد بينهم وكان يوم
ما عاد يجى مثله فقالوا له اصحابه زمانك يا بو عفره ولى وراح وما بقت
الناس وجاروا علينا الظالمين (وقيل) طلع رجل فلاح يورد لاستاذه
المال فانزله فى محل فيه طاقة مفتوحة تشرف على حريم الامير فلما جاء
الليل قال الفلاح فى نفسه يا ترى يا بو معيكه الامارة لما يختلوا ينسوا انهم
كيف يفعلوا ولكن انضر كيف ما يفعل استاذك مع امراته ولما تروح
الكفر احكى لام معيكه تعمل داك العمله مثل ما تعمل الامارة وتحضيك
ام معيكه بداك العمله ولا بد ما يرطنوا على بعضهم البعض بالتركى
وانت تنضر طريقة ما يعملوا بحريمهم وتبقى تقول للجدعان انا بقيت
مثل الامارة وتبقى ام معيكه مثل امراة الامير استاذ البلد ثم انه
صبر الى الليل ودخل الامير الى منزله فقام الفلاح ونظر الى الطاقة
قال فرأيت الامير جالس على سرير من قفص والاعاج اللى يقولوا عليه
الناس وعليه الفرش بلمع وجلست زوجته على سرير مثله وصار الامير
يلاطفها ويحاكيها بالكلام ما يعرف بيقولوا ايه شردم بردم بالتركى
ومرة بالعربى الى ان اشتهى منها فقضى الحاجه فخد من جنبه ورده
ورماها بها فجت له بحسنها وجمالها على احسن حال واتم سرور وعملوا
داك العمله وبعدها كل واحد منهم نام على سريره ثم لما اصبح الصباح
اخذ الفلاح خاطر استاذه وتوجه الى بلده فلما طلع الكفر لاقته زوجته
ام معيكه ومعها زلعه ملآنه ماء من الفحيره فسلمت عليه وجلست هى
واياه فى منادمة مثل منادمة القرود او برية الهنود الى ان سالته

عن المدينه وعلى استاذ البلد فقال يا امّ معيكه المدينه مليحه ولا
صعب غير الشخاخ فيها لانهم لا يشخوا الا فى نقرة وهى مبنية كيف دارنا
ولا مليح كما فى الا امراة استادنا تشنّ وترنّ وعليها خلقان ملاح كيف
نوّار الفول ونوّار ابو النوّم احمر واصفر وعلى راسها لحفه مثل لحفى
اللى البسه فى ايام العيد اللى شريته ايام الفرح بنص فضّه جدد وفى
ايديها اساور صفر الله اعلم انهم من سباط النخل ولابسه قميص احمر
مخيط مثل الزكيبه اللى نعبى فيها الفول الاخضر وفى سيقانها حجل
كيف حجل امّ دعموم اللى شريته لها بنصفين فلوس جدد ولابسه
شايه خضره الله اعلم انها صبغتها ببرسيم ويا محسنها وقت داك العمله
اللى يعملوها الرجال مع النسوان فخاطرى يا ام معيكه تعملى لى مثلها
حتى يبقوا يقولوا الناس ومشايخ الكفر بقا ابو معيكه مثل الامارة
فقالت له يا ابو معيكه احكى على اللى شفته من امراة استادك فقال لها
لما رحت المدينه وطلعت للاستاد فحطنى فى مطرح فيه طاقه تطلّ
على الحريم وعلى المطرح اللى ينام فيه الامير فصرت لما دخل الليل وبقت
انخنس كيف الكلب فرايت الامير استادنا قعد على خشبه سوده مربوطه
بشراميط لها اربع رجلين كيف عريش المقات اللى نعمله ايام البطيخ
فى الغيط وقعدت امراته على خشبة كيفها مثل جرافة الغيط وبقا
يكلمها بكلام الجنادى يقول لها شلضم بلضم تقول له شقلب مقلب حتى
اشتهى منها داك العمله فخدفها بنوارة حمره مثل نوار ابو النوم فقامت
تشنّ وترنّ حتى جت الى عنده وعمل فيها العمله فقالت له ام معيكه
وحياة شاربك اللى مثل شارب التيس لا اعمل لك مثل عمل الامارة وتنفش
على مشايخ الكفر اصبر لما يجى الليل تبلغ مرادك قال فصبر الفلاح حتى
دخل الليل فقال لها اقعدى فى مدود للحمار وانا اقعد فى مدود
البقر قصادك ففعلت وقعدت فى المدود وعليها الشلاتيت
والشراميط وآثار الجله فيها وفيها الشخاخ ايضا قال فلما خطر للتعيس

الناصية قضاء الحاجة بعد أن صار ينادمها بكلام مثل نبيح الكلاب شياط وعياط وسؤالات عن البقر وعن العجله والتور والجله وغير ذلك اراد أن يرميها بشيء مثل ما فعل الامير فحط يده على المدود فرأى قالب طوب محروق فخده وحدفها به فوقع في وسط راسها ففلقها وسال الدم فصرخت باعلى صوتها فاقبلوا الجيران والمشايخ ووصل الحاكم الخبر فاقبل هو وطائفته وسال عن القضية فاخبروه بها فاخذه وضربه ضربًا موجعًا واحضروا للمراة جرايحيًا فقطب رأسها ومكث يعالجها شهرًا كاملًا الى أن برئت فانظر الى هذا التعيس النحس وقلة عقله الخسيس كيف ظهر من ملاعبته لزوجته الهم والنكد وقيام الغارات في البلد (واتفق) ثلاثة انفار من فحوفة الريف ارادوا الطلوع الى المدينة فساروا حتى قربوا منها فقال كبيرهم وصاحب الرأي فيهم اعلموا أن مدينة مصر كلها جنادي وعسكر يقطعوا الروس واحنا فلاحين وان لم نعمل مثلهم ونرطن عليهم بالتركي والا قطعوا روسنا فقالوا له اصحابه يا بودعموم احنا ما نعرف شي بالتركي ولا غيره فقال لهم أنا تعلمت التركي زمان من مدة ما كنت اقعد حدا المشد والنصراني ركبه بركبه حتى تعلمته منهم فقالوا له اصحابه علمنا التركي فقال لهم اذا اطلعنا المدينة نروح للحمام اللي يقولوا عليه نعيم الدنيا نستحما فيه ونغسل جلودنا ويقولوا ان فيه نقرة غويطه يشخوا ويخروا فيها وبعد ما نخرج من نعيم الدنيا نقف ونلتف في بردنا ونتم اقرنا اقول لكم قرداش محمد قولوا اهاه نوار آقول لكم معاكم شي بر منقار قولوا يوق يوق فيخاف صاحب الحمام ويقول لعقله دول جنادي غرب يقطعوا الروس ويخلينا نخرج من غير فلوس وتهيبنا الناس ونبقى في مصر مثل الامارة ويشيع خبرنا عند الكفر أننا امارة نرطن بالتركي فيخافوا منا مشايخ الكفر ولا يبقى لهم علينا كلام ابدا فقالوا له اصحابه دي شوره صواب يا بودعموم قال فساروا حتى وصلوا مصر

وسالوا عن الحمام فدلوهم عليه فدخلوا وشلحوا الزعابيط ورموا البرد
والشلاتيت وصاروا عريانين مثل ما يفعلوا فى البرك والابيار فقال
لهم صاحب الحمام استروا انفسكم فارادوا ان يأخذوا بردهم ليستروا
بها فرمى لهم صناع الحمّام فوط قدم من رجيع الحمّام فربطوها على عوراتهم
غصبًا عنهم وصارت عوراتهم فى الغالب مكشوفه وايورهم مدلّيه
ودخلوا الحمام مثل فحول الجاموس او المعز او التيوس حتى بقوا داخل
الحمّام وغسلوا ما عليهم من الوسخ والسّخام وغطسوا فى المغاطس
مثل الثيران والجديان وخرجوا مع بعضهم البعض وقد تزلزلت
منهم الارض وهم فى حالة الاثوار وصور الابقار حتى لبسوا
الزعابيط وتلفعوا بتلك الشلاتيت وسحبوا تلك النبابيت على
الاكتاف وارادوا الخروج بلا اخلاف قال فصاح عليهم صاحب
الحمام هاتوا الاجره يا عرصات فالتفت كبيرهم وقال لاصحابه قرد اثر
محمد فقالوا اهاه نوّار فقال لهم معاكم شى برمنقار يعنى جديد فقالوا
يوق يوق يعنى ما معنا شى فقال لهم صاحب الحمام اىّ وقت يا تيوس
تعلمتم التركى المعكوس وبقيتم اماره وما هذا التركى الذى يشبه الخرا
اقسم بالله لا يخرج منكم عرص حتى يحطّ الاجره بزياده قال ثم انه
امر الصحابه بصكهم وضربهم واخذ البرد منهم وخرجوا[٢] من عنده
وتداركوا فى الاجره وقد اقترضوها من اهالى الكفر وخلّصوا بردهم
وتوجهوا الى حال سبيلهم (وطلع رجل منهم) المدينة فصادف الجلاد
ينادى فى الاسواق على رجل يستحق القتل فظنّ انه ينادى العونه
يا فلّاحين ففرّ هاربًا الى الكفر فرأى جماعة من بلده يريدون الذهاب
الى المدينة فقال لهم لا تطلعوا المدينة فانهم ينادوا فيها العونه
والسّخره فقيل انهم مكثوا ثلاث سنين ما يطلعوا مصر خوفًا من العو
والسخره فانظر الى قلّة عقولهم وخساسة رأيهم (وطلع رجل منهم) قرية
على شاطئ النيل يوم الجمعة فرأى الناس قاصدين الى صلاة الجمعة

[٢] يعني وقفام
يعمر عشر
٥

فاعتقد انهم ذاهبون الى ضيافه او الى هروبه صنعها لهم امير البلد
فذهب الناس الى ان دخلوا المسجد فذهب معهم وجلس فى بعض الصفوف
الى ان اقبل الخطيب وصعد على المنبر فصار الفلاح ينظر اليه وهو
مرتاب وخائف ومتحير الى ان فرغ الخطيب واقيمت الصلاة وسمع
ضجيجهم بالتكبير والتهليل فاعتقد انها هرجه وقعت بينهم قال فصاح
الفلاح يا ال سعد يال حرام الله وكبر وسحب النبوت وخرج هاربا وهو
يقول خدوك القوم يا بوكتكوت ولم يزل فى خوف وكرب حتى وصل الكفر
فلاقاه اصحابه وسلموا عليه فرأوا احواله متغيره فقالوا له ايش اصابك
ودهاك يا بوكتكوت فقال لهم يا ما قاسيت فى دى السفره كانوا القوم
مرادهم ياخدونى ولولا انى سحبت النبوت وخرجت هارب والا كانوا
قتلونى فقالوا له ايش الخبر يا بوكتكوت فقال لهم وقعت هرجه كبيره
ولا سلمنى الا الله والشيخ ابو طبل فقالوا له احكى لنا على ما جرى لك
فقال لهم دخلت بلد على البحر الكبير فرأيت ناس كتير رايحين زى قطايع
الغنم فقلت لا بد ما هم رايحين لضيافه او لهروبه فرحت معاهم حتى دخلت
دار كبيره فيها حجاره طوال منقامه زى الدعايم بتوع العريشه اللى نعملها
فى الغيط وعليها قناطر مبنيه زى قناطر الصابون وفيها حبال مدليه
زى حبال التيران فى كل قنطره حبل وفى جنب حيط من حيطان الدار
خشبه عاليه لها سلالم زى سلالم الغرفه اللى نعملها على البيوت من الكرس
والطين ونلطخها بالوحل من اولها لآخرها وللخشبه دى لها راس كبيره
زى الناطور اللى نعمله فى المقات وقصادها عريشه صومعه زى
العريشه اللى نحرس عليها الذره والحمص فى الغيط ولها سلالم فطلع
فوقها جماعه وقعدوا فيها ساعه وقام واحد منهم وحط ايده فى ودنه
وقال كلام ما حد يعرفه الا واحد خرج من حاصل فى جنب الدار عليه
عمامه كبيره الله اعلم انه قاضى ومعاه سيف ساحبه وشق من بين القوم
بقلب قوى ووجه كاشر زى وجه تيس الوسيه وما صال لطالع على السلالم

سلم سلم حتى قعد على السلم الاخرانى وهو آخر السلالم وبقت القبه فوق
راسه ونضر للناس اللى تحته وبهت فيهم وكشر عن انيابه وهو ساكت
غضبان كل من شاف شواربه شخ على روحه وحيات نحالكم ولا عمرى شفت
اقوى قلب منه ولا اشد حيل ولولا انه راس صنابيه ماكان عمل دى العمل
وطلع وخد وسحب السيف على القوم وبعدها واحد من الجماعه اللى
على العريشه قصاده قام بقلب قوى وصار يشتمه ويسبه ويقول له
كلام كتير فانخمق لاخر منه وشتمه ولعنه ووقعوا فى بعضهم البعض
شتم وسب ولعن وبعدها نزل الراجل اللى على الخشبه وهو ساحب السيف
يعارك فى الناس اللى تحته قاعدين فلما اشافوه نازلهم بالسيف قاموا
على حيلهم وصرخوا وقالوا الله وكبر وقامت العيطه وكنت اسحب نبوتى
وخرجت هارب وماسلمنى الا الله وبركة الشيخ ابو طبل فقالوا له اهل
الكفر والله يا بوكنكوت لولا عمرك طويل ماسلمت من القوم وكانوا قتلوك
وانت تعرف ان بلاد البحر كلها قوم والقتل عندهم من خطوه فقال لهم
يا شيوخ الكفر ماعدت اروح بلاد البحر طول عمرى فانظر الى قلة عقل
هذا الفلاح ومن جهله وصقاعة ذقنه لا يدرى الصلاه ولا الجامع
من قيام المرجيه (واتفق) لثلاث نسوة من عواهر مصر خرجن يتفرجن
فى ازقة المدينة فلقين رجلا من جوف الريف وهو فى حالة رذيلة وعلى
رأسه قفص ملآن من الفراخ يريد ان يبيعها ويسد بثمنها مال السلطان
فقالت احداهن للاخرى ما تقولى فى اللى ياخد الفراخ من الفلاح ده
فقالت الثانية وانا اخد تيابه وقالت الثالثة كل ده ماهو شطاره
الشطاره فى اللى تبيعه بيع العبد او المقداف والجرافه (ثم ان الاولى)
التى التزمت باخذ فراخه اقبلت اليه ورغبته بزيادة فى الثمن فمضى
معها الى ان اقبلت على درب من دروب مصر وبيت نافذ له باب ثانٍ
من جهة اخرى وقالت له اقعد هنا على الباب ده فانه باب بيتى واصبر
حتى اجى لك بالفلوس ثم اخذت القفص بالفراخ ومضت الى حال سبيلها

من الباب الثانى ولم يزل الفلاح جالسًا على الباب ولم يأته احد ورأى الناس داخلين خارجين من ذلك الباب فتحير فى نفسه وقال لابد ان دى دار كبيرة وسال عن المراة التى اخذت الفراخ فقال له الناس يا سقيع الدقن وقليل العقل البيت ده نافذ وكم ناس رجاله ونسوان داخلين خارجين قال فمشى الفلاح فرأى دربًا كبيرًا نافذًا من الباب الثانى فاحتار وصاح ولطم على وجهه واقام الصراخ فبينما هو فى هذه الحالة اذا اقبلت عليه المراة الثانية وقالت له ايش صابك ودهاك يا مسكين وانت راجل غريب وعليك حال السلطان وضحكت عليك دى العاهرة وخدت منك الفراخ وتركتك فى دى الحالة فقال لها الفلاح وحياة عيونك يا مليحة ما معى غيرهم فقالت له امش معاى الى بيتنا وانا اعطيك شى من الدراهم صدقة عنى فقال لها الفلاح الله يجزيكى خير وانا الاخر لما اروح الكفر ازورك بحزمة الحلاح وحزمة بصل وشوية قرله تبقى صاحبتى وان شا الله اجيب لك كمان عشرين قرص جله قال فاخذته وسارت الى ان اقبلت الى بيت كبير عالى البنيان فسالت عن صاحبه فقالوا لها هذا بيت الامير فلان وقد توجه هو وطائفته الى بعض المنتزهات قال فدخلت البيت فلم تر فيه احدًا سوى رجل كبير بواب فدخل الفلاح معها الى وسط البيت فرات فيه بئرًا من الماء تملأ منه الحريم قال فوقفت ونظرت فى البئر ثم انها ولولت وصرخت وبكت بكاءً شديدًا فقال لها الفلاح بتبكى ليه يا مليحه فقالت له يا فلاح كعبك مشوم وقعت اساورى الدهب فى البير فقال لها ما تخافيش انا انزل وطلعهم لكى من البير فقالت له تعرف تغطس فى الماء فقال لها دى صنعتى وطول عمرى فى الهم والغم وخصادى السنه اللى خرى فيها الضعيف والقوى ثم قال لها اربطينى فى حبل البكرة ودلينى فى البير ثم انه قلع ثيابه التى كانت عليه ودلته فى البير الى ان وصل الى الماء فارخت الحبل عليه واخذت ثيابه وتوجهت الى حال سبيلها

(هذا ما كان منها) واما ما كان من الفلاح فانه لم يزل يغوص فى الماء
ويفتش فى قعر البير حتى كل ومل واسود جلده من برد الماء وكانت ايام شتاء
ولم ير شيئا قال فلما اشتد به الامر صار يصيح وينادى المراة فلم يجبه احد
فبينما هو فى هذه الحالة اذ اقبل الامير وطائفته فسمعوا الفلاح
يصيح فى البير وينادى طلعينى يا صبيه طلعينى يا مليحه دا ما هوش
مليح منك وداعيب عليكى وانا مت من التسقيع والبرد فقال له الخدم
انت انسى ام جنى فقال لهم انا ابو زعبل بن جنيجل بن كلب المش فقالوا دا عفريت
لا كلام فقال لهم والله يا وجوه الخير ما انا عفريت انا راجل فلاح وحكى لهم
قصته قال فدلوا له الحبل فتعلق فيه فلما رآه الخدم وعلموا انه انسى
قالوا دا حرامى وقع فى البير فنزلوا عليه بالضرب والصك وطردوه
وراح يجرى وهو عريان بردان جيعان سقعان وهو لا يعرف اين يذهب
(قال فاقبلت عليه المراة الثالثة) وهو فى هذه الحالة وقد صارت الاولاد
تضربه ويقولون مجنون فوضعت يدها على ظهره ومسحت وجهه
بمنديل كان معها وسترته بفوطه وقالت له امرك الى الله يا مسكين
يا حزين ضحكت عليك نسوان مصر العواهر وخلوك فى دى الحالة
وانت راجل غريب وعليك مال السلطان قال فبكى الفلاح وشكى وقال لها
يا مليحه وحياة شلشولك خدوا فراخى وتيابى وحزامى الليف وشدى
ومركوبى وما عدت اصدق كلام نسوان ابدا فقالت له لا تظن انى
من عواهر مصر انا عمرى ما خرجت من بيتى غير النهارده ولما رايتك فى دى
الحالة شفقت عليك ومرادى اعمل معك جميل وآخذك الى بيتى والبسك
لبس مليح وخليك شلبى ظريف واعملك مملوك وحط لك خنجر فى حزامك
وعلمك التركى وتبقى تقول شندى بندى على فلاص جعاص فقال لها
الفلاح انا فى عرضك يا مليحه تعملينى جندى وتعلمينى التركى وانا على
الحلال من ام شحيبر كل من عاد يقول لى كانى مانى فى زمانى قطعت راسه
ولو كان ابو عوكل شيخ الكفر فقالت له سر بنا يا فلاح على بركة الله تعالى

قال فسار معها الى ان اقبلت الى منزلها فادخلته فيه ووضعت بين يديه الطعام فاكل وشرب وارتاح فى نفسه ثم انها اتته بماء ساخن وغسلته بالليف والصابون والبسته قميص وزبون وشخشير جوخ وقاووق قطيفه وشاش قصب وحزمته بحياصه وخنجر فى حزامه وحلقت لحيته وشواربه وجعلته مملوك حليق واعطته بابوج جديد ومحرمه فى حزامه وقالت له اذا كلمك حد فلا ترد عليه جواب بس هز راسك فاذا الح عليك حد فى الكلام بالحماقه وشدد عليك قل له كرته هريف بوك يمه ولا تزيد عليه غير ذلك فان الكلمه دى اصل التركى اذا عرفتها ما يمضى عليك شهر زمن الا وانت صنجق ويبقى لك طبل وزمر فقال لها الفلاح انا فى جيرتك يا مليحه تخليني ابقى صنجك ويصير لى سطوه فى الكفر وكل من قال لى كل خره اقطع راسه وابقى ان شاء الله ازورك بربع كشك وعشر طور تحاك من اللى تعمله ام شحيبر واعمل لك قاعه واكبسها لك بالوحل والجله وافرشها بالتبن والقصل وتبقى تنامى فيها ويبقوا يقولوا الجدعان ابو شحيبر طلع المدينه فلاح ورجع جندى يقول شندى بندى ويقطع الروس

قال ثم انها اخذته ونزلت من منزلها تمشى وهو يمشى خلفها الى ان اقبلت على سوق خان الخليلى وجلست على دكان من الدكاكين وصاحب الدكان تاجر من عمد التجار وعنده انواع الاقمشه من الخز والديباج والاطلس والشاشات وغير ذلك فقالت له اريد منك كذا وكذا مما يساوى الف دينار فاحضر لها ما قالت عليه وربطته فى بقجه كانت معها وقالت له يا سيدى يكون المملوك ده عندك رهن حتى اروح الى بيت الامير واعرض على حريمه القماش واجيب لك الدراهم فقال لها التاجر توجهى على بركة الله تعالى

قال فاخذت الحوايج وتركت الفلاح عنده جالس (هذا ما كان منها) واما ما كان من التاجر فانه مضى نصف النهار ولم تأته المراة فتضايق والتفت الى الفلاح وهو فى هذه الحاله فقال له ستك بطت علينا فهز راسه حكم ما وصته فكرر عليه التاجر الكلام فهز رأسه اول وثانى ولم يتكلم فتضايق

التاجر من عدم الكلام وقال لجيرانه من التجار ما هذه البلية في هذا المملوك كلما اكلمه يهز رأسه كأنه ما يعرف الا بالتركي قال فبينما التاجر على هذه الحالة اذ اقبل عليه رجل عسكري فقال له التاجر بالله عليك يا سيدي تكلم لنا هذا المملوك بالتركي وعرفنا عن حاله قال فكلمه الجندي بالتركي فهز رأسه فاغتاظ منه وسل عليه السيف واراد ان يضربه فلما رآه يريد ذلك واشتد عليه الامر صرخ الفلاح وقال له كرته هريف بوك يمه قال فلما سمع منه ذلك نزل عليه بالضرب فصار الفلاح يتكلم ويصيح بكلام الفلاحين ويقول انا في جيرتك يا بوزعبل فضحك عليه الجندي وبقية التجار واستخبروه فحكى لهم على القضية فعرفوا انها حيلة عملت على التاجر والفلاح قال فقام التاجر وعراه واخذ جميع ما عليه واراد بيعه للمقداف فتشفع له الحاضرون فتركه ومضى الى حال سبيله عريان محلوق اللحية وهو في اتعس حال حتى وصل الكفر ومكث مدة حتى طلعت لحيته ولم يطلع المدينة بقية عمره وقيل ان التاجر باعه للمقداف بعشرين دينارا ومكث سنة وخلص روحه بالهروب ليلا انتهى (وطلع رجل من الارياف) الى المدينة فحصره البول والغائط فسأل عن عطفة يخرا فيها فدلوه على الازهر فدخل يريد بيت الخلاء وقد دخل وقت الصلاة فرأى الناس مزدحمين على بيوت الاخلية فوقف على باب كنيف يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة ما هو فيه من الحصر فطال عليه الوقوف واشتد به الامر فهجم على الرجل الذي في الكنيف وقبض على اطواقه ورفع ثيابه وجلس بجانبه وقال له دي نقره غويطه طويله اخرا انا واياك فيها كل واحد من جنب ولم يزل قابضا على الرجل حتى قضى حاجته على عجل وقام يجري من غير استنجاء والناس يضحكون عليه حتى غاب عن اعينهم *

(وطلع رجل آخر من الارياف الى المدينة فادركه الغائط فتحير ولم يعرف له عطفة يخرا فيها فلما اشتد به الامر شكى الى ابن مصر حرسها الله تعالى وقال له تضايقت من البول والخره كلما اردت ان اشخ قدام دكان يمنعوني

النّاس ويشتمونى فقال له يا فلاح المدينة ما يخرا فيها احد الا بفلوس
ان كان معك فلوس دليتك على عطفه او نقره تخرا فيها والا تخرا
على روحك فقال له وحياة دقنك ما معايا الا نصّين فلوس جدد
كنت بعت بهم بيض خدهم ودلّنى على محل الخره وابقى ازورك بعشرين
بيضه وجانب كبر قال فاخذ منه النصفين ودخل به الى جامع
واتى به الى بيوت الاخلية واوقفه على بيت الخلاء وقال له اذا خرج
الرجل ادخل انت تجد شق طويل ونقره غويطه شخ واخرا فيها قال
فوقف الفلّاح على باب الكنيف فسمع الرجل من داخله يخرا ويقول
قطن قطن ويكرر هذه الكلمة قال فسمع الفلّاح مقالته
فظنّ فى نفسه انّ الشخص فى مصر لا يسهل عليه خروج الخارج الّا
ان قال هذه الكلمة وصار يكررها الرجل مع التحزق الشديد فاتكد
مع الفلّاح وكان السّبب فى تكرير هذه الكلمة التى يكررها الرّجل
فى بيت الخلاء هو انّ زوجته لمّا خرج من عندها قالت له اشترى لنا
قطن وكان كثير النسيان فصار يكرر اسم القطن حتى لا ينساه ودخل
بيت الخلاء وهو يكرر اسمه حتى وقف عليه الفلاح وسمع كلامه قال
فلمّا قضى حاجته وخرج من الكنيف دخل الفلاح وجلس على كرسى بيت
الخلاء وصار يقول قطن قطن مثل الرجل فبينما هو فى هذه الحالة
اذا اقبل رجل عسكرىّ وطرق الباب على الفلاح فقال الفلاح قطن قطن
فتضايق الجندى وتنحنح له اوّل وثانى وثالث والفلاح يقول انا
ما بقول قطن قطن فهجم عليه وصار يضربه وهو يصيح والجندى يقول
له يا انجس الفلاحين ايش قطن قطن وانت فى بيت الخلاء
ولم يزل يضربه حتى اقبل الناس عليه وخلصوه منه ولم يزل يجرى
حتى خرج من المدينة ودخل بلده فلاقاه اهل البلد وسلموا عليه وقالوا
له كيف حال المدينة يا بو دعموم فقال لهم المدينة مليحه الّا انك تاكل
فيها بجديد وتخرى فيها بنصّين وان قلت قطن قطنوا عينيك من الضرب

(وطلع رجل آخر المدينة) فصادف رجلاً من غلمان استاذه فعزمه الى منزله واحضر له سمكاً صغيراً مقلياً يسميه اهل مصر بسارية له لذة في الطعم قال فصار الفلاح يشف منه ولم يعرف ما هو ثم قال في نفسه دا شئ عمرك ما اكلته ولا رايته ولا بد يا بو قريطم اظن انها الكنافه اللى يقولوا عليها تطلع في المدينه وياكلها الامارة وغدا تطلع الكفر ويلاقوك المشايخ والجدعان ويسلموا عليك وتقعد انت واياهم على كوم ابو عنطوز تنفش الصوف وتبقى زى الكلاب الكواشر وتبقى بينهم تجعص زى تيس الوسيه ويقولوا لك يا بو قريطم قل لنا ما اكلت في المدينة من الطعام اللى ياكلوه الامارة تقول لهم اكلت الكنافه فما يصدقوك ويقولوا تكذب يا عرص فالصواب انك تاخذ لهم عضمتين من عضامها وتحطهم في لحفك ولما يكابروك تقلع بالعضم عينهم قال ثم انه خط في لحفه شيئاً يسيراً حتى طلع على الكفر فاقبل اليه مشايخ الكفر زى الكلاب الشعرانه وهم دنذوف وشحيبه وزعيبر وبعيبر وتروفر وقنافد ولقالق وزداره ونياك الحمار وسلموا عليه وقالوا له يا بو قريطم اطلع بنا الكوم وقل لنا على المدينة وما اكلت فيها فقال لهم المدينه مليحه قوى وفيها جنادى كتير قوى وفيها الخيار الاصفر خدت منه بجديد وخدت بجديد مقلى وخدت من اللى يقولوا عليه الحضر كرشه اللى يبيعوها على الخشبه العاليه العريضه زى الجرافه واكلت وتنعمت واشبرقت حتى خدت كمان وحياة لحاكم بجديد ترمس مملح واكلت فول حار فقالوا له يا بو قريطم كترت عليك مال السلطان وعمايلك دى ما تخلى رزق وانت عمرك بتصرف ولا تحسب حسب الزمان فقال لهم الرزق على الله يا شيوخ الكفر واقول لكم كمان انى اكلت الكنافه اللى بتاكلها الامارة قال فلما سمعوا قاموا على حيلهم وكذبوه فقلع لحفه من على راسه واوراهم عضم السمك فلما راوه صدقوه وصدقوا كلامه وفرحوا وانشرحوا ورقصوا وغنوا حربى وزغرطت النسوان وقالوا له يا بو قريطم بقيت زى الامارة وغدا اشتا في الكفر

يشلش عليك ويقول بقى ابو قربطم سعيد وياكل ما تاكل الامارة ومتى
ما بلغه الخبر يشنعك بالمقداف او الجرافه وانت تكتم السر ولا تقولك
لا لقريب ولا لغريب اكلت الكافه ابدا فقال لهم يا شيوخ الكفر انتم تكتموا
الخبر وتحلفوا لى على الشيخ ابو طبل فحلفوا كلهم ان لا احد يبيع بعد القضيه
فانظر الى قلة عقولهم وشدة جهلهم (وطلع رجل منهم المدينة) يبيع بيض
فاشتراه منه رجل جندى وقال له امض معى الى المنزل خذ الفلوس
فمضى معه فحصر الجندى البول فرأى فى طريقه كنيفا فدخله ليقضى
حاجته فوقف الفلاح ينتظره فابطأ عليه فدق عليه باب الكنيف
فتنحنح الجندى فصاح الفلاح وقال اعطينى حقى يا جندى ما يحل
لك من الله تاخذ بيضى وتخلينى واقف على باب بيتك كلما اكلمك
تنحنح واقام الفلاح الغارات والصياح فاقبل اليه الناس فخرج
الجندى وهو قابض على سراويله ومسك اطواق الفلاح وصار يضربه
بالمحرمة التى فيها البيض حتى كسره على رأسه وسال على لحيته وشواربه
والناس يضحكون عليه ثم خلصوه وفر هاربا (وطلع آخر المدينة)
يبيع تبن فاشتراه منه رجل واعطاه الدراهم فاراد ان يأتى الى رجل
صيرفى لينقدها له فسال عن دكانه فدلوه عليه فاتى اليه فلم يجده
فسال عنه فقال له ولد صغير انه ذهب الى قضاء الحاجة فقال
للولد بالله دلنى عليه فاخذ الولد الفلاح وتوجه به حتى اوقفه على
بيت الخلاء والصيرفى من داخله يقضى حاجته قال فهجم الفلاح
على الصيرفى وفى يده الدراهم وقال له خذ دى الفلوس وبين لى منها
المقصوص من النحاس لانى راجل فلاح وعلى مال السلطان ودلونى
على بيتك ده قال فاندهش الصيرفى وقام وهو قابض على سراويله
يضرب الفلاح والناس يضحكون عليه وصار لهم هيجة وضجة عظيمة
فانظر الى عدم ذوق الفلاح وجهله وكونه لا يعرف بيت الخلاء من غيره
(ومما اتفق) ان قيم الشام فى عدم الذوق سافر الى مصر لزورة قيمها

في عدم الذوق ويفتخر عليه بملعوبه حكم ما تلعب اولاد الفن قال فسافر حتى وصل الى مصر واجتمع بقيمها في عدم الذوق فسلم عليه فقال له قيم مصر ما تريد يا قيم الشام قال اريد ان العب معك في عدم الذوق وكل من كان اعدم ذوق من صاحبه وشهدت له الناس بذلك يكون قيم مصر والشام فقال له حبًا وكرامة في غداة غد ان شاء الله تعالى نجمع اصحابنا عديمين الذوق ونلعب انا وانت في عدم الذوق وتبين شطارتك قال فلما اصبح الصباح جمع قيم مصر طائفته في عدم الذوق وحضر قيم الشام وقالوا له العب واجتهد في عدم الذوق قال فذهب قيم الشام واحتطب حزمة حطب كلها شوك وسنط وحملها على اكتافه وشق بها بين الناس في الزحام فصار الشوك والسنط يشتبك في ثياب الناس وهم يستعدموا ذوقه ويسبوه ويلعنوه الى ان تم ملعوبه واتى الى قيم مصر وطائفته وهم ينظرون ما فعل فقال له قيم مصر بقا شي عندك من عدم الذوق غير دا تفعله قال لا فقال له دي ما هي شطارة لان الناس استعدموا ذوقك لكونك آذيتهم وشوشت عليهم وانا افعل اعجب من ده وهو اني اخلي الناس يستعدموا ذوقي بالورد والنسرين والريحان واشباهها فقال قيم الشام هذا شي له ريحة طيبة وزي ما تعمل فقال له بكرة تشوف ما اعمل فلما اصبح الصباح قال قيم مصر لقيم الشام تعالى معي وانظر ما اخبرتك عنه البارحة قال فمضوا جميعًا حتى اقبلوا على بياع الزهور فاخذ قيم مصر منه شيئًا يسيرًا من الورد والنسرين والريحان ومضى هو وقيم الشام والطائفة حتى اقبلوا على ميضاة المسجد والناس في ازدحام وقت الصلاة في بيوت الاخلية فصار قيم مصر يدخل على الرجل وهو جالس في بيت الخلاء وبيده الورد والنسرين والريحان ويقول له خد يا سيدي شم الورد وغيره يبقى نهارك مبارك واعطيني ما تيسر فيستضايق منه الرجل ويسبه ويلعنه ويستعدم ذوقه ويقول له ما اعدم ذوقك انظر انا في خرا والا في نيان وصار يدخل

٢
وروايه ا
(والآشم و
٥

على هذا وعلى هذا والناس تسبه وتلعنه بهذه الفعلة قال فعند ذلك اقرّ على نفسه قيّم الشام انّه عديم الذوق تحت حكم قيّم مصر وتحت امره واخذ خاطره وتوجه الى بلاده (ونظير ذلك) ما اتفق انّ ثقيل مصر قصد زيارة ثقيل الشام والمسامرة معه واللعب والانبساط فتوجه اليه حتى بلغ دمشق واجتمع بثقيل الشام وسلم عليه فاخذه الى منزله ووضع بين يديه الماكل والمشرب ثم انه ساله عن سبب مجيئه فسكت ولم يتكلم مدة ثلاثة ايام حتى اكل جميع ما كان عند ثقيل الشام ممّا جمعه من الثقالة والرذالة وبعد الثلاثة ايام قال له يا اخي اخبرك عمّا حصل لي في الطريق وهو اني سافرت مع القافلة فعدمنا الماء في بعض المراحل فتوجهت نحو جبل بالقرب منّا فرايت في جانبه بئرًا مهجورة وفيها ماء كثير فقلعت ثيابي ونزلت فيها ولم ازل نازل نازل نازل وصار يكرر هذه الكلمة على ثقيل الشام وهو نازل في الاكل والشرب مدة ثلاثين يومًا فقال له ثقيل الشام يا هذا ما بقي عندي شئ تاكله وآخر نزولك يا اخي ما فعلت في البئر فقال له فلما انتهيت الى قاع البئر وجدت فيه حجر طاحونة فوضعته على كتفي ولم ازل طالع طالع وصار يكررها فقال له ثقيل الشام امسك ما معك انت مكثت مدة ثلاثين يومًا وانت نازل في البئر من غير شئ فكيف طلوعك وانت حامل حجر طاحونة اشهد لك انك قيّم الثقلاء في مصر والشام وانا من تحت يدك انصرف عني قال فاخذ خاطره وانصرف بعد ان كتب له محضرًا بذلك انّه قيّم مصر والشام في الثقالة والرذالة وعدم الذوق (واعلم) انّ اهل الثقالة على انواع فمنهم من يكون ثقيل الذات خفيف الصفات وبالعكس ومنهم من يكون ثقيل الذات والصفات قال الشاعر

وثقيل قال صفني * قلت ايش فيك اصف * (كل ما فيك ثقيل * حل عني وانصرف)

وقال آخر * وثقيل تشمت * اصبح الكون مظلم * (حط في الشرق رجله * مالت الارض والسما)

فمن كان فيه هذه الثقالة وحوى هذه الرذالة ينبغي الرحلة عنه والفرار منه

ن٢
هامش
٥

قال الشاعر * لأرحل عن بلادك الف عام * مسيرة كل عام الف ميل
ولو كانت بلادك الف مصر * ويروى كل مصر الف نيل
تكدرت الخواطر منك حتى * قنعنا من ديارك بالرحيل
وأنشد في فراقك بيت شعر * تلقاه فضيل عن فضيل
اذا حل الثقيل بأرض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

(واشتكى بعض الفلاحين) رجلاً الى القاضي وادّعى عليه انه نزل غيطه بغير اذنه وخش منه برسيما الدابته فأحضر القاضي الرجل المدّعى عليه وسأله فقال نعم نزلت غيطه الا انه ضربني وشوش عليّ فقال القاضي للفلاح واذا نزل غيطك تضربه فقال الفلاح انا بيك يا قاضي تور وانت اذا نزلت غيطي يا هل ترى اضربك اكسر قرنك ولا اخليك تطلع سالم ولا ترعى غيطي فقال القاضي اخرج قبح الله ذاتك ما اجهلك وما اقبح هذا المثل الذي تشبهني به ثم انه طرده ولم يسمع له كلاما (ويقرب من هذا المعنى) ان رجلاً فلاحا دخل على الامير حماد بن بقر وانشد يقول

يا ابن بقر ما انت الا تور * والناس حواك عجاجيل * لما تعمل بقرونك هاش * يولوا الكل جفافيل *

ومعنى هذا الكلام انت ايها الامير في هيبتك وجلالتك وعظم قدرك مثل الثور العظيم المهاب والناس حولك مثل العجاجيل اي مثل العجول الصغار فاذا التفت اليهم ولوا من هيبتك مثل ما ان الثور اذا انتفض بقرونه وهاش في العجول ولت من بين يديه فانشد هذا الفلاح على حسب ما لاءم حاله وناسب جهله وهباله * أقول وعجاجيل على وزن هبابيل كما هو في القاموس الازرق والناموس الابلق واستعمالها في هذا المعنى كما قال بعض جهلة الريف مواليا

*

رايت ام زغابه في المعازيل تطحن وتعجن وتغزل بالمغازيل * وحولها شفت شرذمه من عجاجيل
وهم ينطوا واهي تلعب حناجل * والعجاجيل جمع عجل كما ان الحناجيل جمع حنجول على وزن هبتول وهو مشتق من التحنجل وهي لغة ريفية فانهم يقولون فلان يتحنجل اي يجري جريا خفيفا وينط نطا عنيفا ومعنى هذا الكلام اني رايت

محبوبتى هذه وهى ام زغابة فى معزل من المعازل تتعاطى فيه الطحن والعجن وتغزل فيه ايضًا وحولها العجول يلعبوا وينطّوا وهى الاخرى تتجمّل بينهم وتلاعبهم فمدح هذا الفلاح مناسب لحاله ومقصور عليه وشبه الشئ منجذب اليه (وطلع رجل منهم المدينة) لقضاء حاجة من استاذه فلمّا قضاها ورجع الى بلده لاقاه اصحابه وسلّموا عليه فقالوا كيف حال المدينة فقال لهم المدينه مليحه فقالوا له يا بوعوكل اشّبرقت فيها فقال لهم اشّبرقت شبرقه مليحه والزلابيه اللّى يقولوا عليها للحضر خدت منها بجديدين وسمعت واحد ينادى فى المدينه حلو وباردياتين فخدت منه عشرين جميزه باط بجديد وحطيتهم فى مترد وعفصتهم بيدى وشربت عليهم جرة مويه من البحر فقالوا له هنيالك يا ابوعوكل لكن تصنع وتبعزق ولا تخلى فلوس واحنا خايفين ينكسر عليك مال السلطان فقال لهم يا وجوه الخير الدنيا زايله يا ما ضيّعنا وصرفنا فضاضى وجدايد (وقال رجل فلاح لصديق له) يا فلان عملت السّنه كعك فى العيد فقال له عملت ربعين بالكيل الكبير فقال له حطّيت فيهم ايدام كتير فقال له حطيت بجديدين فقال له افقرت نفسك وكسرت عليك مال السلطان ثم قال له فهل بقى شئ عندك منهم قال بقى معى واحدة اخشّ بها الحمارة من كم دنديط الى كمزهر بيط (وارسل بعض الامراء) غلامًا له فلاحًا بنصف فضة وقال له اشترى لنا به كعك بسمسم وهات عليه زعتر نفطر به فاخذ النصف فضة واشترى باربعة جدد كعك واربعة جدد زعتر من غير دق ووضع الجميع بين يدى الامير فلما رآه الحاضرون ضحكوا عليه فاغتاظ الامير وطرده وتوجه الى بلاده (وارسل بعض الامراء ايضًا غلامًا له فلاحًا) وقال له خذ دى الدّراهم واشترى لنا دبه (يعنى بطة جلد يوضع فيها السمن والعسل) فتوجه الغلام الى الرميله وسأل عن بيّاع الدبب فدلّوه على القرداتى فأتاه ورآه يلعب بالقرد والدبّ والكلب فصبر عليه حتى فرغ من لعبه فتقدم اليه

وقال له مرادى تشترى للأمير دبة مليحة فقال له القرداتى عندى واحدة مليحة روح بنا نفرّج عليها الامير قال فمضى الغلام هو والقرداتى ومعهما القرد والكلب والدبّة حتى دخلوا بيت الامير الذى ارسل هذا الغلام وكان فى ذلك الوقت الامير حاضرًا هناك وعنده جماعة من الاكابر جالسون فلمّا رآهم القرداتى قام يدق فى الطار وسحب القرد والدبّة والكلب يرقصهم ويلعّبهم فقال له الامير ايش ده فقال له القرداتى انّ خدامك ده جانى واخبرنى انّ مرادك تشترى دبه فجيتك بها وبالقرد والكلب تنضر لعبهم وتشترى ما تريد قال فضحكوا الاماره فأمر الامير بضرب الغلام وحبسه ثم انّ الاكابر الذين كانوا جالسين عنده تشفعوا فيه فاطلقه وطرده من عنده وتوجّه الى بلاده * واحسن الامير للقرداتى وامره بالانصراف فانصرف (ورأيت رجلًا فلاحًا يتكلم مع صديق له ويقول له يا فلان انت تعرف تقرا قال له ايوه فقال له ايش هجاء برنق فقال له بره به قاف واو فقال له ايش عرفك ان فيها واو فقال دلتنى عليها النقطه اللى فوق الواو فقال له ان عشت تبقى فصيح لاخوالك (وقال رجل فلاح لآخر) اسمع ما قالوا العشاق فقال له ما قالوا يا بو دعموم فقال شعر مقعص لا له اول ولا آخر * لقد اقول جنيشن خلوت به انت * منزلنا يا طالعة القمر وشن * فقال له دا كلام مون فقال له دا كلام هارون الرشاد اللى وقع فى الجب لقفه التمساح نزل عليه الوحل فى جامع الطيلون اللى النار برد وسلام فقال له يا نعم يا نعم كذلك عيسى بن ابو طالوب جرى له زى ما جرى (وصلى رجل فلاح) فلمّا نوى وقرا الفاتحة حطّ يده على راسه وقال آه يا راسى فقال له رجل آخر عارف بطلت صلاتك فقال له انا ما باشكى لك انا باشكى لربّى وجع راسى ثم انه ركع وصلى واتمّ صلاته ولم يبال بالكلام ولا اعتبر بقول هذا العارف (وصلى رجل آخر من الفلاحين فاحرم بالصلاة وقال يا ربّ خلى لنا بهايمنا وكلابنا وقططنا وحميرنا

وطلع لنا زرعنا وخلى لى ولدى عنطوز فقال له رجل عارف بطلت
صلاتك فقال له الفلاح انا سمعت هذا الكلام من ابويه وجدى
قبل موتهم (وصلى آخر) فلما ركع بان ايره لقصر ثوبه وانكشفت عورته
فقبض عليه رجل آخر من خلفه فصرخ الفلاح بقوله اطلقنى فضحك
واطلقه ثم انه اتم صلاته على هذه الحالة ولم يعرف الصحة من الفساد
(وصلى آخر) فلما جلس للتشهد الاخير جاء ولده وقال يا ابويه البقره
روحت من الغيط فقال وهو متلبس بالصلاة روح وخد شجيبر
يحلبها فى المحلاب ثم سلم بعد ذلك من الصلاة (وصلى رجل آخر) فلما
جلس للتشهد جاء ولده وركب على اكتافه وصكه على قفاه وامسك
لحيته بيده وفيها الوحل والجلة فقال له يا ولدى انزل عنى حتى اتم
صلاتى ثم انه تشهد واتم صلاته فقال له رجل عارف صلاتك باطلة
فقال له الفلاح سمعت ابويه وجدى يقول حديث عن ام عازبه
جدتنا القديمه من لا يسقع دقنه ما يربى ابنه واولاده الصغار
مثل اولاد المعزه وابوهم كيف التيس ينطوا عليه فقال له الرجل
قبح الله الابعد وجدته وامثاله ثم تركه ومضى (وصلى رجل منهم)
فلما كبر رفع يديه وقال والتين والزيتون والنارنج والليمون وقبر
معيكه المجنون جيتك يارب بلحيتى وجلتى وقفاى ومركوبى لا تردنى
يارب خايب لا من رحمتك ولا من رجاك الله وكبر وركع وصلى واتم
الصلاة الفشروية (وصلى آخر) فلما قرا الفاتحة وبلغ قوله تعالى اهدنا
الصراط المستقيم ابدل النون ميما وقال اهدموا الصراط المستقيم
فقال له رجل عارف بطل وخلى الصراط بلا هدم قاتل الله الابعد
(وصلى فقيه ريف بجماعة) فلما قرا الفاتحة وانتهى الى آخرها قال ولا الضالون
فقال رجل من خلفه آمون فالتفت اليه الامام وقال له لحنت فقال له
بل انت كفرت (وحكى) ان رجلا من جهلة العرب صلى بآخر مثله
فقال الامام هذا اللفظ شنتنير كيف بنير جماعة راكبين فيل *

جتهم طيرا ابابيل خلتهم مثل الفطير ثم ركع وركع الآخر واتما صلاتهما التي لا فيش ولا عليش (وصلى آخر من الفلاحين) فلما سجد لدغته عقرب فضرط من شدة اللدغة ثم رفع رأسه بسرعة وقال يارب انت تعلم اني ما ضرطت بخاطري الا غصب عني سامحني يارب ثم انه تشهد وسلم * (وصلى آخر) فلما سجد رأى تحت جبهته انخفاضا فأخذ قرص جلة ووضعه تحت جبهته واتم صلاته عليه (وصلت امرأة من نساء الارياف) * فلما تلبست بالصلاة جاء كلب واخذ من جانبها رغيفا فأمسكته وقبضت على اذنه وشتمته ونهرته وخلصت الرغيف من فمه واتمت صلاتها (وكان بعض الاولاد) يقرأ في الكتاب فجاءت امه واشتكته للمؤدب وقالت له يا سيدنا الولد ده بيئذيني ويشوش علي وانا اصلي واذا ركعت شلح ثيابه وشخ علي فقال له المؤدب احق ما تقول امك قال نعم يا سيدنا فقال له ما السبب في انك تؤذيها وهي في الصلاة فقال له يا سيدنا لان عبادتها باطلة لا فيش ولا عليش لكن اسألها انت ما تقول وما تقرأ في صلاتها فقال لها المؤدب انت تحسني الصلاة فقالت كيف لا احسنها وانا اعرفها من امي وجدتي وجدة جدتي فقال لها اقري الفاتحة فقالت بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اذا جاءك الحج نصر الدين افتح له الباب يدخل ولو كان طواب فقال لها المؤدب قاتلك الله ما هذا قرآن ما عدا البسملة والحمدلة فقال الولد اسألها يا سيدنا ما تقول بعد الصلاة فسألها فقالت اقول زي ما كانت تقول امي وجدتي سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله قال فصاح عليها المؤدب وقال لها كفرت يا ملعونة ثم انه التفت الى الولد وقال له امرتك ان تخرا عليها فضلا عن الشخاخ ثم انه زجرها وطردها وخرجت من عنده (وصلى رجل فلاح) فلما كبر واراد ان يقرأ دعاء الافتتاح قال لقحت وجهي للي شرح السموات والارض لأني لا حنيفا ولا مسلما ولا من القوم الكافرين فقال له رجل عارف فمن اي ملة انت قاتلك الله الابعد

فقال انا من بنى عقبة فضحك عليه ثم تركه ومضى (واما) احوالهم المشهورة واضرابهم كثيرة وامورهم لا تنحصر (ولنذكر فقهاءهم) وما يقع منهم من الجهل المركب وقلة العقل والخبط فى الدين ونحو ذلك فنقول (سئل فقيه ريفى عن تفسير قوله تعالى يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى ما معنى اقلعى فقال هذا الجاهل اى سيرى مثل المراكب المقلعة (وتولى بعض فقهاء الريف عقد نكاح) فقال للولى قل انكحتك بنتى خطيطه البيضة اللون الشقرة الشعر اللى عينها اليمين حولا وعينها الشمال بلا حول بشرط ان ان تكون فى طاعتك وتفيق لدارك وتلزق لك الجلة وتفرش لك فراشها وتسرج لك فتيلتها على عينك ثم قال للخاطب قول قبلت نكاحها ونكاحها وهراشها وفراشها وفرشحتها (وقال شيخنا العلامة) الشيخ شهاب الدين القليوبى نفعنا الله به زرنا سنة من السنين سيدنا احمد البدوى عمت بركاته ونفعنا الله به فى الدنيا والآخرة فلما رجعنا من الزيارة ادركنا المبيت فى قرية من قرى الريف فدخلنا مسجدها فرايناه مثل زريبة البقر فيه آثار الجلة والوحل وهو مفروش ببسيس من الحشيش وجانب منه خال فيه بعض عجول بقر مربوطة فجلسنا تحت المسقوف منه بعيدا عن العجول نتذاكر فى العلم فدخل علينا جماعة من الفلاحين ومعهم رجل طويل القامة غليظ الساقين محزم على بشت من الصوف من غير قميص حافى الرجلين من غير مركوب وعلى راسه عمامة كبيرة عليها الدناسة ظاهرة فقال لنا ما تكونوا فقلنا فقراء من الجامع الازهر فقال لنا تقروا القرآن قلنا نعم فقال اسالكم على سؤال قدام مشايخ بلدى ان قلتولى عليه ورديتم جوابى عشيتكم وبيتكم وان لم تردوا على الجواب طردتكم من البلد فانى فقيه البلد وامامها وخطيبها وما عمر حد غلبنى ولا عرف سؤالى قال فضحكنا عليه وقلنا له اسال عما بدالك فقال يا فقهاء الازهر الصلاه لها كام عنصر وفاين عنصرها الاولانى وعنصرها الاخرانى قال الشيخ عفا الله عنه فقال له رجل من اتباعنا الصلاه لها تلتماية وستين عنصر الاولانى

من عناصرها رجليك والثانى ايدك والثالت طيزك والآخرانى دقنك فحل فسكت واحتار فى امره فقال له اهل بلده غلبوك مشايخ الازهر يا ابو جنجول فقال لهم طول عمرى اسال الفقها وغيرهم السؤال ده ما شفت حد جاوبنى عنه الا دوله وانا اقل لكم يا مشايخ البلد الحق انهم غلبونى قال الشيخ سامحه الله ثم انه توجه الى منزله واحضر لنا مترددين لبن دشيش وخبز ذرة فاكلنا ونمنا فى مكاننا الى ان اصبح الصباح فحضر عندنا ورحب بنا واخذنا خاطره وتوجهنا والحال اننا لم نعرف السؤال ولا الجواب وما عرفنا هذا الكلام غير ان تابعنا لشدة حذقه اجابه من معنى سؤاله واعطاه كلام قصاد كلام (وسال بعض الفلاحين) اخانا فى الله تعالى الشيخ عبد العزيز الدنجيهى رحمه الله تعالى فين هى قبلة طيزك فقال له ذقنك فخجل الفلاح وضحك عليه الحاضرون (قلت) ونظير ذلك ما حكاه شيخنا ان مما اتفق فى بعض السنين انه حضر رجل من العجم الى مصر المحروسة واجتمع بوزيرها واخبره انه من علماء العجم ولا احد يقاومه فى العلم ودخل على عقل الوزير بالكلام وغيره حتى مال اليه وصار عنده فى منزلة عظيمة فقال له الوزير هل فيك قوة لمناظرة علماء الازهر فقال نعم اسالهم بحضرتك سؤالا فان اجابونى فانا من تحت امرهم والا يكون لى الفخار عليهم قال فارسل الوزير الى علماء الازهر فلما حضروا بين يديه وغص المجلس باهله عرض عليهم الامر فقالوا يسال العجمى عما بدا له فقام العجمى بين ايديهم وسالهم بالاشارة من غير كلام يتلفظ به فقالوا له يا وزير الاشارة لا تكون الا للاخرس ولا نعرف مقصوده فقال لهم لابد ان تجيبوه عن سؤاله والزمهم بتلك المسالة لميله للعجمى ومحبته له فقالوا له امهلنا ثلاثة ايام حتى ننظر بقية مشايخنا فامهلهم الوزير فتوجهوا من عنده فقالوا لبعضهم كيف الراى فى دفع هذا العجمى ورده الى بلده مبهوتا فقال رجل منهم الراى عندى اننا ننظر لنا رجلا من اجلاف الريف ونحوهم لا يعرف السماء من الارض ولا الطول من العرض ونجعله شيخنا

ونلبسه لبس العلماء ونمشيه قدامنا ونمشي خلفه ونطلع الى الوزير ونقول له هذا شيخنا وهو الذي يجيب العجمي ونعامله بما يناسب مقامه ونسلط الكلب على الخنزير قال فذهب هو وجماعة منهم ليفتشوا على من بهذه الصفة فرأوا رجلاً من اجلاف الريف طويل القامة عريض القفا غليظ الساقين كبير اللحية على رأسه قحف طويل وعليه جبة من الصوف لركبته وهو جالس في حانوت ياكل بيض مصلوق فدخلوا عليه وكان قد فضل معه بيضة واحدة فلما رآهم ظن انهم يريدون اخذ البيضة منه فأخذها ووضعها في قحفه من داخله واراد الهروب منهم فدخلوا عليه فقال لهم انا في جيركم يا شعرا فقالوا له لا تخف يا فلاح ولا تخش من شئ فقال لهم انا خايف تخدوني لاستادي يقطع راسي وانا عمري ما ضيعت ولا اطلعت مصر غير السنادي وانا كنت جيعان وجبت معاي اربع بيضات شويتهم اكلت تلاتة وفضلت معايه واحدة خفت منكم وشلتها في قحفي وانا علي مكسور من مال السلطان قرشين فقالوا له احنا مرادنا نعمل معك خير وان طاوعتنا اعطيناك القرشين اللي عليك وغديناك وبسطناك فقال لهم انا الآخر كل ما امرتوني به فعلته من امر حفر بيرا وهدم حيط او شيل طين او حله عملتها لكم في ساعة وان كنتم رايحين في عركة خلي عنكم وهاتوا لي نبوت اضرب لكم القوم ولو كانوا الف راجل اطحنهم فقالوا ما مرادنا الا نعملك شيخنا ونطلع بك على واحد عجمي يسالك تجيبه على سواله وتغلبه ولكن لا تتكلم ابداً الا بالاشارة حكم ما يكلمك بالاشارة فقال لهم خدوني للمعرص ده وان طلبتم اضربه خبطه بلكاميه قتلته ولو كان عند السلطان والوزير وانا ياما قتلت وياما سرقت وانا على مال السلطان وعلي اني ارد العجمي ده مغلوب (قال) فأخذوه والبسوه لبس الفقهاء وعمموه على قحفه عمامة مدورة وحط البيضة من داخل عبه فقالوا له خليها هنا لما ترجع فقال لهم وحياتكم لم اخليها لانها بيضة فرخة واول بيضها ولما اجوع اكلها فقالوا له خليها معك ومضوا على حالهم

حتى اقبلوا على الوزير فلما رآهم الوزير قام اليهم واعظم منزلتهم فقالوا له هذا شيخنا الذى يجيب العجمى فى سؤاله قال فجلس العجمى متأدبا جلوس طلبة العلم وجلس الفلاح ومد رجله لم يعتبر من حضر كانه قاعد فى زريبة بقر فلما راه العجمى على هذه الحالة استعظمه وقال فى نفسه لولا انه من العلماء الاجلاء ما احتقر المجلس ثم ان العجمى اشار اليه بالسؤال يريد منه الجواب واقام اصبعا من اصابعه الى نحو الفلاح فاقام الفلاح له اصبعين اثنين فرفع العجمى يده الى السماء فوضع الفلاح يده على الارض فاخرج العجمى من عبه علبة وفتحها واخرج منها فروجا صغيرا ورماه الى الفلاح فاخرج الفلاح البيضة من عبه والقاها الى العجمى فعند ذلك هز العجمى راسه وتعجب منه وقال للوزير ولبقية العلماء قد اجابنى عن سؤالى الذى اشرت به اليه واشهدكم انى صرت من تلامذته ومن اتباعه قال ثم ان الوزير اكرم الفلاح والعلماء اكراما زائدا وانصرفوا منصورين مؤيدين ثم انهم قالوا للفلاح بعدما نزلوا الى منزلهم ما عرفنا حقيقة السؤال والجواب فاخبرنا عنه فقال لهم الفلاح يا خسارة عليكم انتم فقها ولكن ما تعرفوا تردوا المناجوا بانهم انا لما قعدت قصاده وجهه رايت عينيه احمرت وزاد به الغضب وشاورلى بصباعه كانه يقول لى اصحى لنفسك والا خرقت عينك بصباعى ده فاشرت له انا الاخر اقول له ان لم تصح لنفسك والا خرقت عينيك بصباعينى دول ورفعتهم له فرفع ايده الى السما كانه يقول لى ان لم اطيعه والا صلبنى فى السقف فحطيت ايدى انا الاخر على الارض اقول له ان ردت تفعل معى ما بتقول خبطتك فى الارض خبطه طلعت عفاريتك فلما رآنى غالبه وظافر عليه اخرج لى فروج دجاج صغير يورينى انه ياكل كل يوم فراخ وانه متنعم فى الماكل والمشرب فاخرجت له من عبى انا الاخر البيضه المصلوقه اوريه انى متنعم فى اكل البيض المصلوق كل يوم فغلبته ورديت سؤاله

م ٧ شا

قال فلما سمعوا كلام الفلاح وعرفوه ذهبوا الى العجمي وسالوه عن الجواب
فقال لهم طول عمري اسال العلماء بهذا السؤال واناظرهم فما عرف احد جواب
الا شيخكم هذا فقالوا له اخبرنا عن السؤال وعن حقيقة الجواب فقال لهم
اقمت له اولا اصبعي اشير اليه بقولي ان الله واحد احد فاشار الىّ
باصبعين يشير الى انه ليس له ثان فرفعت له يدي اشير اليه انه رفع
السماء بغير عمد فخفض يديه الى الارض يقول لي وبسط الارض على ماء
جمد فاخرجت اليه علبة وفيها فروج صغير اشير اليه ان الله يخرج
الحي من الميت فاخرج الىّ البيضة يقول لي ويخرج الميت من الحي فاجابني
جوابا شافيا فما رايت اعلم منه فعرفوا ان العجمي كان في مقصد والفلاح
في مقصد آخر على حد قول القائل (سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب)
فالاشارات مصادفة والمقاصد مختلفة (كما اتفق) ان رجلا امسك
لحيته فضرط حماره فقال صادفت النكتة (وخطب فقيه) من فقهاء الريف
فقال ايها الناس الى كم تلتهوا في الحصيد وفي الزرع والقلع وغدا يجيكم
اللوم ويحضر لكم القوم فاستعدوا لقتالهم بالمزاريق فما لكم عند الله عذر
ولا تعويق واعلموا يا اهل بلدنا اللي وراه عدو ما وراه هدو قواكم الله
يا قوم قدامكم جيش حرام فانتم تحترسوا لا يجيكم العدو من جنب النقرة
فصلوا وصوموا واطلبوا من الله النصرة وقولوا يا حنان يا منان
انصر شيخ بلدنا عمر قولوا آمين فقالوا آمين ثم نزل فصلى بهم صلاة فشروية
لا فرض ولا سنة (وخطب آخر) فلما صعد المنبر قال اعلموا يا اهل بلدنا
ان عندكم قمح كثير وتبن وشعير وانتم في خير من رب العالمين فانتم
تفيقوا الزرع الوسية والا صبحكم الكاشف بدواهيه وبليه فغدا
تسرحوا للعونة والسخرة وفيقوا للغنم والبقر وافتحوا ابياركم وفيقوا
لدوركم وجداركم واكرموا الخطار بالعدس والبيسار تنجوا من عذاب
النار على ايش يا احباب تهجرونا بلا سبب الله الله قولوا لا اله الا الله
من وحد الله ما خيبه الله آمين والحمد لله رب العالمين ثم نزل وصلى بهم

(وخطب آخر) فلما شرع في الخطبة قام الفلاحون بالعياط والشياط في حساب الزرع والقلع فقال شخص منهم يا جماعة اسمعوا للخطيب وعدوا انه كلب ينبح (وتوجه فقيه) هو وجماعة على انه يسرق واياهم فولاً اخضر من الغيط فذهبوا معه ليلاً حتى اتوا الى غيط رجل من القرية واخذ كل واحد منهم عمراً كبيراً من الفول واخذ هو عمرين ثم دخل الجامع يخطب فلما صعد المنبر وانتهى الى الموعظة وقال ايها الناس قال رجل من رفقائه الذين سرقوا معه بالليل مالك وما للناس لما كنا واياك في السرقة خذ كل واحد منا عمر واحد وانت خذت عمرين فقام اليه الفلاحون وكركبوه من على المنبر وطردوه من البلد لما ثبتت سرقته (وسأل فقيه ريف) بعض العلماء وقال له مرادي اقرأ الاجرومية على مذهب الشافعي فضحك عليه من جهله وطرده (ودخل على العلامة الحميدي رحمه الله تعالى) رجل من فقهاء الريف وقال له عندك مختصر القرآن وكان الشيخ الحميدي شيخ الصحافين بمصر فقال له الشيخ رحمه الله نعم اجلس حتى انظره لك فجلس عنده واذا برجل اقبل على الشيخ وقال له عندك يا سيدي مختصر مسلم فقال له نعم خذ هذا فانه مختصر مسلم لا كلام وطرده من عنده قال فتعجب الحاضرون منه غاية العجب ثم انهم سألوه عن مختصر القرآن فقال لهم انا فقيه الريف اقري الاولاد في بلدي القرآن وقد ثقل عليهم لطوله فقلت لعل احداً اختصره فيكون اسهل على الاولاد ويحفظوه بالسرعة فضحك عليه الحاضرون ومضى الى سبيله (وسعى رجل) من الاكابر عند قاضي القضاة بمصر المحروسة ليأخذ لرجل فقيه نيابة في بعض المحاكم ومدحه عنده فقال ائتني به فلما حضر بين يديه قال له القاضي هل تحفظ القرآن قال نعم ايد الله مولانا القاضي وعندي مصحف مليح بخط المؤلف فتحقق القاضي جهله وضحك عليه وطرده (ودخل بعض فقهاء الريف الجهال) على ابي حنيفة رضي الله عنه ورجل الامام ممدودة لوجع اصابها فلما رآه الامام في هيئة حسنة

وثياب فاخرة لمدّ رجله وكان الامام يقرر فى مسئلة صلاة الصبح ما حكمها اذا اطلعت الشمس ونحو ذلك فقال له هذا الجاهل اذا طلعت الشمس قبل الفجر ما حكم الصلاة فقال الامام آن لابى حنيفة ان يمدّ رجله ثم مدّها ومضى على درسه ولم يلتفت اليه (واتفق) ان اثنين اختصما فى آية من كلام الله تعالى فقال احدهما لعلهم يتفكرون وقال الآخر لعلهم يشكرون فبينما هم فى المشاجرة اذ طلع عليهم فقيه من فقهاء الريف فسألوه لاعتقادهم انه يحفظ القرآن هل هى يتفكرون او يشكرون فقال هذا الجاهل لا تتشاجروا والاولى اننا نأخذ من كل كلمة جانبا ونجعلها لكما لعلهم يتفشكرون ونبطل المشاجرة بينكما فقالا له قاتلك الله كفرت وغيرت كلام الله تعالى ثم طرداه (ودخل رجل) من علماء المسلمين قرية من قرى الريف فرأى رجلا يدرس فى مسجدها ويخبط خبط عشواء وسمعه يروى حديثا باطلا فقال له رأيت هذا الحديث فى اى كتاب فقال له فى كتاب عندى يسمّى الدلهمة والبطال فقال اضعفت حين اسندت ثم قام عليه وابطله التدريس ومضى الى سبيله (وحكى بعض العلماء) قال دخلت قرية من قرى الريف وكان وقت المساء فقلت فى نفسى اسأل عن فقيه البلد وانام عنده قال فسألت عنه فقالوا لى انظره على الكوم العالى فى وسط البلد مات له حمار وهو يطرد الكلاب عنه لاجل ما يسلخ جلده ويبيعه فتوجهت اليه فرأيته على الكوم وبيده حجارة يضرب بها الكلاب ويمنعهم عن حماره الميت حكم ما ذكر لى اهل بلده وهو فى حالة رذلة وثياب دنسة حافى القدم تعس الناصية فسلمت عليه فردّ علىّ السلام بتكلف وهو مشغول بما هو فيه وهو يقول اخص جرّ روح يا مشوم ويضرب الكلاب بالحجارة وهو فى كرب كأنه يغازى القوم قال فجلست ساعة انظر فى حاله واذا برجل اقبل عليه من اهالى قريته وقال له يا سيدنا انا قلت لامرأتى انت طالق بالتلاتة وسألت فما احد ردّها لى وقالوا لى ما عادت تحل لك حتى تنكحها زوج غيرك

وَأَنا خاطرى تردّها لى وتخلصنى من اليمين وخذلك كيلة شعير قال فالتفتَ اليه وقال له ان كان مرادك اخلصك من اليمين ما آخذ الا كيلتين شعير فقال له اعطيك ما تطلب فقال له خذ امرأتك وقت السَّحَر ورُوح بها بركة الماء التى فى المحل الفلانى وخليها تشلح ثيابها وتخوض فى الماء حتى يبلغ الماء سرّتها ولا تخليها تضم رجليها حتى يدخل الماء فرجها فانّ الماء ملك والملك ذكر فصدق عليه انه نكحها قال الله تعا وهو الذى خلق من الماء بشرًا قال فلمّا سمعتُ ما قاله لهذا الرجُل اخذتنى الغيرة فى دين الله تعا وقمتُ عليه بالسّب واللّعن وقلت له قاتلك الله وعلمك وقريتك ونهيتُ السّائل عن هذه الفعلة وقلت له وقع عليك الطلاق الثلاث ولا يجوز لك ان تفعل بما قال لك هذا الجاهل الخبيث وحلفتُ انى لا ابيتُ فى هذه القرية لاجل هذا اللّئيم ثم مضيتُ الى بلد أُخرى ونمتُ بمسجدها الى ان طلع النهار وتوجهتُ الى سبيلى (وقال بعض فقهاء الريف لتلامذته) قد ظهر لى فى القرآن بحث وهو قوله تعا وقيل يا ارض ابلعى ماءك انّه وجه ضعيف لانّه محكىّ بقيل (ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف بساحل البحر بنواحى الجبل فرأى محلًّا يشبه المجلس وفيه البقر والغنم وقد اشتد به الجوع فجلس يقرأ سورة الكهف فاجتمع عليه جماعة من تلك القرية ليسمعوا قراءته الى ان وصل الى قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم فقالوا له يا شيخ نجّست القرآن كلام الله ما فيه كلاب وانت تجعل فيه كلاب اخرج من بلدنا والّا قتلناك قال فقام رجل منهم وقال لا تضربوه ولا تقتلوه حتى نرسل الى فقى بلدنا الحاج مخالف الله ونسأله فان قال لنا القرآن فيه كلاب تركناه والّا قتلناه قال فارسلوا اخلف هذا الرجل فحضر شخص كأنه سارية الجبل من طوله او عمود من عواميد الصّوارى من غلظه وثقل ذاته ورؤيته تقشعر منها الجلود وهو ملفح بحرام ابيض دنس لا غير فلمّا حضر وجلس

اخبروه بالقضية فنظر يمينا وشمالا وقال اصبروا حتى ابين لكم
واكشف لكم الحال ثم انه اضطجع على قفاه وقال لهم اطرحوا على الحرام
فطرحوه عليه فسكت ساعة على هذه الحالة لا يتحرك ثم انه قام بسرعة
عريان مكشوف الراس والعورة ووقف ساعة بهذه الحالة ينظر نحو
السماء وهو فى وجد وكرب ثم دعا بحرام فالتف فيه وجلس وقال لهم
طلعت العشر سماوات اللى خلقها الله تعا فرايت اول سما فيها بقر وثانى سما
فيها جاموس وثالث سما فيها عجول ورابع سما فيها تيران وخامس سما فيها
كذا وسادس سما فيها كذا وصار يعدد اصناف من الحيوانات الى ان قال
وشفت السماء العاشرة مليانة غنم وانتم يا مشايخ بلدنا تعرفوا ان الغنم
تعوز الكلاب ولا تنفار فيها وراعى الغنم لا بد له من كلب يحرس غنمه
خلوا الراجل يروح ولا تقتلوه واعطوه رغيفين دره قال فاخذ الرغيفين
ومضى وهو يحمد الله تعا الذى خلصه من هؤلاء الجهلة (وكان بعض
فقهاء الريف) يدرس فى قرية من بعض القرى وكلما سئل عن مسئلة اجاب
عنها بسرعة نظما ونثرا ولم يتوقف فى الجواب لشدة جراءته فى الكلام من
غير معرفة الى ان حضر مجلسه وهو يدرس جماعة من العلماء ورأوا اسرع
جوابه فى المسائل واتيانه بكلام ليس هو فى كتب الفقه الا ان فيه رائحة
المناسبة فقالوا أمر هذا المدرس عجيب فقال رجل منهم انا اختبره
لكم وابين لكم صدقه من كذبه كل شخص منكم يأخذ له حرفا من حروف
الهجاء ونجعلها كلمة واحدة ونسأله عنها فقالوا هذا الرأى صواب فأخذوا
الحروف وجمعوها فصارت خنفشار ثم انهم جلسوا حوله وقت الدرس
فلما فرغ من الدرس قالوا له يا مولانا راينا فى بعض الكتب الخنفشار
وما عرفنا ما الخنفشار فقال لهم هذا واضح وهو نبات يطلع فى ارض الصين
يعقد به اللبن قال الشاعر لقد عقدت محبتكم بقلبى * كما عقد الحليب الخنفشار
وقال صلى الله عليه وسلم واراد ان يذكر حديثا باطلا فقالوا له امسك
ما معك فقبحك الله انما كلامك فى حق الحكماء والعلماء فقد سلمنا لك

ع

في الكذب عليهم وأمّا الكذب في الحديث فلا نسلّم لك فيه ثم انهم
قاموا عليه وابطلوه الدرس (قلت) ولهذا ذكروا ان العلم امانة
وانّ الشخص لا يجوز له ان يتكلم الّا عن خبر واطلاع وشدّة احتياط باصول
المسائل وفروعها ومراجعة النقول ولا يلتفت لما يقع من جهلة علماء
العوام (فقد سأل بعضهم) رجلاً من اهل العلم عن وصف كلب اهل الكهف
فقال لا اعرف وأتى والده وكان من العلماء فقال له اني سئلت اليوم
عن وصف كلب اهل الكهف فقلت لا اعرفه ولم يبلغني في وصفه شئ
ثابت فقال له ابوه لاىّ شئ توقفت في الجواب كنت تقول لهم صفته كذا وكذا
ولونه كذا وكذا ولا تنسب نفسك الى الجهل قال فاغتاظ منه ولده غيظاً
شديداً واصبح ينادي عليه في الجامع ويقول لا تأخذوا العلم عن والدي
فانّه رجل كذاب مدلّس وقع منه كذا وكذا وذكر لهم القصّة (واوصى
لقمان ابنه) فقال له يا بنىّ اذا سألك الناس فقل لهم لا ادري فانك
اذا قلت لهم لا ادري لا يسألونك حتى تدري وان قلت ادري سألوك
حتى لا تدري (وقرأ بعض جهلة فقهاء الريف) واذا بطشتم بطشتم خازن
يريد بطشتم جبّارين (وقرأ آخر منهم) ولله ميزاب السموات فقيل له
ما معنى ميزاب قال الذي ينزل منه المطر (وادّعى فقيه) حفظ القرآن
فقيل له الحمد لله لا شريك له من لم يقلها لنفسه ظلماً في اىّ سورة فاطرق
ساعة ثم قال في سورة الدخان (واشتكى رجل) ولده للقاضي وقال له
أصلح الله مولانا القاضي هذا ولدي يشرب الخمر ولا يصلي فقال له القاضي
ما تقول قال فانّه يقول غير صحيح فاني اصلّي ولا اشرب الخمر فقال له ابوه انه
يزعم انه يقرأ القرآن وانه فقيه البلد فقل له يقرأ شيئاً منه قال له القاضي
اقرأ يا غلام فقال بسم الله الرحمن الرحيم (علق القلب الربابا * بعد ما شابت وشابا)
(ان دين الله حق * لا تغيره ارتيابا) فقال ابوه هذه سورة كنت حفظتها
من زمان ونسيتها اليوم فقال القاضي وانا الآخر كنت احفظ فيه آية
أخرى وهي (ارحمي صبًّا كئيبًا * قد رأى البعد عذابا) *

ثم قال القاضى للرجل خذ ابنك فانه ماهر فى القرآن فانظر ايها المتأمل
الى جهل الغلام وابيه وتعجب من جهل القاضى الذى لم يفرق بين الشعر
والقرآن (وكان بعض العلماء)[٢] كلما سئل عن مسئلة يقول من جهله فيها
قولان فقال له رجل أفى الله شك فقال فيه قولان فكفر بحسب عبارته
وبعضهم[٣] اجاب عنه بان فيها قولين من جهة النحو (ودخل بعض العلماء)
قرية من قرى الريف وكان يوم الجمعة فلما قربت الصلاة توجه ليصلى
فرأى اهل القرية جميعا داخلين المسجد وكل واحد منهم معه قفة من
خوص وفيها مغرفة وخشبة وسكين من حديد وفأر ميت معلق فى
عنقه فتعجب من فعلهم وقال لابد آنى اسأل فقيه البلد عن ذلك الامر
فبينما هو متعجب من فعلهم واذا بالفقيه داخل الى المسجد للخطابة
وهو ايضا مثلهم حامل قفة فيها مغرفة وخشبة وسكين ومعلق فى
رقبته فأرا ميتا ورآهم كلهم يصلون بهذه الحالة فتقدم الى الخطيب
وسأله عن هذا الامر ومن أمر اهل القرية بهذه الفعلة فقال له انا امرتهم
بذلك فقال له هذا الامر باطل والصلاة باطلة وما دليلك على ذلك
فقال حديث رأيته فى كتاب عندى واسمه كتاب التنبيه ولفظه حدثنى
بخنى بن تحنى عن شعبان النورى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تصح
جمعة احدكم الا بقفة ومغرفة وخشبة وسكينة وفار فطلب منه الكتاب
فرآه كتاب التنبيه تصحفت عليه بالتنبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تصح
جمعة احدكم الا بعفة تصحفت بقفة وسكينة تصحفت بسكينة
وخشية تصحفت بخشبة ومعرفة تصحفت بمغرفة ووقار تصحفت بفار
واما سند الحديث فهو حدثنى يحيى بن يحيى عن سفيان الثورى فصحفت
مثل ما مر قال فقام عليه ذلك العالم وعلى اهل القرية وابطلهم هذا الامر وسعى
فى خروج هذا الفقيه الجاهل من القرية لعدم معرفته وجهله وقلة عقله فاخرجوه
من البلد بيد امير البلد وطردوه (ودخل بعضهم) قرية من قرى الشام فسمع المؤذن
يؤذن ولم ينطق بالشهادتين بل يقول وانتم يا اهل هذا البلد تشهدون ان محمدا رسول الله

[٢] قوله بعض العلماء صواب العبارة ان اباه هو الذى قال فيه قولان وكان ابوه جاهلا ريفيا وكان هذا العالم كلما يتكلم يقول قال الوالد قال الوالد فتشوق تلامذة ولده الى رؤية هذا الشيخ الوالد لكثرة الرواية عنه وقالوا لشيخهم ولده لابد لنا من رؤية الاستاذ الوالد فاحضره والبسه شعار العلماء وقال له لا تتكلم انما امسك المسبحة وما دمت قاعدا فى المجلس تقول بس بس بس اشارة الى انك متشيخ واذا سألك احد سؤالا قل فيه قولان فالتزم هذا الجاهل ذلك فاستفرغه بعض التلامذة بهذا السؤال وهو أفى الله شك فقال

[٣] ولده كما فى الحكم وهى طويلة ٥

[٤] النبيه

قال فتعجب من ذلك ودخل المسجد فرأى الناس مزدحمين على شئ يباع فيه فاذا هو خمر قد صبوه فى اناء ويناول رجل منهم للناس ويقول هاتوا الثمن ويقبضه منهم فقال هذه اعجب ثم مضى الى المحراب ليسأل الامام فوجده قد اقبل على رجل واحدة ورجله الاخرى مرفوعة واقيمت الصلاة فصلى ورجله على حالها فلما خرج من صلاته سأله عن القضية وعن رفع رجله فى الصلاة وسبب الاذان والخمر فقال له اعلم يا سيدى ان المؤذن الذى سمعته لا ينطق بالشهادتين نصرانى احتجنا اليه لمرض اصاب المؤذن ورأيناه صيتا فاقمناه مقامه فهو لا يقدر ينطق بالشهادتين واما الخمر الذى رأيته يباع فى المسجد فان المسجد له كرم عنب موقوف عليه واذا بعناه من غير عصير لا يقوم ثمنه بالمستحقين وارباب الوظائف واما رفع رجلى التى رأيتها فقد اصابتها نجاسة وانا داخل المسجد وادركتنى الصلاة فقلت ارفعها واصلى على رجل واحدة لاجل صحة الصلاة لانى خشيت من المشى عليها فيحصل التلويث للمسجد وتبطل الصلاة قال فتعجب الرجل واتى القاضى فدخل عليه ليسأله عن هذا الامر فوجد غلاما يلوط فيه فتحير فى امره وقال له ما هذا يا مولانا القاضى فقضيتك اغرب مما رأيت واعجب فقال له لا تعجب ان هذا الغلام يدعى اهله انه بلغ الحلم وجماعة يقولون انه قاصر فاخذته لاختبره وقلت ان فعل وانزل فانه يكون قد بلغ الحلم والا فهو قاصر فرأيته قد انزل المنى وتحققت بحلمه وبلوغه وهذا من باب التجربة لاجل اقامة الشرع الشريف فقال الرجل قبحكم الله انتم وقريتكم جميعا وحلف ان لا يعود اليها بقية عمره (وتولى) بعض فقهاء الريف للجهال القضاء فارسل الى من ولاه هدية وارسل معها مكتوبا مضمونه بعد السلام على مولانا الافندى ان الواصل لكم هدية خروفين وسمن موجتين الافندى خروف وسمن موجة والنايب خروف وسمن موجة قال فلما وصل القاضى مكتوبه امر بعزله وتحقيره واخراجه من القرية

(ونظيره) مكتوب فنين الذى ذكره سيدى على بن سودون فى ديوانه الذى ارسله الى اهله من الصعيد قال فى عنوانه يصل ان شاء الله تعالى الى دربنا المحروس الذى خشبته سنط ولقية ويسلم ليد اهل بيت فنين وفى داخل المكتوب السلام عليكم بعدد ما فى النخيل من الاوراق سلام لا يسعه طبق ولا طبقين ولا اطباق اطول من مقود زدافة ولو كان طاق او طاقين او طاقات من كل بد وسبب وفى هذا المعنى اقول لكم كمان شعر

ان كان ابى مامات وامى تعيش * فبلغهم يا ريح عنى السلامات
وروح قل لهم انى مع الناس فى البلد * ويا ما جرى لى بعدكم من نكبات
وانكم فى غفله كبيره عن ابنكم * وانا ان مت قولوا الاحيله فنين مات

والذى نعلمكم به ان كنتم للشبع طيبين يا لخيا انى ارسلت لكم صحبة القاصد على جوزوز فص الصيف من ديك الوزه وايضا خروف ابلق وخروف بلا بلاق وسبحان الله تبقوا تتكلموا اخراف ارسلتم تطلبوا حبل تنشروا عليه الغسيل وقلتم لنا على طوله ولا قلتم لنا على عرضه وارسلتم تطلبوا كشك وانا ان ارسلته لكم من غير طبيخ فضيحة وان طبخته ما يوصل لكم حتى يبرد وطلبتم نيد وما قلتم لى بعسل او بلاشى وطلبتم قليلات والفلاحين ما يزرعوا الا قرع طويل فيكون ذلك فى خاطركم من حقه وبلغنى ان امراتى حبله من بعدى فلا تخلوها تولد حتى اجى وان ولدت قبل ذلك لا يكون الا صبى وسموه دار الخطيب فانى دخلت دار الخطيب ورايت فيها من الطعام شى كتير اعجبنى وجرت لى فيه حكايه ولكن ما تقولوها لحد ابدا تبقى فضيحه وذلك انى اكلت يوم بطيخ وبت حشاكم العتب فى بيت الفلاحين فشخت فى ثيابى وانا معذور بزياده فان البطيخ بكتر الشخاخ فغسلت قميصى ونشرته فى السطوح فقام بالامر المقدور ضربه الهوا فوقع من فوق لتحت وارتجفت بسلامتى رجفة خلتنى ضعفت ضعفه لو ضعفها غيرى كان مات وعرفت انها ما هى بشارة خير وانها تدل على موت امى وابويه والحمد لله اللى كانوا فدايه وانى صليت وصمت لله تعالى

اللى ماكنت فى قميصى ولوكنت فيه كنت اتكسرت فقلت حوالينا ولا علينا ولكن من الرجفة وجعتنى عينى اللى تبقى ناحية المشد وقت ما اخرج من دارنا والذى نعلم به الوالد زوج الوالده انى دخلت يوم البستان انا والخولى فرايت فيه نخل شى طويل وشى قصير وشى ما يشبه شى فقلت له دى ايه قال لى توت ودى ايه قال لى غله ورايت يابويه نخله كل ورقه قد الصفه اللى تتخنت امى فيها فقلت ودى ايه فقال لى موز فعجبنى قوى وقلت له الموز يطلع فى البستان فقال لى ايوه فقلت له والجبن المقلى يطلع فين قال يطلع فى طاجن الجبان وانا كل يوم اجى واطل من الطاقه وعمرى ما شفت فى طاجن الجبان جبن مقلى فوعدت الخولى وراهنته من امراتى الحلله لامراته اللى بلاحبل بانه يعمل امراتى يوم وانا اعمل امراته يوم فلا تخلوه يغلبنى وياخد امراتى وابقى يتيم وكأنى وودن الشيطان مسدوده اصبحت اكتب لى محضر واخد خاطر الجيران ما راوا نخلة جبن مقلى فى طاجن الجبان والذى نعرفكم به انى لما طلعت البلد ولقيت النصابون نالى فبعت الحماره البيضه واشتريت لى حماره سوده على شان ما تتوسخش وكان كلام كتير فانى لو كتبت لكم اللى فى خاطرى لكان كلام يجى من حد عندكم لحد عندى وبعد السلام على اهل الحاره كل واحد باسمه كتير كتير بتاريخ صبيحة يوم الجمعة الحرام بعد صلاة التراويح من يوم عاشورا السابع والثلاثين من جماد الاوسط سنة ما اعرفش اللى تقولوا عليه بالامارة مطرت المطره واهل البلد يعرفوا ذلك (ونظير هذا المكتوب كثير لا يحصى) فقد ارسل بعض فقهاء الريف مكتوبا سنة سبع واربعين والف يقول فيه السلام من الفقى ابو على اللى اسمه محمد على حضرة صاحبنا اللى يطالع فى القرآن زى ما يطلع الزرع فى الغيطان ويتكلم بالفهامه ويا ما له علينا شهامه اللى يبيع الكتب المنظومه من الكلام زى قصة الجاريه والتوذد والورد فى الاكمام حاوى الكتابه فى السطور ومن يعرف كتاب الفخ والعصفور وانا فى شوق واشتياقه لا يحمله جمل ولا ناقه *

ولاحمار ولا حمار دين ولا بغل ولا بغلين ولا زرافه وفى هذا المعنى اقول لك كمان

السلام عليك يا سيدى والرحمه * سلام من هو لا ياكل بعدك لقمه
الا صايم عن الزاد وهو زى الاعمه * وانا قصدى اشوفك ولو فى الضلمه

وانا كنت اريد اجيك وحياة راسك ماعوقنى الا سرموجتى مقطعه وانا اقول لك شوف لى كتاب كنت شفته من زمان وسمعت بداه عليه وياما قالوا لى عليه الناس وهو قصة مدينة النحاس وما جرى فيها من العجايب وانا انبارح كنت رايح اشيع لك كلام افتكرته وعاود نسيته الله يسامحك ويسامحنى الله لاغالب الا الله والسلام عليكم وعلى من كانوا جيرانك على اليمين والشمال وكتب هذا الكتاب ابو على واسمه محمد وكتب عنوانه توصل دى الورقه مع ابو عمارة اللى يبيع فى بلدنا الفول والمش والزيت الحار يوصلها لبولاق وواحد ينى يوصلها لسوق الكتب اللى يقولوا فيه حراج حراج * فانظر الى شدة هذا الجهل والى هذا الكلام الذى يشبه الوحل وامثال هؤلاء الجهال كثير * ولقد احسن الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالى نفعنا الله به فى الدنيا والآخرة حيث قال

تصدر للتدريس كل مهوس * بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لاهل العلم ان يتمثلوا * ببيت نفيس شاع فى كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

ومما ينسب لسيدى عبد العزيز الديرينى

ان شئت تدعى فقيه قوم * فطول الكم ثم عمم
واجعل على الراس طيلسانا * واعقد على المنكبين واختم
واجلس مع القوم فى صياح * لا بالبخارى ولا بمسلم
الا صياحا ونفض كم * ولا ولم لا ولا نسلم
وان لقوا الوقف ياكلوه * وقد نسوا العلم والمعلم
ثيابهم بيضوا رياء * وقلبهم بالسواد مظلم
فلن ترى فى الورى فقيها * فصح وقل يا سلام سلم

٢ سحم المدرس ٥

اى اذا رأيت فقيهًا على هذه الحالة فأسأل الله السلامة منه والبعد عنه نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والاخرة (ذكر شعرهم ورثاهم) قيل مر بعض اهل الارياف بجماعة من اللطفاء ينشدون الاشعار فى معنى العشق فقال لهم زيدوا يا مغنيين القوم من ذى القول المليح فقد ذكرتونى نشيد مليح قلته وانا احرث فى الغيط الكمنى عشقت ام معيكه وكنت دايخ اموت من عشقها وغرامها فقال له هؤلاء الجماعة انشدنا ما قلت فى ام معيكه فانشد يقول مواليا * (ماضال قميصى يشحطط من ورا المحرات * حتى اتتنى صبيه رايحه بتبات (فقلت يا ام معيكه ارحمى من مات * قالت انا رايحه اخرا واجيلك بيتات) اقول هذا الكلام من بحر الخرا الوافى الذى ليس له اول من آخر وقائله ابلد البشر او من اغشم البقر وتفاعيله باحتياط متخبط خبط متخبط خباط وطوله بالتوكيد من اسكندريه لرشيد وعرضه باحتياط من الصعيد لدمياط ومعناه الذميم ومبناه السخيم (ماضال) هذه كلمة يستعملها اهل الارياف وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق واصلها ما زال فبدلوا الزاى ضادًا لاعوجاج السنتهم واشتقاقها من الضل او الضلال او من الضيلة وهى الحية قال الشاعر (فبت كانى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى انيابها السم ناقع) ومصدرها الفشروى ضل يضل ضلالًا فهو ضال ومضلول (قميصى) على وزن حريصى او خبيصى واشتقاقه من القمص اى قمص الحمار يقال حمار قماص او من بلد يقال لها منية القمص ومصدره قمص يقمص قمصًا فهو قامص ومقموص والقميص ما يلبس من الكتان وغيره (يشحطط) مأخوذ من الشحططة او من الشحوطة اى ينسحب وينجر على الارض يقال شحططه اذا جره على الارض وهذه من لغات الارياف وقال بعض شعرائهم مواليا

شحطط صحيبك ورخه الفقرقله * واكويه بالنار حتى يلتقى عقله
حتى يلين ويبقى قرص من جلّه * قوم اطعمه سو عدس وبيسار وبسله

والشاهد فى قوله شحطط صحيبك وشحطط على وزن ضرّط بتشديد الراء وضرّط فيهما مناسبة من وجهين الاول الوزن والثانى اذا شحطط

وجر على الارض او فى جورة او فى نقرة رغما ضرطا من شدة ما يحصل له من المشقة والم التشحطط فكان المعنى ظاهرا (وقوله من ورا المحراث) اى من خلفه ووصف قميصه بانه صار ينجر خلف المحراث لاحد امور اما لانه غلب عليه الشقاء وكثرة الحرث والتعب فخلع كمه من يده كما يفعله الحراثون اذا اشتد عليهم التعب وزاد عليهم النصب فيفعلون ذلك لترويح اجسادهم وهذا لا يفعله الا اكابر الحراثين واما غيرهم فانه فى الغالب لا يحرث الا عريان او عليه خلقة مقطعة لا تستر العورة فهذا يدل على انه كان من اكابر الحراثين ويحتمل ان قميصه كان مشرمط فصار ينجر خلفه وينشبك فى الشوك والحلفه او يقال انه قلعه ووضعه على كتفه كعادة الحراثين فصار ينجر خلف المحراث ومن شدة تعبه من الحرث واعتنائه بما هو فيه لم يلتفت الى احد ولم يجد له مرقة يلمه من الارض حتى جاءته تلك الضبية (والمحراث) آلة معروفة عند الفلاحين وجمعها محاريث ومن لوازمها المشقة وسواد الوجه من الحر والبرد قال شاعرهم

تضال عمرك يا محراث تاعب جماعتك * لما ليوم الحشر ما انت مفارق

فالحراث دائما فى تعب شديد وهم مزيد وليس فى الفلاحين اتعب منه خصوصا اذا كان فى معاناة الجرافة السلطانية وهو اقل عقلا من غيره لانه فى النهار رفيق الاثوار وفى الليل رفيق النساء فى الدوار فلم يكمل له عقل * ومثله فى قلة العقل مؤدب الاطفال فانه طول نهاره رفيق الاطفال وطول ليله مع النساء ويدل على قلة عقل مؤدب الاطفال قبوله شهادة القاصر على البالغ وان شتم ولد ولدا آخر وجه المشتوم الشتمة الى المؤدب بقوله يقول لى الولد ده دم الحس فقال يا سيدنا والولد الآخر يقول لى يا ابن القحبه يا سيدنا ويقول لى دم اخرق عينك يا سيدنا ونحو ذلك من هذه الالفاظ * وقد وجد عند مؤدب اطفال طبلة وزمارة وفرقلة فسئل عن ذلك فقال اجمعهم بالطبلة وافرقهم بالزمارة واصرفهم بالفرقلة (ورايت فى بعض الكتب) ان مؤدب اطفال

كان يعلم الاطفال القرآن فى غرفة له فاتفق الاولاد على ان يبنوا على باب
الغرفة حائطا ويمنعوه من الدخول اليها ففعلوا ذلك ليلا ولما اصبحوا
جاؤا الى المؤدب وقالوا له ان الغرفة هربت بالليل قال فشد وسطه وعدا
فى طلبها ومازال فى البرية يمشى حتى قارب الليل فلم يجد شيئا فرأى صومعة
فيها راهب فساله هل رأيت غرفة فيها الواح ودوى فقال الراهب فى
نفسه انه احمق لا عقل له ثم قال له نعم انها مرت على الظهر وانت لا تلحقها
ولكن بت عندى الى السحر وانت تلقاها فقبل منه ذلك القول وصعد
عنده وقد هلك من الجوع والعطش واضره التعب فاحضر له الطعام
فاكل وشرب حتى شبع ثم اسكره ونومه وقام اليه وجرده عن ثيابه
التى كانت عليه ولبسها الراهب والبسه ثياب الرهبان وشد له زنارا
وتركه فلما كان وقت السحر نبهه وقال له ويحك ان الغرفة رجعت
الى البلد فقم وادخل البلد تجدها قال فقام ومضى الى البلد فرحا
مسرورا فلما رآه الناس قالوا له انت صرت راهب قال لا والله الا
انى بت عند راهب وقلت له نبهنى وقت السحر فايقظ نفسه وتركنى
قال ثم انه رجع الى الصومعة وصار يتذلل له ويقول له بالله عليك
يا راهب نبه نفسى حتى اروح البلد وخذ نفسك اجعلها مكانها صدقة
عنك بحق المسيح قال فصار الراهب يضحك عليه حتى ايس منه وانصرف
فانظر الى قلة عقله وشدة جهله (وكان ايضا بعض مؤدبى الاطفال)
اذا وقف يصلى وركع اخرج راسه من بين رجليه وقال شفتك يا ابن
القحبه رأيتك يا ابن العرص ويشتم الاولاد ثم يسجد ويتم الصلاة
(وقوله حتى اشتى صبيته) اى لم يزل على هذه الحالة الشنيعة والعيشة الذميمة
والكرب والتعب ومعاشرة اخوانه من الثيران والابقار فى الليل والنهار
حتى مرت عليه هذه الصبية وهى ضد العجوز وصبية على وزن بلية او وزن نية
مشتقة من الصبوة على وزن اللبوه او من الصابون او من مصبنه
فشغلته بحبها وفتنته بجمالها وسباه هواها لا سيما وهى من ملاح الريف

وجر على الارض او فى جورة او فى نقرة ربما ضرط من شدة ما يحصل له من المشقة والم التشحطط فكان المعنى ظاهرا (وقوله من ورا المحرات) اى من خلفه ووصف قميصه بانه صار ينجر خلف المحرات لاحد امرين اما لانه غلب عليه الشقاء وكثرة الحر والتعب فخلع كمه من يده كما يفعله الحراثون اذا اشتد عليهم التعب وزاد عليهم النصب فيفعلون ذلك لترويح اجسادهم وهذا لا يفعله الا اكابر الحراثين واما غيرهم فانه فى الغالب لا يحرث الا عريان او عليه خلقة مقطعة لا تستر العورة فهذا يدل على انه كان من اكابر الحراثين ويحتمل ان قميصه كان منشرمط فصار ينجر خلفه وينشبك فى الشوك والحلفه او يقال انه قلعه ووضعه على كتفه كعادة الحراثين فصار ينجر خلف المحراث ومن شدة تعبه من الحرث واعتنائه بما هو فيه لم يلتفت الى احد ولم يجد له مرقة يلمه من الارض حتى جاءته تلك الضبة (والمحرات) آلة معروفة عند الفلاحين وجمعها محاريث ومن لوازمها المشقة وسواد الوجه من الحر والبرد قال شاعرهم

نضال عمرك يا محراث تاعب جماعتك * لما ليوم الحشر ما انت مفارق

فالحراث دائما فى تعب شديد وهم مزيد وليس فى الفلاحين اتعب منه خصوصا اذا كان فى معاناة الجرافة السلطانية وهو اقل عقلا من غيره لانه فى النهار رفيق الاثوار وفى الليل رفيق النساء فى الدوار فلم يكمل له عقل * ومثله فى قلة العقل مؤدب الاطفال فانه طول نهاره رفيق الاطفال وطول ليله مع النساء ويدل على قلة عقل مؤدب الاطفال قبوله شهادة القاصر على البالغ وان شتم ولد ولدا اخر وجه المشتوم الشتمة الى المؤدب بقوله بيقول لى الولد ده دم الحس قفاك ياسيدنا والولد الاخر بيقول لى يا ابن القحبه ياسيدنا وبيقول لى دم اخرق عينك ياسيدنا ونحو ذلك من هذه الالفاظ * وقد وجد عند مؤدب اطفال طبلة وزمارة وفرقلة فسئل عن ذلك فقال اجمعهم بالطبلة وافرقهم بالزمارة واصيحهم بالفرقلة (ورأيت فى بعض الكتب) ان مؤدب اطفال

كان يعلم الاطفال القرآن فى غرفة له فاتفق الاولاد على ان يبنوا على باب الغرفة حائطاً ويمنعوه من الدخول اليها ففعلوا ذلك ليلاً ولما اصبحوا جاؤا الى المؤدب وقالوا له ان الغرفة هربت بالليل قال فشد وسطه وعدا فى طلبها وما زال فى البرية يمشى حتى قارب الليل فلم يجد شيئاً فرأى صومعة فيها راهب فسأله هل رأيت غرفة فيها الواح ودوى فقال الراهب فى نفسه انه احمق لا عقل له ثم قال له نعم انها مرت على الظهر وانت لا تلحقها ولكن بت عندى الى السحر وانت تلقاها فقبل منه ذلك القول وصعد عنده وقد هلك من الجوع والعطش واضره التعب فاحضر له الطعام فاكل وشرب حتى شبع ثم اسكره ونومه وقام اليه وجرده عن ثيابه التى كانت عليه ولبسها الراهب والبسه ثياب الرهبان وشد له زناراً وتركه فلما كان وقت السحر نبهه وقال له ويحك ان الغرفة رجعت الى البلد فقم وادخل البلد تجدها قال فقام ومضى الى البلد فرحاً مسروراً فلما رآه الناس قالوا له انت صرت راهب قال لا والله الا انى بت عند راهب وقلت له نبهنى وقت السحر فايقظ نفسه وتركنى قال ثم انه رجع الى الصومعة وصار يتذلل له ويقول له بالله عليك يا راهب نبه نفسى حتى اروح البلد وخذ نفسك اجعلها مكانها صدقة عنك بحق المسيح قال فصار الراهب يضحك عليه حتى آيس منه وانصرف فانظر الى قلة عقله وشدة جهله (وكان ايضاً بعض مؤدبى الاطفال) اذا وقف يصلى وركع اخرج رأسه من بين رجليه وقال شقفتك يا ابن القحبه رأيتك يا ابن العرص ويشتم الاولاد ثم يسجد ويتم الصلاة (وقوله حتى اتتنى صبيه) اى لم يزل على هذه الحالة الشنيعة والعيشة الذميمة والكرب والتعب ومعاشرة اخوانه من الثيران والابقار فى الليل والنهار حتى مرت عليه هذه الصبية وهى ضد العجوز وصبية على وزن بلية او زنة مشتقة من الصبوة على وزن النبوه او من الصابون او من مصبنه فشغلته بحبها وفتنته بجمالها وسباه هواها لاسيما وهى من ملاح الريف

وخصوصًا اذا كانت فى وقت جمع الجلة وشيل الزبل وهى متضمخة بالنجاسة وتلك الروائح (وهى رايحه بتبات) اى والحال انها مروّحه من الغيط الى دارها تبات فيها كما هو عادة الفلاحين انهم يسرحوا فى الغيط ليشتغلوا فيه بالزرع والقلع وتلقيط الجلة الناشفة والضم ونحو ذلك ثم انهم يروحوا بيوتهم اخر النهار او فى نصفه على قدر تمام اشغالهم فيجدوا العدس والبيسار او المدمس قد طاب امره وحسن طعمه فياكلوا ويتمتعوا بنسائهم على الافران ومداود البقر واشوان التبن وغرف الجله ونحو ذلك (فقلت ياام معيكه) اى انه لما اشتغل بحبها عند ما اقبلت عليه وهى مروحه من الغيط كما تقدم نظرها فاحبها والعين توقع القلب فى اشد ما يكون من الحب والغرام والوجد والهيام قال القائل (عينى نظرت وشبكتى من عينى * ما يقتلنى الا سواد العين) وقال الشاعر

* نظرتك نظرة بالخيف كانت * جلاء العين منى بل ضناها
فآهًا كيف تجمعنا الليالى * وآهًا من تفرقنا وآها

فاحتاج ان يخاطبها ويتذلل بين يديها كما هو عادة المحبين من انهم يتذللون لمن يحبونه ويبذلون له الارواح فضلًا عن الاموال ويهيمون بحسنه وجماله لان احداق الملاح تذيب اجساد العشاق وحلاوة الجمال تزيد فى الاشتياق ومحاسن الحبيب تجذب روح العاشق الكئيب * ولله در معن ابن زائدة حيث قال

* نحن قوم تذيبنا الحدق النجل * على اننا نذيب الحديدا
* وترانا عند الكريهة آحرا * رًا وفى السلم للغوانى عبيدا

وخطابه لها بالكنية لاشتهارها بها والكنية ما صدرت بام او باب كما هو مقرر ومعيكه تصغير معكه وهى على وزن ركه او حكه او دكه او لبكه وغلبت عليها هذه الكنية وصارت علمًا عليها لكثرة ما كانت تمعك شعرتها على جذور الشجر عند اشتداد اكلان الشعر من طوله وقلة نتفه وغليان الشهوة لان الشعر اذا كثر وطال ربما اشتد غليانه وزاد اكلانه فلا يبرده على النساء الا النيك خصوصًا فى زمان الصيف *

وبعضهم يستحسن بقاء الشعر على الكس ايام الشتاء لان الشعرتين اذا التقتا تتولد من بينهما الحرارة فيسخن الاير والكس فتحصل اللذة من الجانبين قال الشاعر

ولما كشفت الذيل عن سطح كسها * وجدت عليه الشعر اسود كالزنجى
فقلت لها ماذا الذى قد رأيته * فقالت طواشى كاتب الدخل والخرج
وهذا زمان البرد والشعر ساخن * فآسفق ايا هنا بجهد بلا حرج

واشتقاقه من المعك وهو الحك يقال معك يمعك معكا فهو ماعك وممعوك ودليل كونه مشتقا من المعك قول بعض شعراء اهل الريف موالیا

قومى امعكى ياخطيطه شعرتك بالخيط * لما اجبلك هديه طورتين مخيط
واعطيك وحياة راسى نعل من هر نبيط * واجى لعندك وشل رجليك من جو الغيط

ومقول القول (ارحمى من مات) اى تعطفى بالرحمه والشفقه على من اشرف من حبك وغرامك على حالة تشعر بالموت او بالخناق المستعجل وهذا على حد قولهم حزين وواعى لانه مع كونه فى حالة تعب وارتكاب نصب من الحرث وتراكم الهموم والقهر حصل منه هذا العشق الذى يفضى الى الموت فكأنه يقول انا يا ام معيكه قد اشرفت من حبك على الهلاك والموت فرقى لحالى وانظرى ما انا فيه من معالجة اخوانى الابقار ومقاساة الحرث بالليل والنهار وانت صبيه نضيفه وتكرهى الشعرة المنتوفه فاسمحى لى بسحبتين فيما بين العلماء وازور الشيخ ابو قبه ولو اخذت البشت والجبه والا يحصل لى من بعدك وغرامك الموت فلما فهمت من حاله هذه القضيه * وابتلت بهذه البليه * ورأت الذى بها مثل الذى عليه * وشبيه الشئ منجذب اليه قال الشاعر

رأيت مجذما فى قاع قبر * وآخر ارصا يخرا عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

ابدت اليه العذر الذى اوجبها هذه الحالة الذميمة وعدم تعطفها عليه وهى فى تلك المشقة العظمى والداهية العميمه وهى حدوث الخرا عليها بلا انكار ومكابدة دفعه مع المشقة والاضرار لانه ثقيل فى الصرم خفيف فى الكم اذا ادرك الشخص بين ناسه خرى فى لباسه (قالت) انه على سبيل الوفا بالوصال

ولم تدعه يقاسي ألم الحب والنكال (أنا رايحه آخرا) وفي رواية خاطري آخرا والمعنى في الذوق واحد ولكن الرواية الأولى اولى لتأكيدها من جهة الخرا كما لا يخفى على صاحب الذوق المستمع للعبارة والقاري لها أيضا والمعنى ان مرادي افرغ نفسي من هذه الفضلة في نقرة اخرا فيها مثلا او فوق سطح او في جنب شجرة او في الغيط او نحو ذلك كما هو عادة الفلاحين القاطنين في الارياف فان المراة منهن تجلس في قضاء الحاجة وسط الزريبة او فوق الكوم خارج البلد واي نقرة وجدتها بالت وغوطت فيها لان دورهم ليس لها مراحيض يخروا فيها قال الشاعر

سألت بني الارياف ما بيوتكم * مراحيض قالوا لا مراحيض للقوم
فقلت فماذا تصنعوا في نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالرجال من باب أولى ثم انها ارادت بقولها هذا تفهيمه اياه حالها وغرضها كأنها تقول له اني اذا اتيت اليك وصرت بين يديك ربما تضايقت من هذا الامر المشروح ورائحته عليك تفوح ولكن عندما ازيل هذه الضرورة ويفرغوا الاولاد من لعب الكوره اوفي بالوعد ولم الشتات (وآجيك بتبات) اي بأمر ثابت محقق واجابرك فيه واصله بالثاء المثلثة غير ان هذا من الفاظ الارياف فكما انهم يقولون في الميراث ميرات بالتاء المثناة فوق فكذلك يقولون تبات ونحو ذلك بالمثناة الفوقية ووقع في رواية اخرى اجيك وابات لكن يكون فيه الايطاء وهو معيب في الشعر وان كان مناسبا للمقام اذ هو شعر كلا شيء فعلى الرواية الأولى يكون المعنى أنا قولي ثابت في المجيء اليك والبيات عندك والبيات مأخوذ من بيات الفراخ لان نساء اهل الريف يقلن للفراخ عند المساء بيت بيت فلعله مشتق من هذا المعنى ولا يضر ادخال حرف الجر على الفعل لانه مناسب لثقل الكلام وركاكته وبين بتبات وتبات الجناس المحرف او المصحف على اللغة الاصلية ويمكن ان يكون قوله رايحه بتبات اي هذه الليلة وقولها أجي وأبات اي الليلة الثانية كما لا يخفى فكان البيات الاول غير البيات الثاني وان كان هو عينه في نفس الامر

هذا نتيجة الفرق بين ثبات الاول وثبات الثاني فان الاول منسوب لقول الرجل والثاني لقول المرأة ولعلها ارادت بتاكيدها في البتا عند عدم التعذيب بالهجر وسرعة تعطفها عليه كما هو شأن من يريد الوفاة بالوصال ويكافئ العاشق بلذة القرب والجمال وقالت هذه الصبية في نفسها هذا المحب لا يرضيه مني الا ليلة على كمالها يتملى بتلك المقابح ويشم تلك الروائح وهي انا رجلة الغبط وارقد انا واياه في الفرن اوفي مدود الحماره او على الجرن او فوق الجله الناشفه لان نهاره كله في الحرات والتعب ولا يتفرغ لمحبوبته ولا لغيرها لكونه في كد المعيشة وتعبها وهولها ونصبها قال الشاعر (قالت تسافر يا فتى * وتفارق الوجه الحسن) (فاجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن) (هم المعيشة فرقة * بين الاحبة والوطن) وتاكيدها في البتا يفيد ايضا انها تريد من هذا العاشق انه يتهيأ لما يناسب حضرتها تلك الليلة من العدس والبيسار والفول والمدمس ونحوه ومصدر بات يبيت بياتا * وقولها السابق اخرى لفظة الخرا فيها لغات ذكرها صاحب القاموس الازرق والناموس الابلق وقد تقدم معناه ويطلق عليه الغائط والعذره ونحو ذلك انتهى * ومن اشعارهم الفشروية

وقلت لها بولي علي وشرشري * عريض القفا للنائبات صبور

هذا الكلام من بحر الخرا الطويل الذي عرضه من الحسينية لبركة الفيل وتفاعيله هبيل مهابيل ومعنى كلامه الثقيل ولفظه الهبيل أن هذا القائل لما تولع قلبه بالعشق والغرام بحب هذه المليحة احتاج ان يتذلل بجمالها وان يتمتع بمحاسنها وان يتحمل منها المشاق والدواهي والبليات كما هو عادة المحبين ومذهب العاشقين خصوصا اذا كان العاشق به ضرب من الافلاس فهو في اشد الاشتياق لمحبوبه بين الناس قال الشاعر مواليا

عشقت ذليت حتى للجوع جسمي حك * وصمت عامين لما صمت يوم الشك
وحق من له الجبال الراسيات تندك * يستاهل العاشق المفلس طريحة صك

فالعاشق يحتاج الى ثلاثة امور ان يكون اجرى من كلب واوزن من صيرفي واذل من يهودي

وعشق الفسقة على اقسام عشق شفقة وعشق نفقة وعشق حذقة وعشق علقة * فهى اربعة اقسام ونحن نوردها على اخواننا المتاعيس على التمام * فاما عشق الشفقة فهو ان يميل العاشق الى الولد الجميل او المرأة الجميلة ويكون معه او مع المرأة على حسب المراد وقضاء الحاجة والمدح فى محبوبه والشفقة عليه حتى يصير عليه احن من الوالدة على ولدها ويدفع عنه المضرات ويتحمل من اجله البليات ويكون حريصا على امواله مشفقا على حوايجه مسرعا فى قضاء اوطاره حتى يقضى منه المراد على اتم حال قال الشاعر

لقد صرت فراشا لحبى وسائسا * زمانا الى ان نلت منه مراديا

واما عشق النفقة فهو ان يكون الشخص صاحب ميسرة واموال فهو لا يحتاج الى تعب فى جلب محبوبه بل كل محبوب اظهر له الدراهم يحضر عنده على احسن حال واتم منوال قال الشاعر * (فرحة العشاق يا من عشقوا * ذهب ينثره[٢] او ورق)

(واذا باب الرضا قد اغلقوا * يفتح الدرهم ما قد اغلقوا) ❀ (هكذا قد قال فى تنزيله * لن تنالوا البر حتى تنفقوا)

واما عشق الحذقة فهو ان يكون من اخواننا الفقراء وقلبه يميل الى الملاح وليس له حيلة الا النظر الى الامرد الجميل وطرفه يشير اليه انه مسكين وعاشق وفقير مفارق وليس معه من الدنيا الا الدعاء لحضرة هذا الجمال ثم يتذلل بين يديه بالدعاء بقوله اطال الله بقاءك ادام الله جمالك اسعد الله اياك ونحو ذلك فيعرف الامرد من دوام نظره اليه ودعائه له ان مراده الوصال لما يرى من دوام النظر اليه وفقره وافلاسه قال الشاعر

وما نظر اللوطى الا فراسة * وما تحت عين العلق الا منجم

فيعطف عليه ويمكنه من نفسه ومؤلف هذا الكتاب من هذا القسم على حد قول القائل

ان اجد وجها مليحا * الو فى الفضة خفه) ❀ (او اجد هذا وهذا * لم اجد فى الحى غرفه
او اجدها بك جمعا * الو فى الحارة زفه) ❀ (فلهذا طول عمرى * تائب من غير عفه

واما عشق العلقة فهو ان يكون العاشق عديم الذوق سيئ الخلق كثيف الطبع والذات اذا رأى الامرد علق معه مثل الزنبور فلا يفارقه ولو ضربه بالمقارع او صكه بالنعال لا يرجع عنه ولو عرض عليه انواع البلاء والقتاة فى

[٢] نسخه ذهب فى ورق او ورق ٥

اَشَدّ المصَائب لا ينفك عنه ولا يخلص منه الا بمراده كرهًا لا برضاها قال ابو نواس

اذا رقد الندامى خلّ عنى * وعمّن كان يصلح للدّبيبِ
الذ النيك ما كانَ اغتصابًا * بمنع الحبّ وخوف الرقيبِ

ولعلّ الناظم من هذا القسم بدليل قوله بولى علىّ وشرشرى اى ان محبوبته لمّا رأته عالقًا بها كعلوق النار فى الحطب او الزنبور فى الخشب علمت أنه لا يفارقها الا ان يقضى مراده منها لعدم ذوقه وصقاعة وجهه ولم تقدر ان تمنعه بصكّ ولا بشئ نجس فلاجل ان ينزجر عنها ويمتنع عن عشقها ويترك العلوق بها رفعت قميصها واوهمت انها تريد البول عليه او على لحيته حتى تملأها ولكنها فى وهم منه وحيرة فاكد عليها بالقول وامرها ان تفعل فقال (وقلت لها بولى علىّ وشرشرى) اى انى لا ابالى بما تفعلينه معى من النجاسة ولا اتكدّر من الخساسة لانّى عاشق مشوق وقليل الهندام والذوق وفى هذا المعنى يقول القائل

احتكم واخرى عليكم وعلى بابكم من فوق * بانتو اعذروا العاشق الخرا عديم الذوق

فلا ابالى بالبول عليا وعلى لحيتى لانّى (عريض القفا) وتخينه ومن شان عريض القفا وبليد الطبع ان يكون (للنائبات صبور) وان لا يضجر ولا يقلق من البول وغيره ويصبر على حوادث الدهر ومصائبه لشدة بلادته وعدم ذوقه قال الشاعر (يعرض قفاه للهموم جميعها * وذا لسوء الطبع فهو بليد)

وقوله بولى مشتق من المبولة على وزن مزبلة وهى شئ يعمل من الخوص او الحلفا يحملون عليها الزبل وربما يكون فيها الجلة والوحل فسميت باسم ما وضع فيها من تسمية الظرف باسم المظروف والمحل باسم الحال ومصدره بال يبول بولًا ومبالًا ومبولةً ومبلة ايضا وهى ما يبلّ وينقع فيها الكتان فان قيل اذا كانت لفظة المبولة فيها هذه المصادر فلاىّ شئ اكتفى الناظم بقوله بولى علىّ ولم يصرّح فيها فيقول بولى علىّ بولًا ومبالة الى آخره قلنا يمكن الجواب القشروىّ عن هذا الكلام وهذه الاشكالات المشكلة وهو ان كلمة بولى فيها تكرار اذا انصرف فيها واشتق منها المصادر فيلزم من هذا

اختلاف الوزن وخروجه عن قاعدة النظم فيكون الكلام ركيكا وان كان فى حد ذاته ثقيلا فاكتفى الناظم بقوله بولى او يقال ان هذا من باب الاكتفاء وهو ما يدل موجوده على محذوف قال الشاعر

(بالت على مبالة ومبلة * حتى اكتفيت ببولها وانا ابول) اى وانا ابول عليها ايضا ليناسب بولها بولى لاجل اتفاق المعنى ومناسبة المحبة وائتلاف العشرة لانها لما بالت على بلت انا الاخر عليها بيقين ومن الاكتفاء والاقتباس قول بعضهم

مليكة الحسن جودى باللقا كرما * لمغرم قلبه قد ذاب فيك اذى
افسدت قلبى فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

اى اذا دخلوا قرية افسدوها وقوله على اى بولى على ذاتى جميعها حتى يشمل البول شواربى ولحيتى وما جاورها بحيث لا يبقى فى منبت شعرة الا وقد عمها البول ظاهرا وباطنا وقوله وشرشرى معطوف على بولى وهى من لغة الارياف وقد وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق وهى مشتقة من الشر او من الشرا او من الشرور او من اولاد ابى شرشر وهم جماعة فلاحون او من الشرشرة وهى آلة محددة تعمل من الحديد يضعها الفلاح فى حزامه اذا سرح فى الغيط يحش بها الزرع للبهائم وفى شرشرى جناس مذيل وهو مشرشر واكد على محبوبته فى القول بلفظ شرشرى لكونها انثى ولو كانت ذكرا لكان الانسب ان يقول له بل على وطرطر لان المراة اذا بالت شرشر بمعنى ان بولها ينزل من فرجها مشرشرا حكم اسنان الشرشرة لطول فرجها واتساعه بخلاف الرجل فان اير ضيق المنفذ فكان المناسب انه اذا بال طرطر لان بول الرجل يخرق فى الارض وبول الانثى يرش عليها قال الشاعر

اذا بالت الانثى على الارض شرشرت * وان بال زب فهو فى الارض يخرق

وفى رواية رشرشت بتقديم الراء فيكون فيه جناس مقلوب والمعنى واحد ويؤكد ما قلنا ان عنترة لما رماه بعض الاعداء بسهم ومات به خاف اهل قبيلته وهم بنو عبس من العدو ان يدهمهم على حين غفلة ان شعروا بموته وكانوا على اهبة سفر فاتفقوا ان يجعلوا ابنة عمه مكانه

ويزينوها بزي رجل مثله ففعلوا ذلك وركبت الجواد وسارت امام قومها فنظر العدو اليها فلم يشكوا في كونها عنترة وتحيروا في هذا الامر وكان فيهم رجل صاحب رأي وفراسة فقال لهم انا اكشف لكم الامر وهو انني اتوقع نزوله لقضاء الحاجة فان كان بوله يخرق في الارض فهو عنترة وان كان مشرشرا فهي عبلة ابنة عمه ويكون عنترة قد مات فتعقب الرجل وكشف عن الحال فوجدها عبلة فهجموا عليهم ودهموهم والقصة مشهورة في محلها وقد تطلق الشرشرة على فعل الرجل لقول الشاعر

اذا المرء لم ينفعك والدهر مقبل * عليه ولم تخطر عليه ببال
فصوره في وسط الكنيف بفحمة * وشرشر عليه عند كل مبال

وقوله عريض القفا على وزن صقيع اللحا وعريض القفا مشتق من العرض او من العرضية وهو ما يلف على الراس بلغة الريافة ويسمونه ايضا الكور او من عارضة الباب قلت والانسب اشتقاقه من العارض وهو الغمام لان قفاه صار متعرضا للبول والصك وغيره كتعرض الغمام في افق السماء والقفا مشتق من القفوة اي قفوة الانكشارية التي يلبسها ملازموهم او من القفة او من القفقولة وهي نوشة صغيرة يطبخ فيها اهل الريافة طبيخ البيسار وقيل هو من قفوت الشيء اذا تبعته لان القفا دائما تابع للراس ولا يفارقه ابدا الا عند قطعه ومتى سار سار معه قال الشاعر

الراس يتبعه في السير اربعة * وجه وذقن وآذان وعرض قفا

وقد يطلق القفا على ذات الرجل جميعها ويخاطب به الانسان اذا كان بليدا جافي القلب قال الشاعر

صاد ببابك يا بحر الوفا وقفا * فعا عنك نطع واقف وقفا

وفي هذا البيت الجناس التام المزيد وقوله للنائبات جمع نائبة وهي ما ينوب الانسان من البلايا والمشقات وقد تنتج من خبايا الايام وحوادث الدهر وعجائبه على وفق ارادة الله تعالى قال الشاعر

كن حليما اذا بليت بغيظ * وصبورا اذا اتتك مصيبه)
(فالليالي من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيبه)

ومصدرها ناب ينوب نيابة وقوله صبور على وزن عبود وقيل بمعنى صا

وعلى هذا ايضًا يكون عبور بمعنى عابر وهو مشتق من الصبر أو من الصبان التي تعلق على ابواب البيوت وقد تنبت في بعض المقابر فهي لشدة مرارتها وحدوثها على حين غفلة وصبر الرجال عليها اشتق لها هذا الاسم من هذا المعنى وقد صرحت بما يقرب من معنى ذلك في مطلع قصيدة قلتها في شكوى الدهر وعجائبه وسرعة انقلابه فقلت

حوادث الدهر قد تأتي على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الكدر
واعدد لها من سهام الصبر سابغة * تقيك من شر ما ترمي من الشرر

الى آخرها هذا وقد أتى لفظ العبرانية بمعنى العبور في نظم الشيخ بركات وسبب قصته انه كان رحمة الله عليه من البلداء واتفق انه سافر الى بلاد الروم ووصل الى مدينة القسطنطينية العظمى فصادف صديقًا له مارًّا في بعض شوارعها فسلم عليه وسأله عن حاله وحال الملك فقال له يا شيخ بركات قد اجازني بكذا وكذا على قصيدة مدحته بها فقال له الشيخ بركات لا بد أن امدحه انا الآخر وأثني عليه وكان صديقه هذا يعرف بلادته وسوء طبعه فمنعه فلم يقدر على منعه عن الملك فقطع الباب وكان من عادة الملوك في قديم الزمان انهم لا يمنعون احدًا عن ابوابهم فخرجت اليه امرأة عجوز وقيل جاءت له من خلف دار الملك كما سيأتي في نظمه وقالت له ما تريد فقال اريد الملك فقالت له تأتي اليه في وقت غير هذا وان كان ولا بد فعرفنا حالك نخبره به فأخذ دواة وورقة وكتب فيها يقول

بركات عبرايه * جا يسلم ما قدر يشي * من عجوز خلف دار * كالاسود الضاربات

وطواها واعطاها للعجوز وجلس ينتظر الجائزة من الملك قال فلما وقعت الورقة في يد الملك وقرأ البيتين أمر باحضاره فلما مثل بين يديه ورأى ذاته وبلادته وثقل نظمه ورؤية لحيته ضحك عليه فقال له ما تريد قال الجائزة على هذا النظم قال وكان الملك صاحب ذوق ولطافة فقال له نعم أجيزك جائزة تناسب نظمك هذا ثم انه البسه برذعة حمار وأمر أن يجعلوا في فمه اللجام وعلى طيزه التفر كعادة الحمير ثم أمر أن ينادى عليه في المدينة

هذا جزاء من يمدح الملوك بمثل هذه الالفاظ ثم انعم عليه بعد ذلك وامر باخراجه من المدينة * قلنا ولهذا ذكروا ان الشاعر لا يهدى قصيدته لملك وغيره حتى ينظر فى الفاظها ثم يهديها او يعرضها على ارباب الخبرة من اهل الذكاء والفطنة لئلا يقع فى محظور مثل هذا (ولنرجع) الى شرح نظم الشيخ بركات فنقول قوله (بركات عنبرايه) جمع بركة وهو علم عليه مشتق من بركة الفيل بمصر او من بركة الجمل وقوله عنبرايه اى يريد العبور على الملك وتقدم اشتقاقه وقوله (يا بسلم ما قدريه شى) اى انى يريد السلام ما قدر والمانع له من السلام عجوز لها قوة شديدة وشدة فى منعه كالاسود اى السباع الضاريات العاديات التى تعدو على الانسان وغيره وتفترسه ولفظ العجوز يطلق على المرأة الكبيرة اذا انحنى ظهرها وشاب رأسها فيصير قربها سم وجماعها الا على من يميل الى عشق العجائز ويفضلهن على ذوات النهود البارزات على حد قول الشاعر

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

(ويقرب من هذا المعنى) انه وصف لابى نواس رحمه الله رجل حداد بمصر يقول الشعر ارتجالا فسار اليه متنكرا يختبر فصاحته حتى دخل مصر وسأل عليه فدلوه على حانوته فوقف عليه وسلم فرد السلام فانشد ابو نواس يقول

ماذا تقول رعاك الله فى رجل * اضناه حب عجوز بنت تسعين

فاجاب الحداد بقوله

يبكى عليه فتى اوذى بمهجته * حب القباح وترك الحور والعين

فقال له ابو نواس مثلك لا يكون الا نديما لامير المؤمنين فقال له ها وامير المؤمنين انا صنعتى تكفينى ولا حاجة لى اليه فتركه وانصرف * وقد تطلق العجوز على الخمر اذا عتقت وطال زمنها وقيل لبعض الحكماء من شر الناس قال العجائز وقال بعضهم فى تفسير قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام فى حق الهدهد لاعذبنه عذابا شديدا قيل اراد ان يزوجه بعجوز * وقال سيدنا على كرم الله وجهه اياك ومجامعة العجوز فانها تاخذ منك القوى وتهد الحيل وقيل الشابة من النساء شهوة والعجوز بلوة وذات الولد دعوة وذكروا ان اصل حرب البسوس من امرأة عجوز كانت تسمى البسوس وكانت لها ناقة ترعاها

فضربها كليب بسهم فقتلها فذهبت الى جساس والقت الفتنة بين الفريقين فاقتتلوا ووقع الحرب بينهم اربعين عاماً * وذكر بعضهم ان فتنة التتار التى لم يوجد فى الاسلام اعظم منها الا خروج الدجال كان سببها امرأة عجوزا (واما حيلهن) فى القيادة وجمع النساء منهن للمفاسد فانها تغلب حيل ابليس قال الشاعر

عجوز السوء لا يرحم صباها * ولا يغفر لها فى يوم موت
تقود من السياسة الف بغل * اذا حرنت بخيط العنكبوت

وقال بعضهم مررت بعجوز جالسة خلف بئر تبكى وتنوح فقلت لها ما الذى دهاك فقالت لى يا سيدى وقعت لى اسورة من ذهب فى هذه البئر قال فاعتقدت صدقها ونزعت ثيابى ونزلت البئر فى طلب الاسورة فاخذت ثيابى وانصرفت وتركتنى عرياناً ففتشت فى البئر فلم ار شيئاً ثم خرجت من البئر فلم ارها فسرت الى منزلى عرياناً ولبست ثياباً غيرها فكان هذا من حيل العجائز ومكرهن فحيلهن عجيبة وامورهن غريبة فينبغى التحرز منهن والبعد عنهن فهن اصحاب العجائب وارباب الدواهى والمصائب * فان قيل لفظة قدر شى فى نظم الشيخ بركات التى تقدم ذكرها بمعنى قدر فلاى شى لم يكتف جامع انهما اقل حروفا من قدر شى فكان حقه ان يقول جا يسلم ما قدر وكان هذا اولى واخصر فى اللفظ قلنا هذا من باب قطع وقطّع فان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى فلفظة قدر شى ابلغ من لفظة قدر وايضاً ربما اختل النظم فراعى فى ذلك زيادة الحروف لاجل وزن الشعر واما ركاكة المعنى وثقل الكلام واختلاف القافية فلا نظر لشأنه لبلادة قائله وكثافة طبعه انتهى (ومن اشعارهم الفشروية البستان الابيات) وسببهما على ما قيل ان جماعة من الظرفاء جلسوا يتناشدون الاشعار وبينهم شئ من الحلوى والثمار فمر بهم رجل فلاح الهم ولحيته على وجهه قد لاح فلما رآهم فى هذه الحالة انقض عليهم بلا محاله وقال لهم ذكرتمونى زمان العشق للملاح وقولى فيهم بلا مزاح واراد ان يأكل معهم فحصل منهم انقباض فقال لهم لابد مما ارمى عليكم انقاض اى الغاز بلغة شعراء الريف ثم انشد يقول

والله والله العضيم القادر * هو عالما بسرايري وخبائطي
ان عاود القلب المشوم ذكركمو * لاقطعوا من مهجتي بصوابعي

هذا الكلام من بحر الهلفطة والمعاني المشرمطة وتفاعيله متخلبطة متخابطه وعرضه بيقين من زبجه لشربين وطوله باحتياط من البرو لدمياط واما شرح معانيه المسخطه وحل مبانيه الملغمطه فقوله والله والله العضيم القادر يريد القسم غير انه لم يقع الموقع لانه ذكر الصفة بالضاد المعجمة لا بالظاء المشالة جريا على لغة امثاله من اهل الريف فاختل المعنى في ذكر الصفة وان كان الموصوف الذي هو الاسم الكريم باقيا على حاله وقوله هو عالما بنصب عالما مع انه مرفوع ليس على قاعدة النحويين الا ان لسانه لم يساعده على ذلك لان السنة اهل الريف تنصب المرفوع وترفع المنصوب كما يقولون عبد الرحمن برفع راء الرحمن وهذا من باب معرفة الكلام المناسبة لهؤلاء الاقوام وقوله بسرايري وخبايطي السراير جمع سريرة وهو ما يسر الانسان من خير او شر والخبايط جمع خبيطة على وزن عبيطة فخبايطي على وزن عبايطي مشتقة من الخبط يقال فلان خبط فلانا اذا القاه على الارض او من الخباط على وزن الضراط ولفظة الضراط انسب بالمقام بل هي اولى * قال الشاعر

الخبط مشتق من الخباط * كذلك الضرط من الضراط

وتصريف هذه المادة خبط يخبط خبطا فهو خابط وذاك مخبوط وقوله (ان عاود القلب المشوم ذكركمو * لاقطعوه من مهجتي بصوابعي) هو جواب القسم والقطع هو فصل الشيء وبعده يقال فلان قطع فلانا اذا بعد عنه والقلب مشتق من التقلب قال الشاعر * وما سمي الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا انه يتقلب والمهجة معلومة والصوابع على وزن الفراقع وهي معلومة ايضا واسماؤها للخنصر والبنصر والوسطى والشبابة والابهام فهي خمسة بيقين لا اشك فيها ومعنى الكلام ان هذا البليد اقسم بالله العظيم القادر على كل شيء العالم بسرائره وخبائطه اي ما اسره من الافعال القبيحة والنية الخبيثة وما يخبطه بالليل من سرقة الغنم والفراخ والنطف في الدور وقطع الزرع وسرقة الجلة

ومُوالسته على زرع شريكه واخذه بالليل ونحو ذلك من الخبايط التى يفعلها هو وغيره من اراذل اهل الرباقة وقوله ان عاود القلب المشوم اى ان رجع الى محبتكم بعدما قاسى من همومكم وترككم اياه وهو يتذلل لكم بالمحبة ويسرح لكم فى الغيط فى الحر ويصالحكم بالزبل ويسرق لكم الجلة وترسلوا له القفة يملاها خرا ناشف وزبل غنم ونحو ذلك ويسرح لكم بالليل يقرط لكم الغلة من غيطان الناس ومن زرعكم ويطعمكم وانتم تشتغلوا بغيره وتهجروه ولا تعرفوا الجميل الذى فعله فهو الاخر ان عاد قلبه المشوم ووصفه بانه مشوم لانه وافقه على محبة قليلين الخير ناكرين الجميل وقوله ذكركمو بنصب الكاف الثانية جريا على اللغة الريفية كما تقدم اى تحرك بذكركم بعد هذا كله لاقطعو من مهجتى اى انزعه منها بصوابعى وفى رواية بضوافرى والمعنى واحد لان الضوافر تابعة للاصابع فان قيل ان القلب لا يتصور قطعه الا بعد موت الانسان لو فرض ولا يمكن الشخص وهو فى حالة الحيا نزع قلبه ولا قطعه فما وجه كلام الناظم قلنا الجواب ان هذا قطع معنوى لا حسى بمعنى انه يزجر قلبه ويمنعه عن ذكرهم بحيث انه لو صور بين يديه وخالفه لقطعه بصوابعه او بضوافره كما تقدم * ومن هذا قول العارف بالله محمد بن عروس نفعنا الله تعالى به

يا قلب حملتنى العار * تريد من لا يريدك ❀ يا قلب لاكويك بالنار * وان كنت عاشق لا ازيدك

وقوله من مهجتى فيه شئ فان القلب ليس فى المهجة وانما هو فى الصدر مما يلى الشق الايسر هذا من عدم معرفته وقلة ذوقه اذ لو كان له ادنى ادراك ومعرفة لم يقل هذا الكلام ولم يجعل القافية على هذا النمط لان قافية البيت الاول خبايطى والثانى صوابعى او ضوافرى وهو غير الوضع العروضى ولا يساوى قشرة بصلة وناظمه اثقل من حجارة الميضه غير ان قائله من ارباب القحوف المقلوبة والمناسبة مطلوبة (مسئلة هبالية) لاى شئ ذكر القطع بالصوابع ولم يقل بالسكين او الموسى اذ من شان القطع ان يكون بالة محددة وكون القلب مما لا يتجه قطعه بالصوابع ولا بالضوافر

قلنا الجواب الفشروى ان يقال انما ذكر القطع بالصوابع لكونه اخف
فى الالم من السكين اولان الحركة والعمل لا يتاتى الا بالاصابع اذ لا يمكن
ان يقطع الشئ الا بيده واصابعه فهو حينئذ لا يستغنى عن الاصابع
فيكون فى الكلام حذف والتقدير لاقطعن مهجتى بسكينة قابض عليها
بصوابعى ومن هذا المعنى قوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا
اى مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك او ان السكين اذا قطع بها قلبه
يمكن ان يقال فلان جرح نفسه بسكين او قتل نفسه بها فذكر الاصابع
هنا لينفى عن نفسه الريبة او انه من باب خلبطة النظام وعجرفة الكلام
ولو قال لاقطعن مهجتى بصوابعى وسكينتى لكان اولى للجمع بينهما اى
الصوابع والسكين الا ان الناظم الهبيل ما ساعده الوزن على هذا المعنى
لثقيل فاتجه الجواب وبان الصواب * ومن اشعارهم مواليا

هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك * وحبل طور ابن خالى كيف مدلاتك
يا من عجنتى قليبى فى وحلاتك * يا ريتنى قرص جله بين اذياتك

هذا القول العكيس والنظم الخسيس والمعانى الغلسة والالفاظ
الهباليه من خرافات الاسرائيليه والتشابيه التى خرجت عن الاوضاع
وتمجها النفوس والطباع وهو ان ثبتت اوزانه وتلخبطت اركانه
فهو على اربع تفاعيل مستخبط خابط مستخبط خبط وطوله باتفاق
من الخانكه لبولاق وعرضه ببقين من باب زويله لسويقة السباعين
ومعناه غريب ومبناه عجيب فقوله (هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك)
يريد هذا العاشق البليد التشبيه الخارج عن الماهيه الجارح للقلوب
عند سماعه فكانه يشبه الزرية وهذا من اعجب العجائب ان هذا البليد
الطبع شبه كحل محبوبته بالهباب لكن هو الانسب لها ولعشقه اياها
وشبيه الشئ منجذب اليه والطيور على اجناسها تقع وخص الهباب
بفرن ابن عمه لانه لم يكن فى بلده اكبر منه ولا اكثر هبابا

وانّ غالب نساء الكفر تخبز فيه العيش وتطبخ فيه الطعام فيتراكم الهباب فلكثرة تراكمه يسودّ سوادًا شديدًا فلهذا وقع تشبيه كحلاتها بسواده وقوله ابن عمّي ولم يقل فرني لكونه كان فقيرًا لا فرن له الا بالتصحيف وهذا من قبيل التغزّل الفشروي لانّه لمّا عشق هذه المليحة ورأى الكحل في عينيها اراد ان يتغزّل فيه بما يناسبه ويشبهه بتشبيه لا يكون خارجًا عن الماهية فنظر ببلادة طبعه فلم ير شيئًا اسود منه فشبّه كحلاتها بذلك لانّ الشخص اذا الف محلًّا صار يرى كل ما فيه حسنًا وكذلك اذا الف شخصًا لا يراه الا بعين الكمال ولا يشاهد فيه عيبًا الا ويلوح له ما ينفيه عنه ويشفع عنده في قبوله قال الشاعر

واذا الحبيب اتى بذنبٍ واحدٍ * جاءت محاسنه بالف شفيع   وقال آخر

يقولون في البستان للعين نزهة * وماء نمير صفوه غير آسن
اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها * ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

(وعادة نساء الارياف) انها تهوى الافران لاجل تدميس الفول وطبخ البيسار وتقمير البتاو وتنفيض الثياب من القمل ونحو ذلك فكانت هذه المحبوبة تحت تراكم الهباب عليها لكثرة اشتغالها بالخبز والطبيخ فشبّه كحلاتها به لكونها دائمًا في هذه الحالة وهذا من باب قولهم سخام بهباب ثم انه لما شبه كحلاتها بسواد هباب فرن ابن عمّه مشيرًا اليها انها تفهم من ذلك انه محب لها ومصرّ على عشقها اراد ان يشبه مدلاتها ايضًا ليحصل لها بذلك غاية المدحة بين نساء الارياف وان يكون التشبيه من ماهية ما سبق من تشبيه كحلاتها فقال (وجبل طور ابن خالي كيف مدلاتك) هذا الكلام فيه تقديم وتأخير وتقديره ان مدلاتك في الطول تشبه جبل طور ابن خالي والمدلات سلاسل من فضة تعلق على الاصداغ وترخى الى الصدر ويجعل في آخرها جلاجل من فضة وبرق ونحو ذلك وتسمى ايضًا مصنفات كما هو مشهور عند نساء الارياف (فان قيل) هذه نحو من ذراع او اقل منه وجبل الطور ربما يكون اكثر من ذراع او ذراعين غير ما يكون ملتفًا على اذنيه

فما وجه هذا التشبيه وما حكمه (قلنا) هذا من باب الغلو في الشئ والتفنن فيه لانه لما عشقها ورأى هذه المدلات مرجحاته على صدرها ولم ير في بلده احسن من ثور ابن خاله ولا اطول من حبله شبه مدلاتها به وأتى بهذه الاشعار الذميمة والتشبيه الخسيس ليناسب نظمه التعيس واما كونه حرم نفسه من ان يقبل كلامه عند محبوبته التي خاطبها باستعارة ثور ابن خاله وحبله وكذلك فرن ابن عمه وهبابه ولم يذكر شيأ يدل على الملك حتى يلين قلب محبوبته فهذا من شدة فكره وقصر ذيله وشقاوته وظهر بحاله انه عاشق مفلس فليس له دواء غير الصك بالنعال كما قالوا في هذا المعنى مواليا

اللي معه مال لو طلب الثريا نال * واللي بلا مال صكوه الملاح بنعال
وان كان معك مال هاته تبلغ الامال * ما كان معك مال طردوك الملاح في الحال

فاتضح الحال وظهر المقال عن هذا الكلام المشلوق الوارد من عديم الذوق وقوله طور ابن خالي بالطاء المهملة جريا على لغات الارياف لانهم يبدلون الثاء المثلثة في الثور بالطاء او بالتاء المثناة فيقولون طور وتور (يا من عجنتي قلبي في وحلاتك) هذا البلد الطبع الخسيس العقل لما وجد محبوبته قلبه تعجن الوحل والطين عقب المطر يعني انها تلمه وتدوسه برجليها كما هو عادة نساء الارياف اذا نزل المطر في الزريبة واختلط بالجلة والزبل والطين فيجعلوه معجنة كبيرة ويكون فيها الزبل والجلة والوحل بيقان ويسموا مجموع ذلك وحلا وقد يطلق على فرد من تلك الافراد عند اهل الريف ثم انهم يجعلونه جواليس ويلبسوا به بيوتهم وأفرانهم وربما جعلوا منه مذاود للبقر وغير ذلك مما يحتاجون اليه فلما رآها في هذه الحالة اخذت قلبه وعجنته برجليها في هذا الوحل خاطبها بياء النداء منبهًا لها على انه لا يجوز من المحبوب ان يتملك قلب المحب ويعجنه ويدوسه في الوحل والجلة والزبل وغير ذلك بل يترفق به ويرق له ثم انه استشعر من ذلك سوء الاكان قائلا لان المحب ليس له تصرف في نفسه بل القلب والروح لمحبوبه فلو انها القتك وزقتك وقلبتك في الخراءة فضلا

عن الوحل لا تلمها فتمنى أن يكون قرصًا من الجلة بين يديها وأضاف
الوحل إليها لأنها مالكة له ومتصرفة فيه ويفهم من هذه العبارة أنها
كانت تعجن الوحل فتجعلها حتى يكون ملكها وأن الوحل كان في زريبتها
بيقين كما أن الجلة والزبل فيها أيضًا وقوله وحيلاتك تصغير وحلا
وقوله (يا ريتني قرص جله بين أدياتك) حينئذ تأكيد وبيان أن المعجنة
التي كانت تعجنها وتدوسها برجلها كان فيها الجلة والزبل بيقين وقوله
يا ريتني قرص جله الى آخره بإبدال اللام راء في ريتني من لغة الريافة
وأصلها يا ليتني وقد وجدت في القاموس الأزرق والناموس الأبلق
والمعنى أني أتمنى أن أكون بين يديها قرص جله من هذا الوحل الذي عجنته
وأكون وحل ابن وحل أي وحلًا بطريق التمني وابن وحل بطريق التشبيه
فانجه الجواب عن هذه اللغة القشروية ونزل نفسه منزلة قرص جلة وهو شيء
خسيس إشارة الى أن العاشق ذليل حقير عند محبوبه فشبه نفسه بهذا
التشبيه الحقير المشابه لحيته التعيسة وتمنى أن يكون قرص جلة بين يديها
وهذا هو الأنسب لمحبوبته لأنها دائمًا في عمل الجلة وتلزيقها وعجنها فهي
دائمًا في هذا الأمر فأتى لها بما يناسب حالها وما تحبه وأعز ما يكون عندها
الجلة والوحل فما أخس هذا العاشق وما أرذل هذه المحبوبة وقوله بين أدياتك
هذه لغة أهل الريف والمعنى أني أتمنى أن أكون قرص جلة تقلبيني بين يديك
من اليمين الى اليسار مثل ما تفعلي في قرص الجلة حتى أنك تدبكوني في رقوع في
يديك وتمس ذاتي أصابعك فيحصل لي الراحة ويزول عني ألم المشقة
ولو أن صورتي انقلبت قرص جلة فإني لا أبالي من النجاسة ولا أسأم من الخساسة
لما فيها من الراحة وبلوغ المنى ونحو ذلك* ويقرب من هذا المعنى قولي
(وهيفاء لما جئتها حين حلبها * تمنيت أني قرطها وثيابها) لكن هذا أمر ظريف في محبوبة لطيفة
(مسئلة هبالية) لأي شيء اقتصر في العبارة على الوحل وكان حقه أن يضيف اليها
أيضًا الجلة والزبل حتى يصير فيها مجموع الثلاثة (قلنا) الجواب القشري أنه إذا كان الوحل
ثابتًا بيقين فيكون الزبل والجلة فيها من باب أولى فلا اعتراض على الكلام وانجه الجواب بلا ملام*

وقوله هباب على وزن تراب او كلاب او سراب مشتق من هبوب الريح او من هبهبة الكلاب قال الشاعر

لقد هبهبت لما رأتني كلابها * فقلت مجيبا قد علاني هبابها

(وهبهب) وادٍ في جهنم (وفي الاحياء) للغزالي في كتاب ذم الكبر والعجب عن محمد بن واسع قال دخلت على بلال فقلت ان اباك حدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في جهنم وادٍ يقال له هبهب حق على الله ان لا يسكنه الا كل جبار واياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه ومصدر الهباب يقال هب يهب هبابا وسمي بذلك لكونه يهب من الاقران (وقوله ابن عمي) العم اخو الاب وقد يطلق ويراد به الاب كما يطلق الاب ويراد به العم مثل قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر فان المراد به عمه لان العرب تخاطب العم بلفظ الاب وهو مشتق من العمى او من العموم ومصدر العم يقال عم يعم عما هذا ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به السواد الذي هو ضد البياض وهو اقبح الالوان (كما اتفق) ان بعض الملوك ارسل اليه بعض الاكابر هدية لا تليق به وهي عبد اسود فقال الملك لكاتبه اكتب له بوصول هديته واوجز فكتب اليه اما بعد لو وجدت لونا اقبح من السواد وعددا اقل من واحد لارسلته الينا والسلام ويقال ان السواد مأخوذ من السودد وهو العلو والرفعة وتصريفه ساد يسود سودا وسوددا (وقوله كحيلا انك الكحل مشتق من المكحلة او من الكحال او من تذكرة الكحالين قال الشاعر (خبال الكحل تفنيها المراود * وكنز المال تفنيه السنين) (وفي الحديث) اكتحلوا بالاثمد المطيب فانه يحد البصر والسنة الاكتحال به وترا عند النوم (وقوله) وحبل طود ابن غالي الحبل مشتق من الحبلى او من الحبالين والطور تقدم معناه وهو مشتق من الطور او من الطارة التي يصيدوا بها السمك واما بالثاء المثلثة وهي اللغة الفصيحة فهو مشتق من ثوران الارض لانه يثيرها بالحرث فانه معد لذلك

وللساقية ايضًا بخلاف البقرة فانها معدة للحلب والولادة قال ابن سودون
مواليًا * التور والبقرة ذى العام ومن قبله * فى مصر والشام مع غنزه مع الرمله
فذى بتحبل وتولد عجل او عجله * والتور فى الساقيه يا كل بفر قلـه
(وقوله) ابن خالى الخال اخو الام فعلى هذا يكون الناظم ابن اخت صاحب
الثور والخال مشتق من الخيلاء او من الخيل او من الخلخال او خيال
الظل ومصدره الخيل يقال خال يخيل خيلًا ويطلق على الخال الذى
يكون على خد المحبوب فيزيده حسنًا وجمالًا كما قال ابو نواس
يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا (وقوله) كيف مدلاتك
المدلات واحدته المدلة على وزن مثلة او المدلة مشتقة من الدل والدلال
قال الشاعر (له دلال ودل زانه غنج * سبحان من خصه بالحسن فى الناس
او هى من التدلية لكونها تدلت على الصدر او على الخوران او الاكتاف
ونحو ذلك ومصدرها التدلى يقال تدلت تتدلى تدليًا فهى مدلاة (وقوله
بجنتى العجن مشتق من المعجنة او من العجين قال الشاعر
والعجن مشتق من العجين * كذا من العجان باليقين
ومصدره العجن يقال عجن يعجن عجنًا وتقدم تعريف القلب واشتقاقه
(وقوله) فى وحيلاتك العبارة من وحل وفيها الوحل ايضًا وهو مشتق من
التوحل ومصدره الوحل يقال وحل يوحل وحلًا وقد يخاطب به الشخص
فيقال يا وحل مثلًا اى من طبعه وخصاله تشبه الوحل بنجسة خبيثة
(وقوله) يا دبتى قرص جله القرص هو الشئ المدور مشتق من التقريص
او من القراصة او من القرصة ومصدره القرص يقال قرص يقرص قرصًا
والجلة فيها ايضًا وهى مشتقة من جلة البهائم (وقوله) بين ادباتك جمع يد
وقد ورد هذا اللفظ فى القاموس الازرق والناموس الابلق قال
الشاعر جاءت لنا باديات تشير لنا * نمشى اليها سحبًا بالرجلات
(وفى نسخة اخرى) يا دبتى قرص جله بين رجيلاتك والمعنى واحد فى النجاسة

ومعنى

وعلى القول الثاني تكون الرجيلات جمع رجل وهي من الترجيل ومن الرجلة
قال الشاعر اذا اشتقت الرجلان فهي كرجلة * والافرجل كالترجل اذ ورد
ومصدرها الرجل يقال رجل يرجل رجلا والرجلان مثنى الرجل وفي
الابيات من انواع البديع تشبيه شيئين بشيئين لانه شبه سواد
كحلاتها وطول مدلاتها بهباب الفرن وحبل النور ولبعضهم

تلاعبوا تحت ظل السمر من فرح * كما تلاعبت الاشبال في الاجم

(ومن اشعارهم ايضاً مواليا)

سالت علحبْ فالواشت ملتايهْ * مسحت دمعي بكرسايهْ وجلايهْ
وشلت وجهي لربي قلت مولايهْ * جابْ لي دغيفْ وعجّوره وقتّايهْ

هذا المواليا ثقيل الاوضاع تمجه الطباع قليل المعاني ركيك المباني خسيس النظام وهو من بجزبل الكلام وطوله باتفاق من هنا لبولاق وعرضه بدستور من الجيزة لبولاق التكرور وتفاعيله مستثقلن ثاقلن مستثقلن ثاقلن ومعناه الذميم لا يهواه صاحب الذوق السليم وقصد هذا البليد من هذا المعنى السقيم الاكيد ان قوله (سالت علحب فالواشت ملتايه) يريد به انه لما عشق هذا المحبوب وزاد به العشق والوجد والغرام اكثر من ذكره وصار دائماً لا يفارقه طرفة عين فان من احب شيئاً اكثر من ذكره ولو انه في اعظم المشقات واصعب البليات قال عنترة بن شداد

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

والعاشق يتلذذ بذكر محبوبه واذا ذكر عنده ربما تختلج اعضاؤه عند ذكره شوقاً اليه (كما اتفق) ان رجلاً زاد به العشق فمرض فاتوه بطبيب فاخذ يجس نبضه ثم قال الطبيب للغلام هات الفرجيه فتحرك نبض المريض فقال الطبيب انت عاشق ومحبوبتك اسمها فرجيه

فقال له نعم يا سيدى فقيل له من اين عرفت ذلك فقال امسكت نبضه وذكرت الفرجيه فتحرك فعلمت بالفراسة انه عاشق ومحبوبته اسمها فرجيه ومن هذا المعنى ما ذكرته فى بعض القصائد من قولى

شكوت ما بى فقال الصحب اجمعهم * انظر طبيبا لقد امسيت فى وجل
فرحت نحو طبيب كنت اعرفه * يدرى رسوم الهوى بالقول والعمل
ناديته يا رعاك الله خذ بيدى * وانظر لحالى وداو القلب من علل
فجس نبضى وقال الحب فارتعدت * فرائصى وفؤادى صار فى خجل
وقال انت سقيم فى هوى قمر * بديع حسن رنا بالاعين النجل

الى آخر الابيات فلهذا اراد هذا العاشق استفسار الخبر عن محبوبه وان يعلم محله ومنزله ويسال عن حاله وفى اى مكان هو لاجل الاجتماع به وبلوغ المطلوب منه فسال عنه كما تقدم فقال له الجماعة المخاطبون جوابا لسؤاله ان محبوبك الذى تسال عنه شت اى ذهب وراح من التايه وهى محل يجعله الجماسة على شكل دائرة او نصف دائرة من القلقيل والطين وربما جعلوا له سقفا من الغاب والحشيش مثل بيت صغير ويضعوا فيه اوانى اللبن لاجل عمل الجبن واجتماعهم فيه ويسمونه التايه فيقال تاية الجماسة وتاية الغنامة ونحو ذلك مما هو مشهور بينهم وهذا كله فى زمن الربيع فانهم يمكثوا هذه المدة على تلك الحالة وربما لطخوها بالجلة والوحل ايضا لاجل تمكين البناء وسميت بذلك لانها تاوى هؤلاء الجماعة وتقيهم من الحر والبرد فعلى هذا يكون محبوبه من اولاد الجماسة او الغنامة الذين هم رعيان الجاموس والغنم بدليل انه سال عنه الجماعة القاطنين بهذه التاية فلما علم انه شت منها باخبارهم له تشتت شمله وادركه البكاء والنواح عليه بدليل قوله (مسحت دمعى بكرسايه وجلايه) اى حين علم ان محبوبه سافر وشت من التاية ولم يعلم خبره وكان ذهابه من التاية لاحد امور اما انه انكسر على ابيه مال السلطان فهرب لئلا يأخذوه عنه رهينة او انه راح فى طلب عجلة او بقرة او ثور فشت فى البرارى

لينظر ما ذهب منه فسال هذا العاشق الطفس عن هذا المحبوب الغلس فلم يجده فبكى على فراقه كما هي عادة العشاق واسلوب المحبين وسال دمعه وامتد سيلانه وربما اختلط بمخاطه ايضا (كما اتفق ان بعض العشاق المغفلين قال لصديق له هذه الابيات

اذا ما ذكرتك يا منيتي * يسيل المخاط على لحيتي
وليتك عندي اذا ما خريت * يكون لسانك في ثقبتي
نسيمك عطل ماء السما * واورثني الكسر في ركبتي
فان لم تغثني بلطف الدوا * فان الهوى مسهل معدتي

فلكثرة شوقه وعشقه لهذا المحبوب قال مخبرا عن حاله مسحت دمعي بكسر الدال المهملة جريا على اللغة الريفية اي لما حصل لي هذا الامر مسحت دمعي السائل مع المخاط الذي هو من لوازمه بكرسايه فلم يتيسر مسح جميعه فمسحت باقيه ايضا بجلايه اي انه استعار له ممسحتين عوضا عن محرمتين وهذا مما يناسب عشقه لهذا المحبوب وايضا فيه مناسبة لحال العاشق لانه دائما في قطع الكرس وشيل الجلة وعجنها ولزقها وكذلك المحبوب فالجنسية علة الضم والاشياء مناسبة لبعضها البعض اذ لو قال مسحت دمعي بمنديل او بمحرمة لكان هذا بعيدا عن الفلاح لانه لا يتصور ان يكون له محرمة او منديل الا نادرا لان الظريف من اهل الريف اذا فرغ من الاكل مسح يده في كمه او في لحيته فما بالك بغيره مثل هذا العاشق فانه لا يتصور منه لبس يليق بهذا المعنى ولو سلمنا ذلك وان كان نادرا كما تقدم فقد لا يتفق ذلك في وقت سؤاله عن محبوبه لانه سال عنه اهل التابة وهم دائما في حالة رذلة من الجلة والطين ونحو ذلك وهو ايضا في حكمهم ومتخلق باخلاقهم ومحبوبه كذلك بل هو واسطة عقدهم في الخساسة ورئيسهم في النجاسة ولا يتصور ان يكون مع احدهم منديل ولا محرمة لان مناديل الجماسة في الغيط دقونهم ومحارمهم اكمامهم وربما مسح الشخص منهم يده في قرص جلة

اوفى القلقيل اوفى الحشيش اونحو ذلك فان قيل لاى شئ مسح دمعه بكرسايه وجلابيه وكان الاولى ان يمسحه بكمه او بطرف كم او بشئ كان عليه من ملبوسه قلنا لعله لم يكن عليه الا ما يستر به عورته فقط اوكان عريانا كما هو دأب الفلاحين فى غالب اوقاتهم الكبير منهم عليه ما يستر العورة لاغير فربما كان وقت سؤاله عريانا فى حفر بئر اوقناة اوشيل زبل وجلة اونحو ذلك ومحبوبه على هذه الحالة ومن هذا القبيل اوانه لشدة بلادته وعدم ذوقه وكثافة طبعه لم يتيقن ان الكرساية والجلة نجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم لا يتحاشوا من هذه الامور فمسح دمعه بها اوانه من الخضوع الفشروى والتذلل لمحبوبه اوانه اراد ان يفهمه اذا رجع واجتمع به انه مسح جبينه ووجهه ودموعه بكرسايه اوبجلابيه ليتحقق انه محب له وانه تعاطى لاجله اخس الاشياء والاولى ان يقال ان هذا من باب المناسبة لحال العاشق وحال المعشوق لان الشخص من اولاد الفلاحين ينشأ من حين ولادته الى ان يموت فى الجلة والطين وشيل الزبل ونحو ذلك واذا جلس لا يجلس الا على النجاسة وربما اكل وشرب على الزبل والجلة ونحو ذلك فهم خرا ولاد خرا فكان مسحه بالجلابية والكرساية فيه مناسبة بهذا الاعتبار فلا يؤثر عنده المسح بذلك كما هو عادة ارباب التايات واحوال الفلاحين كما تقدم فاتضح الجواب من وجوه شتى ثم انه لما مسح دمعه وافاق لنفسه وتيقن ان محبوبه يطول رجوعه اليه ورأى نفسه جيعان ولم يرا احدا يرسله الى داره ليأتيه بشئ يأكله من جبن المشعر والجبن القريش والبصل ونحو ذلك كما هو عادة الفلاحين فى افخر مأكولهم لم يكن له صبر لان الجوع يضر بالانسان خصوصا مثل هذا الفلاح لاسيما اذا كان فى حالة حفر البئر اوشيل الطين اوفحت قناة اوشيل الوحل وتراكمت عليه الدواهى والتعب من عقب حفر البئر اوشيل الطين اوالعشق الذى هو فيه وزيادة على ذلك بكاؤه وسيلان دموعه وامتزاجها

وقد ابطا عليه الغدا فاضطر اضطرارا شديدا وساخت عليه نفسه لانهم يقولون الجوع كافر (وسمعت) بعض الفقهاء يقول لما خلق الله النفس سلط عليها انواع البلايا فقالت انت انت وانا انا فسلط عليها الجوع وقال لها من انا فقالت انت الله الذى لا اله الا انت فكان الجوع على النفس اصعب عليها من غيره ولهذا ترى الشخص اذا اصبر عليه يصح جسمه وينشط للعبادة (وقال بعضهم) تاكل كثير تنام كثير يفوتك خير كثير قال الشاعر

اذا شئت ان تحيى صحيحا منعما * فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا قل اكل المرء عاش طويلا

فلما اشتد بهذا الفلاح هذا الامر اخبر عن نفسه وقال فى مناجاته لربه (وشلت وجهى لربى قلت مولايه) اى لما طال على الزمن فى حالة بكاء وفى مسح الدموع واشرفت نفسى على الهلاك من الم الجوع وغيره كما تقدم شلت وجهى لربى اى رفعته وهذه لغة ريفية وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق كما يقال عندهم فلان شال وجهه اى رفعه وقوله لربى اى لخالقى ومربينى ثم دعوته وقلت مولايه وحذفت ياء النداء لضرورة النظم واما الهاء فى مولايه فلاجل الروى ثم كان من ضمن دعائه انه قال اطلب منك يا ربى ومولاى ان تيسر لى ما اكله والتهى به عن الانتظار لهذا المحبوب الذى اذهل عقلى واجاع نفسى واسال مخاطى ودمعى فعند ذلك استجاب الله دعاءه كما اشار له بقوله (جالى رغيف وعجور وقتاية) اى سخر لى انسانا اعطانى مجموع هذه الثلاثة واكلت وسددت مجاعتى وحصل لى غاية المقصود لان الله تعالى مع المنكسرة قلوبهم فان قيل استجابة الدعاء لها شروط ان ياكل حلالا ويشرب كذلك وهذا الفلاح فى وقت دعائه متضمخ بالنجاسة وهى مسح وجهه بالكرساية والجلة ووقوفه ايضا ينتظر هذا المحبوب لاجل ما يرقعه جنب المدود او الجرن وايضا هو لا يعرف الحلال من الحرام ومع هذا عجل الله له ما ذكر وهو الرغيف وتابعه (قلنا) انما عجل الله له هذا من باب الاستدراج او من باب ما ورد

اوفى القلقيل اوفى الحشيش او نحو ذلك فان قيل لاى شئ مسح دمعه بكرسايه وجلابيه وكان الاولى ان يمسحه بكمه او بطرف كمه او بشئ كان عليه من ملبوسه قلنا العله لم يكن عليه الا ما يستر به عورته فقط او كان عريانا كما هو دأب الفلاحين فى غالب اوقاتهم الكبير منهم عليه ما يستر العورة لا غير فربما كان وقت سؤاله عريانا فى حفر بئر او قناة او شيل زبل وجلة او نحو ذلك ومحبوبه على هذه الحالة ومن هذا القبيل او انه لشدة بلادته وعدم ذوقه وكثافة طبعه لم يتيقن ان الكرساية والجلة نجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم لا يتحاشوا من هذه الامور فمسح دمعه بها او انه من الخضوع الفشروى والتذلل لمحبوبه او انه اراد ان يفهمه اذا رجع واجتمع به انه مسح جبينه ووجهه ودموعه بكرساية او بجلاية ليتحقق انه محب له وانه تعاطى لاجله اخس الاشياء والاولى ان يقال ان هذا من باب المناسبة لحال العاشق وحال المعشوق لان الشخص من اولاد الفلاحين ينشأ من حين ولادته الى ان يموت فى الجلة والطين وشيل الزبل ونحو ذلك واذا جلس لا يجلس الا على النجاسة وربما اكل وشرب على الزبل والجلة ونحو ذلك فهم خرا ولادخرا فكان مسحه بالجلاية والكرساية فيه مناسبة بهذا الاعتبار فلا يؤثر عنده المسح بذلك كما هو عادة ارباب التايات واحوال الفلاحين كما تقدم فاتضح الجواب من وجوه شتى ثم انه لما مسح دمعه وافاق لنفسه وتيقن ان محبوبه يطول رجوعه اليه ورأى نفسه جيعان ولم ير احدا يرسله الى داره ليأتيه بشئ يأكله من جبن المشعير والجبن القريش والبصل ونحو ذلك كما هو عادة الفلاحين فى افخر مأكولهم لم يكن له صبر لان الجوع يضر بالانسان خصوصا مثل هذا الفلاح لا سيما اذا كان فى حالة حفر البئر او شيل الطين او فحت قناة او شيل الوحل وتراكمت عليه الدواهى والتعب من عقب حفر البئر او شيل الطين او العشق الذى هو فيه وزيادة على ذلك بكاؤه وسيلان دموعه وامتزاجها

١١٢٦

وقد ابطا عليه الغدا فاضطر اضطرارا شديدا وساخت عليه نفسه لانهم يقولون الجوع كافر (وسمعت) بعض الفقهاء يقول لما خلق الله النفس سلط عليها انواع البلايا فقالت انت انت وانا انا فسلط عليها الجوع وقال لها من انا فقالت انت الله الذى لا اله الا انت فكان الجوع على النفس اصعب عليها من غيره ولهذا ترى الشخص اذا صبر عليه يصح جسمه وينشط للعبادة (وقال بعضهم) تاكل كثير تنام كثير يفوتك خير كثير قال الشاعر

اذا شئت ان تحيى صحيحا منعما * فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا قل اكل المرء عاش طويلا

فلما اشتد بهذا الفلاح هذا الامر اخبر عن نفسه وقال فى مناجاته لربه (وشلت وجهى لربى قلت مولايه) اى لما طال على الزمن فى حالة بكائى وفى مسح الدموع واشرفت نفسى على الهلاك من الم الجوع وغيره كما تقدم شلت وجهى لربى اى رفعته وهذه لغة ريفية ووردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق كما يقال عندهم فلان شال وجهه اى رفعه وقوله لربى اى لخالقى ومربينى ثم دعوته وقلت مولايه وحذفت ياء النداء لضرورة النظم واما الهاء فى مولايه فلاجل الروى ثم كان من ضمن دعائه انه قال اطلب منك يا ربى ومولاى ان تيسر لى ما اكله والتهى به عن الانتظار لهذا المحبوب الذى اذهل عقلى واجاع نفسى واسال مخاطى ودمعى فعند ذلك استجاب الله دعاءه كما اشار له بقوله (جالى رغيف وعجوره وقثاية) اى سخر لى انسانا اعطانى مجموع هذه الثلاثة واكلت وسددت مجاعتى وحصل لى غاية المقصود لان الله تعالى مع المنكسرة قلوبهم فان قيل استجابة الدعاء لها شروط ان ياكل حلالا ويشرب كذلك وهذا الفلاح فى وقت دعائه متضمخ بالنجاسة وهى مسح وجهه بالكرساية والجلة ووقوفه ايضا ينتظر هذا المحبوب لاجل ما يرقعه جنب المدود والجرن وايضا هو لا يعرف الحلال من الحرام ومع هذا عجل الله له ما ذكر وهو الرغيف وتمامه (قلنا) انما عجل الله له هذا من باب الاستدراج او من باب ما ورد

ان الرجل الخبيث اذا دعا يسرع الله له بالاجابة بخلاف الرجل الصالح فان الله تعالى يحب تكرار دعائه اليه وقد قيل في قوله تعالى في حق سيدنا موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام قال قد اجيبت دعوتكما اى بعد اربعين عاما

(مسئلة هبالية) ما الحكمة في ذكره في الابيات الكرس والجلة والرغيف والعجورة والقتاية وهذا لا يناسب ذلك ولا يجتمع معه فان الشخص لا يمكن ان يأكل القتاية والعجورة بالجلة والكرس نعم يمكن بالخبز وغيره مما يناسب فما فائدة ذكر ذلك مع ان فيه انواع النجاسة (قلنا) لعل هذا من باب تعدد الاسماء وقد ذكروا نوعا من البديع فالكرساية واحد الكرس والجلاية واحد الجلة والعجورة والقتاية كذلك وذكر القتاية بالتاء المثناة لغة ريفية فيكون بينها وبين اللغة الفصحى جناس المصحف فاتضح الجواب وزال الاشكال عن وجه هذا الهبال واما حل هذه الابيات واشتقاقها فقوله سألت عن الحب السؤال هو ان يسأل الشخص عن شئ وهذا من باب تحصيل الحاصل وهو مشتق من السئيل او من السولية او من السيالة ومصدره السؤال يقال سأل يسأل سؤالا والحب مشتق من المحبة او من المحبوب وهو بكسر الحاء اسم لزير الماء (وسمعت) امى وانا صغير تقول يا شئ من شئ بطنى على بطنه والمدلى يعمل شغله ولم افهمه الا بعد مراجعة امى مرارا انه زير الماء والكوز ومصدره الحب يقال حب يحب حبا وقوله شت مشتق من الشتات او من الشيتة التى تستعملها النساء لمحر الكتان والتاية مشتقة من التوهان او من وادى التيه وقوله مسحت من الممسحة على وزن المروحة او من المسحة على وزن دبجة ومصدره المسح يقال مسح يمسح مسحا والجلاية كذلك من معناها والكرساية من التكرس او من كرس الزريبة وقوله شلت وجهى الشيل مشتق من الشالية التى يوضع فيها اللبن او من الشلف الذى يشال فيه التبن ومصدره الشيل يقال شال يشيل شيلا والعجورة من العجر او من العجيرة وهى حشيشة معروفة ومصدرها العجر يقال عجر يعجر عجرا

١٠٣٠٥١١٨

والقتاية مشتقة من القت الذي يربطوه الحصادين من الفلاحين ايام حصاد الأرز وهو معروف عندهم وفي البيت من انواع البديع المقابلة لانه قابل وجهه بالكرساية وقابل لحيته بالجلاية وقابل بطنه بالرغيف والبجورة والقتاية وهذا يدل على انه كان مشغولاً ببطنه اشد من اشتغاله بمحبوبه وفيه الطباق المعنوي ايضاً لكونه طوى ذكر الجوع وشكايته ثم ذكر بعض ما يدل على ذلك فانظر وفقك الله ما حوى هذا النظم القشري من غموم وهموم ومعاني عليها الخراطوم لا يعرف الا بالذوق ولا يدرك الا بالشوق (ومن اشعارهم مواليا)

رقاص طحونتنا يشبه لخلخالك * ورحينا في الزريبه قات اشحالك
الا وكلاف يقول لي ياصبي مالك * طور ابن شيخ البلد حاله كاحوالك

هذا المواليا من بحر التخبيط وهو على اربعة اضرب من التخابيط * وتفاعيله مستلهطن لاهطن مستلهطن لاهطن وطوله من غير حضر من شبرى لمصر وعرضه مع المصيبه من باب النصر للصليبه ومعنى الفاظه الحويطه وحل معانيه العبيطه اه قوله (رقاص طحونتنا يشبه لخلخالك) اي رنة خلخال محبوبته وسماعه اذا خطرت ومشت يشبه رنة رقاص الطاحونة خصوصاً اذا كان خلخالها من النحاس المطلي بالقزدير كما تفعله نساء الارياف او من الحديد فعلى هذا يكون المشبه به السماع والحس لا نفس الرقاص وسماعه يظهر عند دوران حجر الطاحونة فيكون هذا الصوت الذي شبه به صوت خلخالها ناشئ من بين الحجر والرقاص ولهذا عرفوه بانه الهواء المنضغط بين قالع ومقلوع او قارع ومقروع فاتضح المعنى واندفع الاعتراض عن الناظم والا لو كان المشبه نفس الرقاص لم يكن هناك فائدة لكلامه الا على تقدير مضاف فاي صوت رقاص طاحونتنا الخارج منه ومن الحجر يشبه لصوت خلخالك من بين القزدير اذا مشيت ويفهم من هذا انها كانت تلبس في كل رجل خلخالاً كاملاً لاجل ظهور الصوت فان قيل ان رقاص الطاحونة له حس مرعب

عند دوران الحجر وله قرقعة عظيمة منفرة للقلوب عند سماعها ولهذا يفعله
الطحانون لاجل معرفة الناس ان هذا محل الطحن فيأتوا اليه للطحن فيه
او لاجل دوران الثور او الفرس فانه ما دام يسمعه يدور فاذا رفعوه
وانقطع حسه عند فراغ القمح من القادوس وقف فهو معد لاجل نشاط البهائم
وسرعة دورانها فاين المناسبة بينه وبين الخلخال من الفضة فان الشئ
انما يشبه به ما كان مثله فالجواب ان هذا النطع لم ير الخلخال اصلا
ولا ملكه طول عمره وانما يعرف رقاص الطاحونة فظن بسوء طبعه وعدم ذوقه
ان صوت هذا الرقاص لم يكن فى الدنيا احسن منه سماعا فشبه صوت خلخال
محبوبته به لاسيما اذا لم يكن من الفضة بل كان من النحاس او الحديد فانه
اذا كان كذلك ومشت به محبوبته فان حسه يقارب فى السماع حس
الرقاص وبالجملة فلو كان هذا الفلاح طحانا لطيفا لم يتكلم بهذا التشبيه
الكثيف * والطف ما سمعته فى طحان هذان البيتان

طحان تم قدرها جمالا * فما يطاق السلو عنه) * (ورق خصرا فليت شعرى * بكم يباع الدقيق منه

واحسن ما سمعته فى محبوب فلاح قول بعضهم

رب فلاح مليح * قال يا اهل الفتوه) * (كفلى اضعف خصرى * فاعينونى بقوه

اقول هذا من باب عمى العاشق عن عيوب المحبوب والا فالفلاح وان كان
جميلا فان افعاله بعدم اللطافة مشهورة وغاية الامر ان هذا العاشق
نظر الى الردف الثقيل والخصر النحيل فمدحه فاتضح الجواب وبان الصواب
ثم انه اضاف الطاحونة الى نفسه لكونه كان ملازما لها وقاطنا فيها
ويحتمل انها كانت ملكه او ان هذا من باب بنى الامير الجدار ثم ما كفى
هذا القائل الخبيث الطبع الرثيث الوضع الذى لا يعرف الحب ولا يدريه
وعشقه يشبه الخرا ما ذكره من النظم الركيك والمعنى الدكيك حتى تخيل له
ان الرحا تخاطبه بالمقال وانها تفهمه عن شرح الحال فاخبر عنها وقال
(ودحينا فى الزريبه قالت اشحالك) يشعر هذا الكلام بان الرحا خاطبته
وانها سألته عن حاله وقالت له ما حالك اليوم يا مسكين وقد وصلت

الى العظم السكين وكيف صبرك على فراق محبوبتك ومقاساتك التعب والمشقة من اجلها هذا اذا جعلنا خطاب الرحا له واما ذاك الخطاب لمحبوبته فيكون ذلك من باب سلام الرحا عليها واستفهامها منها ما هي فيه في هذا الوقت وبالجملة فان كانت اللام التي قبل حرف الروي منصوبة كان الخطاب له وان كانت مخفوضة كان لمحبوبته ولعل هذا هو الاصوب وسيأتي ان نصب اللام وخفضها لا يضر في الشعر ويفهم من قرائن المقام ان محبوبته كانت مثله طحانة تطحن على الرحا في الزربية فان هذا العاشق كان يتردد عليها ويشاهد هذا الامر فكانت الرحا اي لسان حالها ترى منه هذا الامر فتخاطب تارة العاشق وتارة المعشوقة خطابا بلسان الحال لا بلسان المقال فانها ليست من اهله * ثم انه لما علم من حالها انها خضعت له ورقت لحاله حيث خاطبتها الحجارة وانه يريد منها ما يريد الراهب من الحمار اراد ان يعرفها ما يقع اخيرا قبل مواصلته وما يتفق لبعض اصحابه واخوانه من الاثوار من نحول جسمهم من ضرب الفرقلة وتعب السواقي والحرث ونحو ذلك لاجل ما يتأسى به ويتسلى بحاله فاتى باداة الاستثناء فقال (الا وكلاف يقول لي يا صبي مالك) وفي نسخة بدل حالك والك بالواو (طور ابن شيخ البلد حاله كاحوالك) اي ان هذا الكلاف ويقال له العلاف بالعين المهملة ويسمى التوار ايضا وهو الذي يكلف البهائم والاثوار ويتعاطى خدمتها لما رأى هذا العاشق ومقاساته للاهوال من اجل محبوبته وقد صار في حالة رذيلة خصوصا عند مشاهدة محبوبته لان العاشق اذا شاهد معشوقه اعتراه التغير وخالطه الاصفرار وكذلك النحول قال الشاعر

علامة من كان الهوى في فؤاده * اذا ما رأى المحبوب يوما تغيرا
ويصفر منه اللون بعد احمراره * وان طالبوه بالجواب تحيرا

وايضا رآه في حالة فقر وافلاس وناهيك بالعاشق المفلس كيف يكون حاله وشاهد ما هو فيه من الخمول وشدة النحول قال له يا صبي مالك او والك

على الرواية الثانية لغة عند أهل الريف والمعنى واحد أى ما حالك هذا الذى انت فيه وما سبب مقاساتك للخطب وانما خاطبه بلفظ يا صبى لكونه اعترته الصبوة اى المحبة والميل وسيأتى اشتقاقها او أنه كان من صبيان البلد اى من شجعانها وقد اذله الحب وانحله الغرام والمعنى انك لست مختصا بهذه الحالة وحدك بل ان بعض اخوانك من الاثوار نابه ما نابك واصابه ما اصابك وهو ثور ابن شيخ البلد الذى هو أعظم الاثوار واكبرها فان حاله الآن مثل حالك قد انحل جسمه واصفرت ذاته مما قاسى من التعب وما كابده من النصب وما اكله من الضرب على اضلاعه وما حصل له من شدة اوجاعه وهذا من باب التسلية والتأسى بالغير كما سبق واراد تسليته بالثور لكونه فلاحا ومن شأن الفلاح أنه فى الغالب لا يضرب الامثال الا بالبهائم ولا يكثر الا من ذكرها وذكر آلات الغيط ونحوها فخاطبه من جنس ما يناسبه كأنه يقول له سل نفسك وصبرها على العشق والغرام فان هذا الامر ليس مختصا بك فان صديقك ورفيقك الذى هو ثور ابن شيخ البلد حاله يشبه حالك وأتى بهذا التشبيه الخسيس المبنى على غير تجنيس لمناسبة عشقه وحال محبوبته كما تقدم بيانه لئلا يخرج تشبيهه عن ماهية ما هو فيه لانه دائما فى معاشرة البهائم والاثوار وكذلك محبوبته فاتجه الحال وظهر الجواب عن هذا الاشكال اذ هو نظم يشبه بول الرجال وقائله اثقل من الجبال

• واما شرح كلمات الابيات واشتقاقها فقوله رقاص طحونتنا الرقاص آلة يصنعها النجار من الخشب تشبه الكف والانامل معلقة فى عود من الخشب او الحديد فاذا دار الحجر رقصت عليه وسمع لها حس وسميت الرقاص لانه مشتق من الرقص على وزن القمص او من قرية فى البحر الغربى يقال لها رقص ومصدره الرقص يقال رقص يرقص رقصا فهو رقاص * والطاحون على وزن المأبون والمجنون مشتقة من طحن القمح او من الطحين ومصدره الطحن يقال طحن يطحن طحنا فهو طاحن ومطحون * والخلخال مشتق من الخلخلة او من الخيلاء او من خلخلة الهواء ومصدره الخلخلة يقال خلخل يخلخل خلخلة * والرخ جمعها

وهي حجران صغيران احدهما مركب على الآخر الأعلى يدور وعلى الاسفل وفي وسط الاسفل عود من الحديد يدور عليه الحجر الثاني يقال له القطب (قال ابن دريد رحمه الله تعالى في مقصورته

وان سمعت برحًا منصوبة * للحرب فاعلم انني قطب الرحا

والرحى بضم الراء واحدتها رحًى كما تقدم وهي مشتقة من الراحة او من الروحاء محل بارض الحجاز او من الرواح وقيل من المروحة ومصدرها الرحا يقال رحا يرحو رحا

قال الشاعر لراحة مشتقة من رحائهم * تروّحني لمّا اروحُ الى ارضي

والزربية مشتقة من زرب البهائم لانهم دائما يزربوا فيها ويحلبوا فيها وربما بالوا فيها ايضًا كما هو معروف بينهم ومصدرها الزرب يقال زرب يزرب زربًا * والكلاف مشتق من الكلفة او من الكلف وهو النمش الذي يظهر في وجه الامرد او الجارية بعد بلوغها ودليله ان هارون الرشيد مر يومًا بجارية تباع فقال والله لولا كلف بوجهها لاشتريتها فانشدت الجارية تقول

ماسلم الظبي على حسنه * كلا ولا البدر الذي يوصف
البدر فيه خنس بيّن * والبدر فيه كلف يعرف

فاشتراها هارون الرشيد لفصاحتها وحظيت عنده واذا كان بلفظ العلاف كما تقدم فيكون مشتقا من العلف او بلفظ الثوار فيكون مشتقا من الثيران ومصدره العلف يقال علف يعلف علفًا* وقوله يا صبي مالك بنصب اللام والبيتان السابقان بكسر اللام وهذا لا يضر لانه ورد في شعر العرب وتقدم في غير هذا المحل اشتقاق الصبي من الصبوة او من الصابون او من قناطر الصابوني وتقدم تعريف الثور لغة واصطلاحا (مسألة ثانية) لاي شيء اتى في النظم بالثور فقط وكان من حقه ان يأتي بالعجلة ايضا او بالبقرة حتى يكون الناظم في مقام الثور والمحبوبة في مقام العجلة والبقرة بحيث يكون الذكر للذكر والانثى للانثى ويكون هذا من باب المقابلة التي هي ابلغ في النظم (قلنا الجواب) الشيء عندنا يفهم من ذكر الثور ذكر العجلة او البقرة كما ان ذكر عنتر يفهم منه ذكر عبلة فكان الاعتراض على الناظم

في غير محله وكانت المقابلة معنوية وهذا من باب قياس فلحس بن فلطس الذي قاس البحر على المغطس (فان قلت) لاى شئ حصر الناظم الرحى في الزربية مع انها ليست معدة لذلك وانما هي معدة لزرب البهائم فيها كما تقدم انهم يبولوا فيها بيقين فان البول فيها لا يدوم ولربما كانت جوانبها سالمة من البول فيجعلوا فيها الرحا لاجل الطحين او يقال ان نساء الارياف لا يتحاشين من الزبل والجلة فان المرأة منهن اثوابها دائما متضمخة بالجلة وغيرها في غالب الاوقات فاتضح الحال عن وجه هذا المثال (ومن اشعارهم مواليا)

رأيت حريفى بفرقلة يسوق تيران * لو كرّ اصفر على راسه كما اللبسان
يا ريتنى كنت له حدوه من الحدوان * او كان لى شلق فوق راسى من الكتان

هذا المواليا من بحر التحريف ومعنى التحريف بالتقدير من سمنود لابى صير * واما معناه الخارج من الادراكات الجارح لقلوب ذوى المروآت الذى يمجه الطبع ولا يسعه محل من البيوت ولا ربع فان قوله (رايت حريفى بفرقلة يسوق نيران) هذه الرؤية بصرية اى شاهدت ببصرى لا بيدى ورجلى حريفى اى محبوبى وهذه اللفظة من لغة الارياف لانهم يخاطبون محبوبهم بهذه الكلمة فيقول الشخص منهم فلان حريفى اى صديقى او صاحبى او محبوبى ويقول له يا فلان تعال حرفنى او لا تفشنى يا ابو واسعة او هارشنى يا ابو عرنصية او حارفينى يا املحه او يا ابو كارن او يا ابو كرم ونحو ذلك من هذه الالفاظ وستأتى كيفية لفشهم على المرد والنساء في الارجوزة الآتية في آخر الجزء ان شاء الله تعالى * وقوله بفرقلة يسوق نيران يريد به التغالى في وصف المحبوب حيث جعله سواقا بفرقلة لان الانسان اذا عشق شخصا يصفه بوصف يليق بحالته التى هو فيها من لبس وصنعة او نحو ذلك مما يكون مغرما به وعاشقا له (كما اتفق) ان بعضهم كان يهوى غلاما يهوديا وكان الغلام مغرما بضرب الناقوس فمر به يوما وهو يضربه فانشد يقول

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم الظبى ضربا بالنواقيس
فقلت يا نفس اى الضرب يعجبك * ضرب النواقيس او ضرب النواقيس

فانظر الى دقة هذا الكلام والى مصادمة هذا النظام فكان هذا مناسبا لحال كل منهما لان العاشق فلاح والمحبوب سواق ولا يستغنى الفلاح عن عشرة السواق ولا السواق عن الفرقلة ايضا والفلاح عنده كالثيران فى مقام الاولاد كما ان السواق عنده الفرقلة اعز من اخيه وولده ولهذا تراها دائما على كتفه لا تفارقه فكان المطلوب من هذا العاشق وصف هذا المحبوب بما يناسب مقامه وما يألفه ثم ما كفى هذا العاشق الماسخ والهم الراسخ ما وصف به محبوبه من امر تعاطيه الفرقلة واشتغاله بسوق الثيران وانه عنده من اكابر الرعيان ومن اعز السواقين الاعيان حتى وصف ما على رأسه فقال (لو كر اصفر على رأسه كما اللبسان) هذا على حذف مضاف تقديره ان لهذا المحبوب كرا وهو الشد الذى يلفه على رأسه يشبه فى لونه نوار اللبسان وهذا من قبيل التفاخر بمحبوبه والتعاظم له حيث وصفه بان له كرا اصفر على رأسه يشبه نوار اللبسان وانه متميز عن غيره من السواقين والرعيان بهذا الكر فقل ان يلبسه احد من جنسه واذا فرض ان احدا لبسه لا يكون كله اصفر كنوار اللبسان بل ربما تكون اطرافه فقط مزعفرة او معصفرة كما يفعله اهل الريافة لاولادهم فان قيل لاى شئ شبه كر محبوبه بنوار اللبسان ولم يشبهه بالزعفران او العصفر او نحو ذلك (قلنا الجواب واضح) وهو انه انما شبهه بهذا الزهر لانه لا يعرف الزعفران ولا غيره من الصبغات وانما يعرف ما تظهر صفرته من اصناف النوار مثل نوار اللبسان لانه فلاح والفلاح لا يعرف الا ما يظهر من الزرع وكذلك محبوبه سواق فرقلة فكان الانسان يشبه كره بما يعرفه والا لو فرض انه شبه الكر بشئ لطيف او وصفه بوصف ظريف لخرج عن ماهية الرذالة وكان منه تشبيها لطيفا بعيدا عما يقتضيه طبعه من الثقالة فاتضح الحال عن وجه هذا الاشكال ثم لما علم ان محبوبه دائما يمشى بحدوة فى رجله اذا احتاج الى حرث الارض او حصاد الزرع او الذهاب الى الساقية اذا كانت بعيدة تمنى ان يكون حدوة فى رجليه من الحدوان فقال (يا ريتنى كنت له حدوه من الحدوان)

اى ياليتنى فابدل اللام راءً على لغة اهل الريف اكون دائماً حدوة فى رجليه ولو كان بها النجاسة حتى اتلذذ بمس بشرة رجله الخشنة وكعبه المقشف * فانظر الى قلة عقله وصقاعة لحيته حيث عمل نفسه حذوة من الحذ ولمن بل هو جدى من الجديان * واذل من هذا التمنى فى هذه الابيات قول بعضهم فى المدرجات

ياليتنى كنت له سنداسا * اوكنت فى اقدامه مداسا

فتمنيه فى الشطر اشنع من تمنى هذا الفلاح لان السنداس اشنع من الحدوة لانه محل الشئ المستقذر نعم الشطر الثانى من قبيل ما نحن فيه * ثم ان هذا الفلاح لما لم يبلغ مناه ولم ينل ما تمناه ولم يظفر من محبوبه برضاه تمنى ان يكون محبوبه مرفوعاً على رأسه فقال (اوكان لى شلق فوق راسى من الكتان) الشلق يطلق على قطعة حبل من الليف والكتان وربما سمى اهل الريف الحزمة الصغيرة شلقا وهذا من باب التذلل لمحبوبه والتواضع له حيث جعل نفسه حذوة من الحذوان فى رجليه وجعل محبوبه شلق كتان فوق راسه لاجل ما يعصب رأسه به اذا اشتد وجعها من الم الصداع او الضراب الهم والدوا والمصائب وهذا من عدم ذوقه وقلة عقله وشدة جهله (فان قيل) اذا كان هذا العاشق قصد ان يكون محبوبه فى صورة شلق من الكتان يربطه برأسه يكون على هذا التقدير محبوبه دائماً فى تعب منه مع ان العاشق لا يريد الا راحة محبوبه (قلنا) ان هذا من باب التواضع القسرى لمحبوبه وطلب الرفعة له والعلو بكونه دائماً فوق رأسه مرفوعاً لان الرأس ما رأس وعلا فلا يكون فوق محبوبه شئ ولا دون هذا العاشق احد من العشاق فى التواضع او انه من قبيل الاشتغال به بربطه على رأسه وعلى الاحتمال الاول حصلت هنا المقابلة لرأسه وللحدوة التى فى رجل محبوبه فكان هذا من باب التدلى وعكسه فناسب الامر واتضح المعنى وهذا كله من تمنى ما لا طمع فيه على حد قول بعضهم

الا ليت الشباب يعود يوماً * فاخبره بما فعل المشيب

(مسئلة هبالية) لاى شئ تمنى هذا العاشق ان يكون حدوة ولم يتمن ان يكون وطا مع انه المناسب وربما كان الطف واظرف من الحدوة واغلى ثمنا

والحدوة فيها يبس وعجرفة اكثر من الوطا والوطا يفرح به الفلاح ويقبله خصوصًا فى ايام الاعياد ونحوها والمحبوب لايليق به الا الشئ النفيس فالجواب قلنا الجواب عن هذا البحث القشروى ان هذا المحبوب دائما يمشى الى الحرث والحراث لايليق به المشى فى حالة الحرث الا بالحدوة وايضا هى اكثر استعمالا لكثرة مايدوس بها فى الارض المحروثة فى سروحه ورجوعه وفى شدة الحر وبذلك تكون النجاسة فيها اكثر والقذارة اوفى واوفر فتكون بمقامه انسب واوفق بحاله من الوطا واقرب وايضا هى المعهودة والمعتادة فى مثل هذا المقام اذ من عادة الفلاح انه لايسرح ولايروح الا والحدوة خلف قفاه مربوطة بحبل فى نبوته والعادة تثبت بمرة فكان الاولى لهذا العاشق ان يتمنى ان يكون له حدوة لانها عند المحبوبة المألوفة فهى احسن من الوطا وايضا العاشق من شأنه انه يحب مايألفه محبوبه ويهواه ومن شأنه التذلل للمحبوب والخضوع له والذل فى الحب لائق بالمقام كما قال بعض الملوك فى جاريته وكان مغرمًا بها ومشغولا بحبها

ايا ربة الخدر التى ضيعت نسكى * على كل حال انت لابد لى منك
فاما بذل وهو اليق بالهوى * واما بعز وهو اليق بالملك

وقال هرون الرشيد فى جواريه الثلاث

ملك الثلاث الأنسات عنانى * وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها * واطيعهن وهن فى عصيانى
ماذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوين اعز من سلطانى

٢ هو ما رويناه كما فى تزيين الاسواق ه

٩ الذى احفظ الغانيات ه

فاتضح الجواب وبان الصواب (مسئلة اخرى) فان قيل كان من حق الناظم ان يقول (اوكان لى شلوق فى وسطى محزم به) لان الشلوق كما تقدم حبل من الكتان او الليف والحبل لايكون معدا الا للحزام اولربط شئ ونحوه واما وضعه على الرأس فنادر فما الحكمة فى ذلك قلنا الجواب عن ذلك ان الشلوق وان كان معدا لما ذكر الا ان الغرض للناظم خلاف ذلك وهو انه يريد رفع محبوبه على رأسه حتى يصير فى اعلى مكان

وأشرف منزل وبذلك ظهرت الحكمة فيما قاله وأيضاً يمكن الجواب بأن يقال ان من عادة الفلاحين انهم يلفوا على رؤسهم الحبال اذا كانوا في شغل دق الكتان او فتل الحلفه فيجعلونها مقام الكرّ ويربطون بها رؤسهم ويحفظون بها طواقيهم لئلا تقع من على رؤسهم واما اذا جعلنا الشلق بمعنى الحزمة الصغيرة كما تقدم فلا اشكال بل هو الاوفق بقوله فوق راسي من الكتان فاتضح بما قلناه الجواب وظهر المعنى وبان الصواب

(شرح لغات الابيات) قوله حريفي مشتق من الحرفة او من الحرافة او من حروف الهجاء او من حرف الماجور قال الشاعر

حريف اذا ما اشتق فاذكر حرافة * وقد قيل من حرف الهجاء وحرفة
وقد صح في القاموس الازرق انه * من الحرف للماجور فاصغ لحكمة

ومصدر الحرف يقال حرف يحرف حرفاً فهو حريف * والفرقلة مشتقة من الفرقلة على وزن المزبلة او من الفرقال على وزن المثقال او عبيل الزبال ورأيت في القاموس الازرق والناموس الابلق ان الاصل في وضعها الطراشة التي تلعب بها الخلابيص في الشام وعملت الفرقلة قياساً عليها وكان اسمها في الاصل فرقيعة وان الذي صنعها صار يضرب بها الناس ويفرقع فكل من رآه يضرب آخر فرقع له فحذفوا العين المهملة من آخر الفعل واضافوا اللام وهاء الضمير الى بقيته واقاموا الضمير المذكور مقام هاء التأنيث وجعلوا مجموع ذلك علماً على هذه الحبال المفتولة وقالوا فرقلة كما قالوا مثل ذلك في بعلبك ومعدي كرب ونحوهما من المركبات المزجية فان قيل اذا كان اصل الفرقلة الطراشة فلاي شيء ترك الناظم الاصل وأتى بالفرع والاصل اشرف من الفرع الا في بعض مسائل ذكرها العلماء قلنا انما كان يناسب الاتيان بالاصل لو كان محبوبه خلبوصاً فان الطراشة من ملازمات الخلبوص ولكن المقام لا يناسبه الا الفرقلة لكون هذا المحبوب سواقاً للبهائم وهو من اولاد الفلاحين فكان الانسب به الفرقلة كما تقدم ومصدرها الفرقلة يقال فرقل يفرقل فرقلة * وقوله يسوق على وزن فتوق

مشتق

مشتق من السواق او من الساقية او من السواقة ومصدره السوق
والسواقة يقال ساق يسوق سوقا وسواقة قال الشاعر

يسوق اذا ما اشتق فهو سواقة * وساق وسواق وسقس لقدره *

والكر ما يلف على الرأس من الكتان والقطن وغيره وهو مشتق من الكركرة
على وزن الخرخرة او من الكراويا او من الكرب او من كر الشيء اذا حله
يقال كر عرضية فلان اذا حلها من على رأسه ومصدره الكر يقال
كر يكر كرا * وقوله كما اللبسان اللبسان نبات يطلع في البرسيم له ورق
عريض يأخذه اهل الريف وينزعوا ورقه ويخرطوه بالسكين ويضيفوا
عليه اللبن والملح ويبقوه زمانا يسيرا ويأخذوا قوامه ويسموا مجموع ذلك
كبر باللبن وسيأتي ذكره في كلام المتن وزهره يخالف زهر الكتان
لانه اصفر وزهر الكتان ازرق قال ابن سودون

(زهر الكتان مع اللبسا * ن هما لونان ولا كذب) (كيهود في دير خلطوا * بنصارى كم طرب)

وهو مشتق من اللبس لانه ربما يلتبس على الشخص القليل المعرفة قبل ظهور
نواره بنبات آخر غيره يسمى عند الفلاحين حميض بضم الحاء المهملة وتشديد
الميم وربما اشتبه ايضا بنبات يسمى فسا الكلاب وورقه ايضا يشبه ورق
اللبسان وفسا الكلاب فيه بعض منافع مذكورة في منافع النباتات
او من بئر اللبسان وهي بئر مشهورة في ارض مصر يطلع فيها نبات يدخل
في علم الصنعة الالهية ويقال ان هذه البئر هي باب الكنز الذي تأتي اليه
الحبشة وتأخذه في آخر الزمان ومصدره اللبسان يقال لبس يلبس لبسانا
* والحذوان على وزن الخروان واحده الحذوة وهي جلدة تعمل على قدر
القدم لها خيوط من الجلد تمسكها ويستعملها الحراثون وغيرهم لدفع المشقة
واذهاب الحفا والعيا عن الرجل ونحو ذلك ومصدره الحذو يقال حذا
يحذو حذوا وقيل مشتقة من الحداية وهي طائر معروف من الفواسق
الخمس التي جوز الشارع قتلهن (فان قيل ان الحداية من شأنها الخطف
والحدوة بخلاف ذلك فكيف تكون مشتقة منها) (قلنا هنا ادنى مناسبة

وهو ان الحدوق اذا مشى بها الشخص ربما خطفت بعض الحصا وطرحته اذا اسرع صاحبها فى المشى فكان هناك بعض شبه بالحدّاية من هذا الوجه (فائدة) ذكر صاحب القول المعاب فى وصف الغراب واقعة عجيبة وهى ان بعضهم افتقر فدخل الى بعض اخوانه من الاغنياء يلتمس منه شيئاً فعبس فى وجهه فخرج من عنده منكسر النفس ومضى الى بعض المقابر فمرّغ وجهه على الارض ودعا الله تعا واذا بحدأة القت عليه شيئاً فنظر فيه فاذا هو كيس ملآن دنانير وفيه جوهرة تساوى جملة من المال فاخذه واتجر فيه وصار فى يسر الى ان مات فانظر الى لطف الله تعا ونعمه ومزيد عطائه وفضله على خلقه * ورأيت فى القاموس الازرق والناموس الابلق ان الحدوق مشتقة من الحدادى واستشهد على ذلك بشاهد فيشرق فقال (والحدوق اشتقاقها قد صحّحوا * من الحدادى فاستمع ما رجّحوا والحدادى على وزن الجنادى جمع حداية * والشلق مشتق من الشلوق اومن الشلقة اومن الشاقول الذى يوضع فيه ربع الميقات ومصدره الشلق يقال شلق يشلق شلقا والكتان معروف وهو مشتق من الكتانية الذين يتعاطون تعطينه وتشميسه ونحو ذلك ومصدره الكتن يقال كتن يكتن كتنا (فان قيل لاى شئ تمنى ان يكون محبوبه شلق كتان ولم يقل شلق خوص او حلفة او نحو ذلك قلنا لعل شلق الكتان اقوى من شلق الخوص والحلفة اولعله من باب اشتغال العاشق والمحبوب بزرع الكتان وقلعه وملازمتهما لهذا الامر فهما لا يعرفان غيره فاتى بما يناسب الحال نعم لو كان محبوبه صعيدى لناسب ان يأتى بشلق الحلفة لكون الصعيدى يألفها ولهذا يقال صعيدى مصاص حلفة او كان خواص لناسب ان يأتى بشلق الخوص فاتضح الجواب وزال الاشكال وتم المقال وقد انهينا ما اوردناه من شرح بعض كلامهم ودشتهم وفشارهم وحل لغاتهم بلا مرا وكشف معناها الذى يشبه الخرا الذى لا يعرف الا بالذوق * ولا بد ان نأتى بطرف يسير من شعر من يدعى النظم وهو جاهل

ويقول الشعر وهو ذا اهل (فمن ذلك) ما اتفق ان هارون الرشيد جلس يوما عند زوجته زبيدة فجرى ذكر ولدها الامين وكان بليدا جدا بخلاف اخيه المأمون فانه كان حاذقا فطنا لبيبا عارفا فى النظم والنثر وغيره وكان الخليفة يميل اليه لفصاحته وسرعة جوابه وشدة حذقه فمدحه عندها فاغتاظت منه لكونه لم يمدح ولدها الامين فقال لها انه بليد لا يدرى النظم ولا يعرف النثر فقالت له بل ولدى اشعر من اخيه واقوى جراءة واشد فكرة ومعرفة فى النظم والنثر وان شاء الله تعالى فى غد اقول له ينظم الشعر ونعرضه على ابى نواس فقال لها الخليفة حبا وكرامة فى غد ان شاء الله تعالى نسمع كلامه ونطلع على شعره قال فلما مضى النهار ارسلت خلف ولدها الامين واخبرته بالقصة التى وقعت بينها وبين ابيه والزمته بنظم الشعر وان يعمل ابياتا ويعرضها على ابى نوا فاجابها لذلك واعتزل فى محل خال عن الناس وقدح فكرته الكاسدة وقريحته الباردة حتى عمل ابياتا يأتى ذكرها تشبه رض القلقيل ثم انه اتى الى امه واخبرها ففرحت وارسلت الى ابى نواس وقالت له اسمع ما قاله ولدى الامين فقد صار ماهرا فى الشعر بارعا فى النظم فقال له ابو نواس اسمعنى ما قلت فانشد يقول

نحن بنو العباس * نجلس على الكراسى

فقال ابو نواس نعم وانتم لذلك اهل ومحل وانتم اصحاب الرتب العالية كمل الابيات فانشد يقول

نقاتل الاعادى * بالسيف والمزراق

فقال له ابو نواس اتلفت ما قلت وغيرت القافية فاغتاظ منه الامين وامر بسجنه فسجنه اياما فتفقده الخليفة فقيل له هو فى السجن حبسه الامين لكونه عاب شعره فاحضره واحضر الامين وساله عن السبب فاخبره بالقصة كما تقدم فقال الخليفة للامين لولا انه راى فى شعرك خللا ما عابه فقال انظم غيره واقوله قدامك حتى تنظر

نظمي وتباهتي فيما انظمه فقال له افعل ما بدالك قال فمضى الى محله واعتزل وطرد الجوارى ولم يبق احداً عنده وقدح فكرته الكاسدة حتى عمل ابياته واتى الى والده وحضرت والدته زبيدة وكذلك ابو نواس فقال لهم اسمعوا شعرى فقال ابو نواس تكلم بما قلت فانشد يقول

(يا قاعدة فى الاربع * ما مثلك فى الاملح) * (شبهتك بنجافة * مبسوسة بالخردل) * (والشمس فوقك ساطع * مثل الحصان الابلق) * فلما سمع ابو نواس هذا الكلام قام يجرى فقال له الخليفة الى اين فقال الى السجن يا سيدى ولا اسمع هذا الكلام فضحك عليه وعلى شعره فتحققت والدته زبيدة بلادته وسكتت *

(واسمع من هذا النظم) ما قاله مرجان الحبشى وكان اميرا بثغر اسكندرية وقد عارض بهذا النظم الشنيع والكلام الوضيع همزية الاديب الورع الزاهد العالم الماجد البوصيرى رحمه الله تعالى ونفعنا به وخمسه ايضا وها انا اسرد لك هذا النظم الخسيس مصحوبا بالتخميس وهو

يا رسول الله قل من الناس المعروف
اصبحت بينهم مثل الطير المنتوف
بعد ما كنت مثل الخروف المعلوف
يا رسول الله اغثنا اغاثة الملهوف * لقد اضرت به اشرار من اللكعاء
يا رسول الله ما عاد فى حد خير
يا رسول الله ما بقوا يوقروا صغير ولا كبير
يا رسول الله كن لى منهم نصير
يا رسول الله اصبحنا بينهم مثل الحمير * وهم يسوقونا بالعصاء
يا رسول الله اخنا من رعيتك
يا رسول الله اخنا من جملة امتك
يا رسول الله اخنا فى جيرتك
يا رسول الله بحق صحابتك * اجرنا من النار لها سعراء
وانا امدح نبى ربه استجاره وعزه

ياما غزا الكفار بعسكره وغزه
ومن صلى عليه ربه لم يخزه
وقد عرج به ربنا وعزه * وقد رأى من ايات ربه الكبرآء
ضاهيت بها همزية الابوصيرى
والفرق بينهما يلوح للنحرير
وانظر الى الصير هو مثل البورى
والا جبل مصر مثل الطور * ولا الصقر الصايد مثل البومآء
انا انتخب الفاظها من القاموسا
ومن عارض نظمى فى لحيته يلقى موسا
ومن له فى الادب رتبة اوناموسا
لابد ان يميز بين الجاموسا والناموسا * واولاد الحلال ما هى مثل اولاد الزناء
نظمى هذا ما هو مثل نظم الناس
نظمى هذا مثل درة فى كاس
ومن يستمع نظمى يقول دهاس
قد فقت فى النظم ابو نواس * انا مرجان والحبشا لى آباء
انا مرجان والى اسكندرية
واذرى بحور النظم بالكليه
ومن عارض نظمى يلقى بليه
انا اصبحت مثل الشمس المضيه * ونظمى مثل نظم ابو العلاء
نظمى مثل درة فى حوت
لهفى على فتى عارف منحوت
هو ابن المخاض مثل بنت للحوت
ولا النمل السباعى مثل البق * وانا اصبحت مثل القط اصطاد الفارآء
انا اصبحت مالى فى نظمى نظير
ولا ضاهى قولى لا كبير ولا اصغير

وانا اعطانى ربى للخبير
انا مرجان الحبشى الامير * استخرج الدر من البحراء
واختم قولى بمدح طه الزين
ياسعادة من زاره فى حنين
وقبل حجرته وشاف بالعين
وقل له ياجد الحسن والحسين * اشفع لمرجان ينجو من النار آء

فانظر الى قلة عقله وكثرة جهله على صاحب الهمزية نفعنا الله به وظن هذا الغبى البليد ان نظمه فى غاية البلاغة واستحكام الصناعة مع انه اجهل من الحمار واجمد من الاحجار * ورأيت له ايضا نظما اثقل من الجبال وانجس من ماء للخرارة قد حكى فى ترتيبه القلقيل فى الرقص وفى رؤيته ذقن العرص عارض به اقلة عقله وسوء جهله خمرية القطب الربانى والهيكل الصمدانى سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاتهم فى الدارين

سقينا على ذكر الحبيب مدامة طربنا بها (كميت من الكرم ختامها مسك
ودارت علينا سقاة فى يدها كؤس * كل ساق منهم يحكى لنجمة الفلك
وياما شفنا من خمرتنا ورأينا من سكرتنا * امور محتبكات ومرتبكات ودلك
وشاهدنا العجائب ورأينا الغرائب * واندكت جبالنا من اطوارنا دك
مدامتنا هذه تعلو على مدامة الفارضى * وابن الثريا من الثرى ولعمرى بعيد من الدرك
مدامتنا ما مثلها فى الكون مثل * ولا عند الرهبا والقسوس وابناء الترك
مدامتنا هذه من ذاقها فى كاسها * قال من طعمها هذه مثل السك
ومن اوصاف خمرتنا اذا صبت على حجر * لقام ذلك الحجر من حسن معانيها يبكو
ومن اوصافها كما ان شربها ضعيف * طاب لوقته ولم يعد قط يشكو
ومن اوصافها ان مر مزكوم على دنها * وشم رائحتها من بعيد خلص بلا شك
ومن اوصافها ان صبت فى قارورة صبا * تشاكل الأم وراح الطر من حسنها فى يحكو
ومن اوصاف خمرتنا ان شربها ابكم * لترجم بكل لسان مثل سناء الملك
وقد شرب منها مرجان شربة * فاضحى بها هائم فى الكون بلا شك

فذونك مداهتنا لاتحول عن شربها * ففي شربها يا خالي البال الحك والدك
وفي شربها في حانها وسط مجلسها * من يد ساقيها السعد والملك
واختم خمسيتي هذه بصلاتي وسلامي * على نبي عربي جاه للجمل يشكو
وعلى آله واصحابه كلما حطوا الحجاج * عند سيرهم الحمول وفكوا

فانظر الى عدم اصابة ميزان هذه الخمرية وفرضها لكون ناظمها قلب طولها في عرضها * وقد اتفق ان بعض القضاة من الاروام قال للنائب نحن ننظم الشعر ونسمى بيت النظامين ونقول الشعر محاضرة فقال له النائب لا يبعد عليكم فقال له قد نظمت بيتا محاضرة فقال النائب اسمعنا اياه فقال (شين الشرع لها شاره ✽ وتقطع مثل المنشاره) ماتقول ايها النائب في هذا الكلام وحسن هذا النظام فقال بعد ان ضحك عليه واشار بكلامه اليه وانا الآخر نظمت محاضرة عروض كلامك وشبيه قولك ونظامك فقال القاضي تكلم ايها النائب وصاحب الرأي الصائب فقال (سعيده كانت مزاره ✽ وتحت طبيخ البيساره) قال فهام القاضي طربا من كلامه ومن شدة ما اعجبه من نظامه واعطاه جوخة كانت عليه ومال قلبه اليه ولم يزل معه في عز واكرام وهيبة واحترام الى ان عزل وادوات سفره قد حضرت وودعه النائب بقوله فلا رجعت * وكتب بعض البلداء ممن يدعي النظم لرجل من العلماء يسمى الشيخ محمد السلسيلي مراسلة يعرفه فيها عن حال بنت تسمى هند وعن اخت لها تسمى عرب وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحبهما لان طبعه كان يميل للاناث حتى انه كان لا ياكل الا من الزبدية ولا يشرب الا من القلة ولا يركب من الدواب الا الانثى ولا يقبل المذكر قط وكان من الاولياء العارفين غير انه كان يغلب عليه الخلاعة والانبساط مع النساء لاجل التستر على احواله رحمه الله تعا ونفعنا به فارسل اليه يقول

بعد ازكى السلام مني نهاضنه * لحبيب بحث دون بغاضنه
اسم السلسلي والشيخ محمد * زادك الله في الانام رياضنه
انت في ذا الزمان قمح غزير * وسواك الانام مثل النقاضنه

انت ارسلت فى الكتاب بتسال * عن عريب فانها من بياضه
وهنيد زادت من الكل عجبا * بسواد العيون لا بالغلاضه
من يحب الملاح يسلى الدراهم * وعهدنا ما تمتلكيشى قراضه
وانا اسمى دائما فى الشيخ محمد * الضم القول اطرزه بالفصاضه

فلما قرا الشيخ هذه الابيات ضحك وجعلها معه وصار كلما حصل له انقباض يعطيها الفقيه يقراها له لانه كان بصيرا فينشرح ويزول عنه انقباضه * ويقرب من هذا النظم المرثية التى رايتها لبعض الشعراء البلداء فى رجل مات من الامراء يقال له ابن الخواجا مصطفى فاحببت ان اثبتها لما فيها من الابيات المعرفه والمعانى المقلحفه وهى هذه

احمد الله لطيف اللطفا * فى ابتدائى بمديح صنفا
وعلى ازكى البرايا كلها * صلوات الله جاءت بالوفا
وعلى الآل جميعا كلهم * وعلى اصحابه والخلفا
بعد هذا ابتدى مرثية * فى امير موته قد حتفا
جاءه الموت سريعا عاجلا * وعليه عزرئيل عكفا
بعد ما مات بلغنى موته * عندها دمعى بعينى ذرفا
ودموعى من عيونى قد جرت * مثل ما تجرى سواقى مرصفا
قلت لما موته قد جاءنى * صائحا يا اسفا يا اسفا
مات من فى الناس يذكر اسمه * بالامير ابن الخواجا مصطفى
يوم مات الارض كادت ان تغور * والسما صارت سحابا كسفا
والاماكن كلها من بعده * ونبات الارض حقا قلحفا
كم له وسط المدينه سمعة * كالصناجق بل واعلى شرفا
كان والله شجاعا بطلا * حين تنظره العدا ترتجفا
قد تولى وانقضت ايامه * يا نعم يا ابن الخواجا مصطفى
وجميع امواله قد قسمت * اخذوها اهل الطمع بالزفا
لما ذا الامير اتانى نعيه * خفق القلب له وارتجفا

والاعادى فرحوا فى موته * لاجل مال ينهبوه جزفا
من معادن فضة مع ذهب * وكنوز آخرجوها قففا
ورثوها بعدك اعداؤه * فرقوها اليوم بفرد العلفا
من جواهر لا تضاهى كثرة * لامعات نورها قد رصفا
ويواقيت زبرجد لؤلؤا * ودلاص سابغات رعفا
قدرت فى بيت مال عدها * الف الفى الف الفى مقطفا
وعلى الكاشف منها اخذا * بعدما اسرف فيها مجحفا
اودعوها بيت مال بعدما * اخذ الكاشف منها واكتفى
كم اتى فى بيته من مرأة * مع بنات لابسات الغدفا
ثم قد نحن عليه حزنا * وعليه الناس صلت ضعفا
كم امير جاء فى تربته * ووقع فوق التراب الشقفا
كم فقيه جاء فى موته * وتلا ياسين ثم الزخرفا
يا ترى قد مات بالبطن اذى * او وبا او بالرعاف ام رتحفا
ليتنى شاهدته فى كفن * ذى بياض حين فيه لفلفا
ليته لو عاش قرنا كاملا * لكن الموت عليه زحفا
يا ترى من عاد يخلف بعده * فى مكارم قل فيها من وفى
فعسى ياتى حسين بعده * يفتح البيت ويبقى منصفا
ليت شعرى لو تخلف بعده * وبمكرم مثله كى يخلفا
حيث اخلى داره من حسه * رائد الموت عليه عطفا
هكذا الدنيا دواما طبعها * تقهر الناس وتأتى بالجفا
كل ما فيها تراه زائل * تنقلب بالغدر مثل المجرفا
ليس يعجبنى الاماره كلهم * كالامير ابن الخواجا مصطفى
كم غمرنا احسانه مع جوده * كم عطايا زائدات بالوفا
كيف لا ابكى على من جاد لى * بعطايا ما عطاها خسرفا
رب فارحمه وخلى بعده * امه والست وابنه يوسفا

قد توفى فى جماد الاول * سادس الشهر خميسا شرفا
عام تاريخ من ثلاثين مضت * بعد الف من سنين تعرفا
بعد هجرة من اتانا رحمة * بالهدى ازكى البرايا شرفا
يا الهى اغفر لناظمها اسمه * عابد الرحمن وابنه يوسفا
حين يسمى محمد مغورى * فارض عنه يالطيف اللطفا
وارحم الوالد واجداد له * والامير ابن الخواجا مصطفى
وصلاتى وسلامى دائما * للنبى والآل اصحاب الوفا

ودخل بعض البلداء من الشعراء على السلطان الملك العادل بيبرس وقد فتح قرية من قرى الكفار فقال له اطال الله بقاء الملك انا فلان بن فلان بن فلان عاش ابى من العمر ستين سنة وعاشت امى اربعين سنة وانا فى سن الخمسين سنة وقد عملت لك ابياتا تتضمن تاريخ فتح هذه القرية التى ملكتها ثم اخرج له رقعة مكتوبا فيها (قد فتح السلطان بلده * واتى بسعد البلده) * (فلما فتحها ارختها * حاكما فى شهر ذى القعده) فقال له الملك لم ارد من كلامك الا شعرك ومن نثرك الا لحيتك فخجل الرجل ومضى الى سبيله (اقول) قد سبق لك ان هذا كله من عدم الذكاء والفطنة وكثرة الجهل وقلة المعرفة والا فصاحب الذوق السليم لا ينطق بهذا الكلام السقيم فقد قال بعضهم لا ينبغى للشاعر ان يعرض قصيدة حتى يهذب الفاظها ويحرر معانيها ثم بعد ذلك يعرضها على من يشاء ويعطيها لمن يحب وقد قال بعضهم فى ذلك

لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تكن بالغت فى تهذيبها
فاذا رويت الشعر غير مهذب * جعلوه منك وساوسا تهذى بها

وعشق بعض الفقراء غلاما فاراد ان يخلو به فلم يمكنه من ذلك فسلك معه طريق المكر والحيلة وصار يترجم بكل لسان بالزور والبهتان ويخبر عن بلاد وارض بعيدة واماكن صعبة شديدة ويدخل بين الجمع ويشخص ببصره الى السماء فيقول الحاضرون شى لله ويقول لهم انظروا يا محجوبين الاولياء

وهم طائرين فوق النجائب وقد اقبلوا من المشرق والمغرب فيقومون اليه ويقبلون يديه ويلتمسون منه الدعاء فلما رآه الغلام على هذه الحالة اعتقد انه ولى وقال فى نفسه انا لى مدة اخدم شيخى ما رايته شاف نبى ولا ولى ولا اخبرنى بشئ من هذا الا يقول لى صلى وصوم وما اشبه ذلك والاولى ان اخدم هذا الولى الفقير لعله ان يطلعنى على الاولياء والنجائب الطيارين دائما فى الهواء ثم انه تشاجر مع شيخه وانفصل منه واقبل على هذا الشقى وقال له يا شيخ جئتك طائعا ولامرك سامعا واعلم انى تعبت مع شيخى وهو يقول لى صوم وصل واعبد ربك الذى لا اله الا هو ولم ار منه بركة ومرادى انظر الاولياء الراكبين النجائب الخضر فقال له هذا الشقى اعلم يا ولدى ان الطريقة ليست بصوم ولا بعبادة فانت تريح نفسك من هذا التعب وانا اصب لك عمود النور فى بطنك فتنظر سائر الاولياء من وقتك وتقبل على النجائب الخضر وتركب وتشاهد الملكوت العلوى والسفلى فقال له الغلام فمتى تصب لى عمود النور هذا فقال له حتى ادبر لك ما الحنا واستقطره فقال له يا سيدى شئ لله وما يكون ماء الحياة هذا فقال له شئ ابيض يجرى فى قصبة الذكر عند وصول الوجد للفقير وعند الخلوة بالتلميذ قال وكان هذا الغلام مغفلا لا يعرف شيئا من هذه الامور الذميمة فقال له ذلك الشقى الممقوت قم بنا على الخلوة فاخذه ومضى الى ان صار فى خلوة التعس والنكس والخسران ومحل الفسق والفجور فقال له انطرح يا ولدى على بطنك حتى اصب لك عمود النور فعند ذلك انطرح الغلام على بطنه وصار هذا الشقى يترجم ويبرجم ويهمهم ويرغى ويزبد ويظهر الزور والبهتان والنزغ من الشيطان ثم انه كشف ردف الغلام فازداد به الوجد والهيام وقد اشتعلت فى قلبه النيران وقام عليه الاعور الجبار فحطه على باب تلك القبة المشيدة الاركان المزخرفة الالوان ودكه فيه فلم يمنعه الا الخصيتان فعندها صاح الغلام الامان الامان فلم يفلته حتى قضى منه المراد على حسب ما اقتضاه عقله الخسيس فعندها

صاح الغلام يقول هذا البيت

كفى حزنًا أن لا نجائب عندك * ولا الأوليا إلا القبائح والذم

ثم إن الغلام قام وامسك لحيته وصار يشتمه ويلعنه ثم تركه ومضى
واستوفى ما قدره الله عليه فانظر الى هذا القليل الدين الخبيث وتجلانه
على الفعل القبيح قاتل الله فاعل هذا الامر ولعن الله عامل عمل قوم لوط *
(وحكى) عن الامير مقلد رحمه الله تعالى انه كان سائرًا بموكبه وغلمانه الى بعض القرى
فرأى رجلًا مقتولًا بجنب حائط والدم يجري على اوراكه فوقف ساعة ينتظر احدًا
فلم ير احدًا ثم حانت منه التفاتة فرأى رجلًا فقيرًا قائمًا يصلي وقدامه ابريق
وفي رقبته سبح وعليه مرقعة كبيرة فوقف الامير مقلد عنده حتى تم صلاته
وقال لبعض غلمانه اقبضوا على هذا الشيخ فقبضوا عليه فقال له الامير مقلد
يا شقي تلبس على الله وعلى الناس ما هذه الخوبشة وتقتل النفس التي حرم الله قتلها
فلأي شئ قتلت هذا الرجل المذكور ناعليه قال فصار يحلف ذلك الفقير
ويتضرع الى الله تعالى ويدعو على الذي قتله فقال الامير مقلد لغلمانه فتشوه
ففتشوه فرأوا معه السكين الذي ذبح به هذا الرجل الملقى على الارض ووجدوا
جميع حوائجه عنده فلما رأى ذلك الامير مقلد قال له ما انت فقير بل انت
زنديق ثم التفت الى غلمانه وقال لهم اقتلوه فقتلوه فانظروا يا اخواني
الى هؤلاء الفقراء المتزندقين واعمالهم الخبيثة التي لا تحصيها كتب ولا دفاتر
ولا دواوين فنسأل الله تعالى السلامة في الدين والعبادة على اليقين وان
يجعلنا من الطائفة الذين سلكوا مسالك الحق وساروا على قدم الصدق
وعرفوا الله بخلوص النيات وترك المحرمات في مواضع الشهوات والقيام
على قدم المجاهدات وتركوا الفضول واتبعوا ما جاء به الرسول اللهم
احشرنا في زمرتهم وتحت لوائهم آمين يا رب العالمين (وسمعت)
بعض الملحدين من الدراويش المحلقين لحاهم يقول كلامًا يخالف الكتاب
والسنة وهو ان البعث والنشور والجنة والنار لا حقيقة لها وان
الشخص جنته وناره وحسابه في نفسه وان الدنيا لا تفنى ولا تزول

وانها

وانما هى شمس تطلع وقمر يغيب وينشد قول ابى العلاء المعرى

اتى عيسى فابطل شرع موسى * وجاء محمد بصلاة خمس
وقالوا لا نبى بعد هذا * فضل القوم بين غد وامس
ومهما عشت فى دنياك هذى * فما تخليك من قمر وشمس
فان قلت المحال رفعت صوتى * وان قلت الصحيح دخلت رمسى

ثم يقول ان الشخص اذا خرجت روحه ومات دخلت فى جسد من الاجساد فى آدمى او فى حيوان حتى يدور عليها الدور فترجع الى صاحبها الاول فيظهر بصورته التى كان عليها اولا وهكذا سائر العوالم فانظروا يا اخوانى الى شدة كفرهم وجهلهم وسوء اعتقادهم لعنهم الله تعالى (ويحكى) ان رجلا صالحا اضاف جماعة من الملبسين معتقدا انهم من الصلحاء فلما فرغوا من المأكل والمشرب جلسوا يتحدثون فيما بينهم الى ان تكلموا فى القرآن فقالوا لهذا الصالح اتزعم ان القرآن كلام الله فقال نعم ومن شك فى هذا كفر فقالوا له ليس كذلك وانما هو كلام بحيرا الراهب علمه للنبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع ما قالوه قام عليهم بالسب واللعن وعرف ضلالهم واخرجهم من منزله على اشأم حال نسأل الله تعالى السلامة فى الدين والدنيا والآخرة (واجتمعت) برجل من الفقراء كان يكثر الذكر والعبادة وكنت اعتقده فجلست معه يوما فتكلم فى فضل العبادة فقال لى يا سيدى انا لى عشرون سنة على هذا القدم ثم قام فصلى فلما فرغ من صلاته توجه الى ناحية سيدى احمد البدوى نفعنا الله به وقال كن لى يا ابا الفرجات وتقبل عبادتى ويسر لى رزقى فقلت له ما هذا الكلام لا يقبل العبادة الا الله تعالى ولا يرزق الخلق الا رب العالمين وانما سيدى احمد البدوى رجل من اولياء الله تعالى وكل من قصد بالعبادة كالصوم والصلاة غير الله تعالى فقد اشرك وجعل لله تعالى شريكا والله سبحانه وتعالى اله واحد لا شريك له فى ملكه فقال لى يا سيدى انما افعل ذلك عن شيخى الذى كان يقول لى قبل موته اقصد بعبادتك سيدى احمد البدوى فقلت له معاذ الله انما هو مخلوق والعبادة لا تكون الا للخالق وقد مات شيخك على ضلال وعبادتك كلها فى هذه المدة فاسدة باطلة

ثم انه ادركته العناية فتاب على يدى وانقذه الله تعالى من الضلال الى الهدى وتوجه الى الله تعالى واخلص فى عبادته (وحضرت) مرة بعض الموالد فسمعت رجلا من الفقراء الزنادقة قد هام فى الجمع وغنى فقال

يا هائما خذ من خراطين كالبتى * والطخ بحالك والحاضرين وراك

(وعشق) بعض الفقراء الزنادقة غلاما جميلا فتحيل الى الوصول اليه فلم يمكنه ذلك فجاء الى رجل اشقى منه وعرض عليه حاله وشدة حبه لهذا الغلام فقال له ذلك الشقى خذ مصران غنم واملأه زيتا ولفه على بطنك من داخل الثياب وقف فى وسط الجمع ودردش بالسنا وخبر عن الشام وعن الزيتون وادخل يدك بلطافة وانت بجانب الغلام وحل المصران وخذ فى يدك شيأ من الزيت وارفع يدك فى الهواء فان الزيت يسيل منها وتكون قد وضعت فى جيبك زيتونة خضراء فاخرجها بلطافة وارها للغلام وللناس فيعتقدون انك ولى من الاولياء ويميل قلب الغلام اليك فاذا اتاك وقال لك علمنى الولاية وهذه الكرامة فقل له الولاية لا تصح الا بتدبير النقطة الخارقة وهى المنى ولا يصح تدبيرها الا فى الخلوة وادخل عليه بهذه الحيلة حتى تقضى منه المراد قال ففعل ما امره به هذا الخبيث ونزل الجمع ووقف بجانب الغلام ودردش بالسنا واخبر عن الشام وعن شجرة الزيتون ومد يده الى الهواء فسال الزيت من يده واظهر الزيتونة الخضراء فصاح الفقراء وقالوا شى لله وقبلوا يده فجاء الغلام وقبل يده ومال اليه وقال له يا سيدى اكون معك واطلعنى على الكرامات والولايات فقال له يا ولدى الولاية لا تنال الا بالنقطة الخارقة فقال له يا سيدى ومتى تفعل ذلك فقال له يا غلام هذا لا يكون الا فى الخلوة ولا يصح بحضرة احد فقال له الغلام سر بنا الى الخلوة فاخذه ذلك الشقى ومضى به الى الخلوة وقال له نم على بطنك فنام الغلام وكشف هذا الشقى عن ردف ثقيل وخصر نحيل وركب فوقه ودفع ايره فما منعه الا الخصيتان

فصاح الغلام الامان الامان ماهذه ولاية قاتل الله الابعد ثم قام من عليه بعد ان قضى مراده وتحقق الغلام ان هذا كله من الحيل حتى وقع له ذلك ثم سارا معًا حتى لقيا جمع فقراء فى مولد فقام هذا الشقى بجانبه فى الجمع وترجم وهمهم وقال

علونا على قبه مليحه مرخمه * وصبّينا فيها من النور جانب

فاجابه الغلام بقوله

ما عدت تنظرها من اليوم يا قبيح * وما عاد لك الا التعب والمصائب

قال فزعق الفقراء عند ذلك وهاموا وظنوا ان الفقير وصل الى قبة الفلك الاعلى ورقى عليها وان الغلام فات مرتبته وحجبه عنها وفاق على شيخه فى الولاية والحال انه مارقى الا على هذا الردف الثقيل والخصر النحيل وصبّ فى تلك القبة الدمعة الخارقة للحارة الدافقه وقبّل الخدود ودفع فيه العمود فهم فى سكرتهم يعمهون قاتلهم الله انى يؤفكون * وقد قيل فى هذا المعنى

يصان الفتى فى حجر والده وان * تدروش قام النائكون وراءه

اى ان احتوى عليه جماعة من الفقراء او من طائفة الملحدين المحلقين اللحا وغيرهم من خواسر الطوائف قاتلهم الله تعالى افسدوا عقيدته وشغلوه عن الدنيا والدين ودارمعهم فى النعاسه والخزى والنجاسه حتى تطلع لحيته فيتركوه خرابلا ذوق لامن النيك يشبع ولامن المال يجمع * ومنهم طائفة لا يطلقون الامرد ولو التحى وشاب ويتمثلون ويظنون انه الصواب بقول من قال

اهواه طفلا فى القماط وامردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وقال آخر

بلوطى يدعى عاشق المرد فى الورى * ويدعى بزان من يحب الغوانيا

فملت لاصحاب اللحاء تعففًا * فلا انا لوطيًا ولا انا زانيا

وهذا بخلاف مذهبنا فى المحبة وسلوكنا فى العشق فان الامرد اذا جاوز

فان الامرد اذا جاوز ثمانى عشر سنة مجته النفوس ولا يرغب فيه الا وقت القشل من الفلوس فاذا بلغ العشرين خشن وجهه بيقين وظهرت لحيته وتغير حاله وعمه الغم وخفى الخال الذى فى خده وصار وجهه مثل قفاه وتلى عليه لا حول ولا قوة الا بالله وقد قيل فى المعنى

التحى الامرد الذى كان فى التيه مسرفا * حسنا كان وجهه وسريعا تصحفا
شتروا بعد ناظرى مذ رأى ذلك اشتفى * شكر الله لحية صيرت وجهه قفا

وقال آخر سلب الناس بالمحاسن حتى * اذهب الله حسنه والجمالا
طلعت ذقنه وراحت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

ولوالدى عفا الله عنه فى المعنى مع التشبيه البديع والجناس المصحف

قاربت للطلوع فى الخد ذقن * اثرت ظلمة قبيل النبات
كانتشار الظلام فى الشرق لما * غابت الشمس عند وقت البيات

وقال آخر ما يفعل الله باليهود * ولا بعاد ولا ثمود
ولا بفرعون اذ عصاه * ما يفعل الشعر بالخدود

فالعشق والغرام لا يكون الا لرشيق القوام حلو الابتسام من ابناء العشر وذوى اللطافة فى الطى والنشر فاذا بلغ خمسة عشر سنه صارت محاسنه لعشاقه محسنه ولواحظه لعذاله ملسنه وهذا هو الغرض والمرام عند اهل العشق والغرام ولا اعتبار بعشق هؤلاء الطوائف فان حبهم لدين الهوى مخالف وقبائحهم باديه وضلالتهم عاديه واعتقادهم فاسده وتجاراتهم كاسده ومن فعل هؤلاء الطوائف الذى ابتدعوه والامر القبيح الذى اخترعوه مع هذه الاحوال وارتكابهم الضلال انه اذا مات بينهم انسان غسلوه وكفنوه وعلى النعش وضعوه وتعاطى حمله اربعة ابالسه كانهم من جنس القساقسه او من دير الرهبان او من جن سليمان فيجرون بالنعش بقوة باس وشدة انفاس ويقيمون الصياح والزعيق ويقولون طار الشيخ بتحقيق ويقفون به فى بعض المحال يقرؤن فواتح وتضيع بسببهم المصالح

ويطوفون به حول البلد والمقبرة وهم في غبرة وعفرة كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وربما ساروا به من بلد الى أخرى وقد يرجعون به القهقرى وهم في خباط وعياط وصياح وشياط واضطراب وجنان ويقولون شي لله يا شيخ فلان وربما تغلط النسوان ورمين به الطرح بقدر الامكان واخبرني بعض الاخوان ممن شاهد الامر عيانا انهم مكثوا دائرين بميت من اول النهار الى غروب الشمس حتى انتفخ من شدة الحر وصار جلده لا يطيق اللمس فانظر رحمك الله هذه البدعة الفظيعة والطريقة الذميمة الشنيعة التي ارتكبوها من غير دليل ولا اثبات وانما هي اثم عليهم واذية للاموات فعلى العاقل ان يقف على قدم الشرع ليحصل له بذلك مزيد الخير والنفع قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى (وزن بوزن الشرع كل خاطر * فان يكن مأموره فبادر) وان لا يختلط بهؤلاء الطوائف المضلين وارباب البدع الملحدين بل يكون على حذر منهم وبمعزل عنهم وان رأى منهم ما يخالف الشرع زجرهم ان استطاع والا تركهم وعاشر من يعود عليه منه الانتفاع قال بعضهم لا تصحب الا من اعجبك حاله ودلك على الله مقاله * ولنختم هذا الجزء بأرجوزة تتضمن ما ذكرناه في هذه الاوراق وما عايناه من احوالهم باتفاق كما تقدم الوعد به عن تحقيق فنقول وبالله التوفيق

قال الفقير يوسف بن خضر * لله حمدي دائما وشكري
ثم الصلاة والسلام ابدا * على رسوله الكريم احمدا
كذاك كل آله وصحبه * ومن قفاه بعدهم من حزبه
وبعد اني ناظم أرجوزة * لطيفة مفيدة وجيزة
تخبر عن حال ذوي الرذاله * كذا عوام الريف لا محاله
فخذ هداك الله ما اقول * في نظمها وعنه لا تحول
اذا اردت وصف اهل الريف * اهل الشقاء وذوي القحوف
وغيرهم من فقهاء الجهل * كذا قضاتهم عديمو العقل
والعلماء منهم والخطبا * وغيرهم ثم النسا والادبا

فاعلم هداك الله للصواب ✱ لا تصحب الفلاح لاكتساب
ولا لفضل منه حقا تعرفه ✱ ولا لأمر من مهم يكشفه
ولا ترج منه نفعا يحصل ✱ اذ ليس للامر الشديد يحمل
وليس يرجى لقضاء حاجه ✱ بل دأبه الالحاح واللجاجه
وان قضى مع كون ذاك نادرا ✱ تلقى له وجها عبوسا كاشرا
ويطلب الاجر على قضاها ✱ او يتخذ سيدا وجاها
تصير في خدمته والنفع ✱ في الحرث والقلع وضم الزرع
وكلما اردت منه تخلص ✱ يرميك في هم له ينغص
فاسمع لقولي ان ترد فلاحا ✱ لحاجة فما ترى نجاحا
ولا تؤمنه على معامله ✱ فليس يعطيك سوى المماطله
وان تزد معه سريعا يختصم ✱ يقول لك حتى اسد الملتزم
وان بقي شيء من الزرع فلك ✱ خذه والا لا تطول املك
وان اطلت معه المخاصمه ✱ اتاك بالشر مع الملاكمه
ويسحب النبوت والحزاما ✱ ويلزمك بماله الزاما
وربما يقول للملتزم ✱ هذا يريد ان يزيل نعمي
ويأخذ الزرع بتلك الحيله ✱ والمال يبقى يا امير بلدتى
واخرب سريعا وتبور الارض ✱ من نحو فلاح عليه القرض
فيمنع الامير رب الدين ✱ عنه ويمسى حائرا في شين
فليس فيهم ابدا نجاح ✱ وليس يرجى منهم صلاح
بل مثلهم مثل الكلاب الجائعه ✱ وحالهم حال الوحوش الراتعه
ونطهم في الوحل ثم الجله ✱ وضربهم للثور ثم العجله
تسبيحهم قرقع بنا التاقيه ✱ واحسب لنا مال البلد في الزاويه
غالبهم عوراتهم مكشوفه ✱ شعرتهم من طولها ملفوفه
وان لحفر البئر يوما قصدا ✱ ينزل عريانا كما قد ولدا
وليس فوق جسمه ما يستر ✱ بل ايره ممطمط مطرطر

وفلشه للحر والبرد برز * وطيزه من الشقا بها غرز
رجلاه لو تراهما من القشف * مثل جلود قد بدا فيها التلف
وهمهم وشغلهم فى الطر * فى حالة البرد ووقت الحر
ونطهم فى الحر بالغيطان * كمثل نط الوحش فى الوديان
وضمهم للزرع وقت الغيظ * مثل عفاريت اتت فى الغيط
وان يريدوا المزح والملاعبه * مثل كباش قد اتت محاربه
تلق لهم حينئذ زعيقا * تحسبه يا صاحبى نهيقا
بل ربما يفوق صوت الرعد * فى عفرة وغبرة وطرد
وان تجمعوا للعب الكوره * تراهم فى غارة وغورة
من كثرة الصياح والزعيق * والجرى فى الزقاق والطريق
اولادهم ان لعبوا المداره * او جلسوا للرقص والزماره
او سرحوا بقصد جمع الجله * او التقاط سبل او رجله
مثل عفاريت اتت فى زوبعه * او فرق من القرود الجائعه
صنائهم اذ يلعبون فاضح * كانهم بهائم سوارح
وان هم فى حاجة تعللوا * فعلل الصبيان تلك العلل
وان اتت مواسم كالعيد * تراهم فى النط كالقرود
ومردهم ترقص والنساء * فعيدهم وحظهم فساء
طباعهم مثل طباع البقر * وان تشا فقل كطبع الحمر
عشرتهم على الطباع ثقلت * مثل قرود فى الفيافى اقبلت
ويقتلون النفس عند كلمه * ان قال شخص بالضد الزمه
شخص يميل منهم لسعد * للشر يدعوهم وكل كيد
ولحرام آخر يميل * يصيح فى اغراءهم يقول
خذوه من قبل ترون باسه * ثم اقتلوه واخمدوا انفاسه
فذا يصيح يال سعد اسعدوا * وآخر يال حرام انجدوا
فذانك اللفظان دون لبس * عندهم امر بقتل النفس

فيخربون الارض بالغارات * ويرصدون القتل فى الطرقات
وان اتتهم للقتال عسكر * فروا الى جبالهم واستتروا
وعندما عادوا الى البلاد * عادوا الى الشر وللفساد
فما جزاهم غير قطع الرأس * وشنقهم وضربهم وللحبس
فقسوة القلب لهم طبيعه * وقلة الخير لهم ذريعه
ومشيهم فى الحر من غير وطا * ونومهم فى الغيط من غير غطا
وطرهم فى ظلم الليالى * فى البحر ياصاح او التلال
قد يبست جلودهم فى الحر * كأنها قد خلقت من صخر
ونطهم فى الطين ثم الوحل * وضربهم للثور ثم العجل
وحفرهم فى البير والسواقى * ومشيهم ايضا بلا طواقى
ومنهم من لا يزيل شعرا * والراس لا يحلقه ما عمرا
ولا يقص شاربا او لحيه * ولا ينظف فلسه من خريه
وشدة فيهم على الخناق * منها يطول الشر باتفاق
وضربهم للأب ثم الأم * وصبرهم للجشر ثم الطم
واكلهم فى العدس والبسله * كمثل اكل كلبة او عجله
ومن تراه منهم يصلى * تراه لا يعرف فرض الغسل
ولم يميز طاهرا من نجس * ولم ينظف ثوبه من دنس
وان جثا يوما على الفسقيه * تجد له طينا كما البرنيه
كذاك من يجنبه وآخر * وذا مخاصم وذا مشاجر
وان اقام عندهم ذو فضل * فهو حقير عندهم فى ذل
ولن يطيعوا الشرع الا غصبا * او يرجعوا الأجل ذاك ضربا
وهم عبيد قابض الاموال * فعندهم كالعم او كالخال
ويجلسون عنده فى ادب * او يقف الواحد منهم كالصبى
وليس فيهم رحمة لعالم * لكن لاهل الشر والمظالم
فالشر والعدوان فيهم شائع * والخير والاحسان منهم ضائع

اخلاقهم

آخلاقهم تروى عن ابن حجر * طباعهم تروى عن ابن بعر
دناسة الليس لهم مرويه * عن ابن شلتوت له معزيه
ذقونهم تروى عن ابن وحل * والضرط الفساء وابن زبل
فلاجزاهم ربنا خيرا ولا * لقاهم سوى الهموم والبلا
فقيههم ذو الكم والعمامه * اذا اتى كانه غمامه
والعلم عند الله ليس يعرف * سوى بذاك الاسم حين يوصف
وان جثا يوما على الجفان * كانه الناطور فى الغيطان
يفترس الاكله من بيسار * وبلعه من مضغ ذاك عار
يقول اروى لكم روايه * تنبى عن الضمير بالدرايه
وفى غد اروى لكم قصيده * لعنتر فى عبله الفريده
كذلكم دلهمة البطال * وسيرة الراهب والجمال
واشرح لكم واقل لكم عن شيحه * وام جابر بنت ابو فريحه
واروى لكم ما قد اتانى عن ابى * وابى قد قال ايضا من ابى
وقال جدى ذاك ابو غنداف * صلوا ولو كنتم على المقداف
ولو بلا وضو ولا طهاره * كما روى عن جده شراره
قاضيهم اذا اتى لشغل * مثل رئيس قد اتى بالطبل
ينزل عن البغله او الحماره * كانه الراهب ابو زراره
وعندما يجلس فى انتفاخ * تفرش له قطعة من الانخاخ
وبعد ذا يأتى اليه المشتكى * ثم يقف على عصاه متكى
وبعضهم على العصا يلف * رجلا له وهو ثقيل يخف
يسأله يا قاضى الهموم * هات لعندك ابن ابى دعموم
وحياة دقنك جلتى سرقها * واربع ققف من زبلنا حرقها
وقد اخذ وحيا راسك حدا * وعمتى المشرمطه ولبدى
احكم بحكم الله يا قاضى البلد * والا ضربتك الف نبوت بالعدد
يقول هذا قد لزمه الحد * حيث سرق ومنه تقطع يده

رُحْ يا قفا يا عرص يا ابن الزبله ✱ ادفع له قيمة هذى العمله
وصالح الخصم وهات لى فرخه ✱ والا على دقنك اشخ شخه
ان عقد النكاح ليس يدرى ✱ منه سوى زوجت بنت عمرو
وليس يدرى شاهدا ولا ولى ✱ ولا يعرف صحة من علل
اذا قضى قضية وبتها ✱ يخزى سريعا عندها باليتها
فقيرهم شعاره الابريق ✱ والنط والصريخ والتصفيق
وذا مريدى ومريد جدى ✱ وذا الولد بدايتى وعبدى
يسير طول الليل خلف ظهرى ✱ غير مصلى مغرب او ظهر
الا باذنى ابدا تشويشه ✱ ومن رآه قال ذا درويشه
وعندما يأتى به آلموالدا ✱ من خلفه تلقاه حقا الابدا
ويدخل للجمع به يدروش ✱ وباللسانه بينهم يدردش
فيزعقوا ويضربوا الكفوفا ✱ ثم يقوموا كلهم صفوفا
ثم يقولوا اخبر الشيخ الولى ✱ عن اوليا جاءت من ارض الموصل
هذا يجى بين السما والارض ✱ على النجايب ما عليه من فرض
ولا بقى عاوز الى عباده ✱ هذا بقى فى نفسه الرشاده
هذا فقير بالقول والاشاره ✱ هذا ولى فسية الحماره
وان تسله حالة الطريق ✱ يقول ما نعرف سوى الابريق
وهز وسطى ثم طرق يدى ✱ وميلان لبدتى وشدى
ان قدم الماجور احط كفى ✱ واطلع بلقمه مثل دور الخف
وبالدراويش بجنب الشط ✱ امشى وابريقى تحت ابطى
وانزل على من لى عليه سياده ✱ واقول له البيته وهات العاده
وهات لى الفرخ مع العليقه ✱ وليس يعرف غير ذى الطريقه
ومذهبى يا سعد يا حرام ✱ ولا اقول بان ذا حرام
اخذت عن شيخى بهذا الفعل ✱ فهو حقيق مشبه بالعجل
ومنهم طوائف خوامش ✱ وكلهم يجمعهم آبالش

لا يعرفون الصوم والصلاة * ولا يرون الحج والزكاة
تراهم جميعهم انعاما * لا تعرف الحلال والحراما
الشخص منهم ينكح العمات * وينكح الاخوات والخالات
ويستبيح الفعل وهو كافر * وقتله قد حل هذا ظاهر
فكلهم بجمعهم اراذل * وليس فيهم رجل يماثل
لاهل فضل اولذى كمال * بل كلهم فى رتبة الجهال
ناظمهم ان قال يوما شعرا * فشعره يشبه طعم العذرا
او قبح قول جا بلا راويه * اورص قلقيل بلا درايه
ان لم تكن ذقت الخرا فى العمر * فذق كلام نظمهم والنثر
سماعه اذا بدا رزيه * لكن له ما بينهم مزيه
لكونهم اجلاف مع اوباش * مثل عير الجون والكباش
اسماؤهم تخبرك عن اوصافهم * القابهم تنبيك عن اشرافهم
وهم جنيجل وجليجل وقطا * والحاج عنطوز بن ابو فرده وطا
وعفر مع دعموم مع زعيط * كذا خرا الحس وابو معيط
ثم قليطه وشلاطه قد ورد * كذا الهاطه وزعاطه فى العدد
شقليط مع مغليط مع خبيط * صدغار مع بهوار مع صرميط
بزبوز مع عموز مع قروش * سمعوت مع برغوت مع غلوش
البقش ثم العفش عنهم ذكروا * كذا حنين بن بنايا شهروا
كذا سمعنا انهم يكنوا * ابو شوالى ومنادر يعنوا
كذا ابو عفر ابو دعموم * وابو الدواهى مع ابو لميشوم
ابو شادوف ابو جاروف ابو نطاح * مشكاح ابو رماح ابو رياح
من جهلهم ميم محمد يكسروا * والحاء ايضا عندهم قد تكسر
محمدين قد سمعت منهم * كذا بهايم وعقيرب فيهم
والقلط والضراط قد روينا * ويبدلون الصاد ايضا سينا
فهذه اسماء مثل الوحل * اوانها اشبه ضراط النمل

وان ترى الاسماء لا تعلك * فانها والله بئس العلك
وان ينادى الشخص منهم آخرا * يجيبه بقبح لفظ كالخرا
وان ينادى للمرا يا داهيه * تجيبه لما يشخ عجليه
وعندهم من افصح اللغات * كقولهم فى الارث ذا ميراثى
وضب فى ابوشه وهاجوادى * ماضال آنى ما زال هذا الوادى
يعنون بالجواد مركوبا حضر * كذاك هانوا لى الكرا من السحر
جعبوبتى راحت من المرجونه * سيرى اسكنى جوا احد الطاجونه
قومى افحتى لى فى الزربيه نقره * لاجل اقوم بالليل وفيها اخره
غدا ترى الجدعان نطوا فى المراح * يوم الهروبه فى الزربيه بانشراح
جمار اجا بحمص مسخمط جله * اليوم ابو عنزين وعنز بجله
والجح عنطوز قد حضر فى كرشه * اليوم وراح هربيط وجاله كرشه
وحطها فى الدست يطبخها بفرحه * بغرفتها خدها ابن راس المسحه
اليوم بلدنا شيخها ابو عوكل * وابو فسوه وابو ضرطه وهيكل
والجح قلوط الكبير فى هودج * والجح جعماص بن خرق النوبج
وانما اسماؤهم مناسبه * ذواتهم وافعالهم مقاربه
نساؤهم ايضا لهن اسما * فخذ هدنه بعدها ونجما
زعره وبعره ميكله خطيطه * بلوه وعلوه شايعه حويطه
شيخه زراره مع شباره سموا * كذا معكه وركيله ضموا
سقسانه ايضا كذا اشلبايه * وخربوه وقسيوه وعطايه
كذا شفيره ثم فاشوله وردد * حمدا ولبدا وعطيه فى العدد
وطالبه وهاربه حطيبه * كذا فريجه بنت ابو غريبه
وقد سمعت رجلا ينادى * حجه خديوه اغسلى الزبادى
واحلبى البقره وهاتى العجله * روحى حدا الجدعان وسوقى النخله
قومى وحطى العدس فى القصوله * انتى ويا بنت ابو بعثوله
يا داهيه يا داهيه تعالى * جتكى من الحيط بنت ابو شوالى

قومى

قومى تعا اتعشّى بنا فى الموضع * ابنك بيخرى هى تقل كل واشبع
هاتى لنا قطعة وسخ من ابنكى * المطخ بها الجلة وشوفى بنتكى
يا داهيه روحى وهاتى البقره * إنتى وبنت الحس قفاكِ خضره
يا داهيه روحى وشوفى فى النقره * فى وسطها جله طريه خضره
وحولها شوف الحمار والعجله * ولمّ بعرها اعمليها جله
فهذه أسما النسآء فخرا * شبيهة بالوحل عند الخرا
ولعشهم يا ابو الوطا يا حدوه * يا خرا الحس وابن بنت الفسوه
يا علق ما تجى عندى يا بو كاره * يللى بتخرى كل يوم فى الحاره
وانت بتقعد للمسا فى الشونه * وكم نيكوك فى الاذره بالعونه

تم الجزء الاول من هذا الكتاب ويليه الجزء الثانى من تجزئة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم *

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد اشرف النبيين * وعلى آله وصحبه اجمعين * (وبعد) فيقول العبد الفقير الى الله تع يوسف ابن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى كان الله له ورحم سلفه * انه لما كانت الهمة البارده * والفكرة الكاسده * تحركت اياما قلائل * لتاليف كتاب صار فى الاوراق حاصل * فى احوال اهل الريف بالاتفاق * وما لهم من نظم ونثر وحب واشتياق * وصار جزءا لا يرى فى الكائنات له شبيه * ولا ينكر ذلك ذو فضل فى العلوم نبيه * وكان كالمقدمة للقصيد * وقد حوى معانى تشبه حروف الجريد * وختم بالارجوزة الحاوية لما فيه من النثر والاشعار * وغايته انه اغتراف من بنات الافكار * اردت اتصاله بهذا الجزء الثانى وحل معانى القصيد التى عليه مدار تلك المبانى * فحركت فكرتى الخامله * واطلقت عنان اليراع لبيان تلك الامور الحاصله * بحل معانى القصيد منسكبا عليه انسكاب الوابل على الصعيد * بالفاظ يفوح معناها كريح الفسوه * ومعانيه فى الوضع خابط عشوى * فساعدتنى الفكرة لما اليه قصدت * وتحركت معى لما اليه اردت * وهذا اوان الشروع فى المقصود * بعون الملك المعبود *

فاقول ذكر نسب الناظم وما حواه * وذكر الموضع الذى ضمّه وآواه * وسبب سعادته وحصولها * وصفة لحيته هل كانت طويلة أو قلّ طولها * وكيف مال عليه الدهر فى آخر الزّمان * حتى انشا هذا القصيد واشتهر عنه وبان * فنقول أمّا نسبه فعلى اقوال فمنهم من صرّح أنّه ابو شادوف بن ابو جاروف ابن شقادف بن لقالق بن بحلق بن عفلق بن عفر بن دعموم بن فلحس ابن خرا الحس * فاذا ذقت الكلام بمعقول عرفت انتهاء نسبه على هذا المقول (وقيل) ابو شادوف بن ابو جاروف بن بردع بن زوبع بن بحلق بن عفلق ابن بهدل بن عوكل بن عمرم بن كل خرا فانتهى نسبه على القول الاول لابن خرا الحس وعلى الثانى لابن كل خرا وهو الاصح لانّ اكل الخرا ابلغ من لحسه (واما قريته) ففيها خلاف فقيل انه من تل فندروك وقيل من كفر شمرطاطى وهو الصحيح لانّ النّاظم صرح بذلك فى بعض اشعاره يخبر عن نسبه فقال

انا يا ناس فى قولى دلايل * ونظمى حق ما هوشى هبايل
ابو شادوف انا قال لى ابويه * عليه وجدى ديك ام نايل
بانى قد تربيت باجماعه * بكفر يعرفوه ناس آوايل
يسمى كفر شمرلى وطاطى * فكن صاحب فهامه يا فسافك
وذا قولى وابو شادوف اسمى * وشعرى حق من جانى يسايل

وسمعت شعرا لبعض اهل الريف يدل على انه من تل فندروك وهو هذا

سمعنا من قديم ومن جديد * كلاما ما كاأشبه الحديد
ابو شادوف عنه خبّر وبا * بقول حق جانا بالوكيد
بتل فندروك وفيه تربى * وعاش يا قوم وانشا القصيد
وذا قولى وانا عندا اف اسمى * وكم من نظم اجيبوا من بعيد

وقد يجمع بين الروايتين فيقال انه ولد فى كفر شمرطاطى وتربّى فى تل فندروك (واما صفة لحيته) فقال بعضهم كانت طويلة جدا وقال آخر كانت معتدلة فى الطول والقصر وقد يجمع بين القولين فيقال انه لما كان فى ابتداء عمره فى سعادة كاملة ونعمة وافرة كما سيأتى كانت طويلة لكثرة ما كان يتعهّدها

بدهن الفراخ والزيت الحار والتمشط واصلاح الشعر ونحو ذلك فلما كبر وتغير عليه الزمان واعتراه الهم والاحزان قل طولها من اكل الطبوخ والصبيان ونحو ذلك اى انها نشأت فى الاول طويلة ثم انها عرضت فعرضها ضر طولها فلا تعارض بين الروايتين كما قال الشاعر

(ذقن طالت فافسدت * عندما ضر طولها) ❀ (قصروها فاصلحت * عندما قل طولها)

(وقيل) من الدليل على قلة عقل الرجل صغر رأسه وطول لحيته وان كان اسمه يحيى فقد فقد العقل بالكلية (وفى المثل طويل الذقن قليل العقل) كما اتفق ان بعضهم كان له صاحب طويل اللحية يؤدب الاطفال ففقده اياما فسأل عنه فقيل هو منقطع فى بيته حزين فظن صديقه انه مات له ولد او احد من اقاربه فذهب اليه فرآه فى حالة الحزن وهو يبكى وينوح فقال له عظم الله اجرك واحسن عزاك ورحم الله ميتك كل نفس ذائقة الموت فقال له اتظن انه مات لى ميت قال فما الخبر فقال له الشيخ اعلم انى كنت جالسا ذات يوم فسمعت رجلا ينشد ويقول ـــــ شعر

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة * ردى على فؤادى اينما كانا
لا تأخذين فؤادى تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا ان ام عمرو هذه من احسن الناس واجملهم ما قيل فيها هذا الشعر فشغفت بحبها اياما وانقطعت زمانا ثم انى جلست يوما من الايام فسمعت قائلا يقول (اذا ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار) فقلت لولا ان ام عمرو هذه ماتت ما قيل فيها هذا البيت فداخلنى الحزن واعترانى الاسف قال فتحقق صاحبه قلة عقله وتركه ومضى (وقيل) مر بعضهم فى يوم شديد البرد فرأى رجلا صغير الرأس طويل اللحية وعليه قميص واحد وهو يرتعد من شدة البرد ورأى تحت ابطه حراما ابيض من الصوف مطوى فقال له لاى شئ لا تضع هذا الحرام عليك يقيك الم البرد فقال اخشى من نزول المطر عليه فيبتل فيذهب حسنه وتزول بهجته قال فتحقق الرجل قلة عقله وتركه ومضى * واجود اللحى ما كانت معتدلة متساوية

الشعر لا طويلة ولا قصيرة * فان قيل ان فرعون كانت لحيته تزيد عن طوله شبرا او شبرين على ما قيل ومع هذا كان عارفا فطنا * قلنا الجواب ان الله تعالى كان قد اعطاه ثلاث آيات منها طول لحيته وانها كانت خضر اللون ولم يكن لمثله ذلك وكان له جواد يضع قدمه عند منتهى بصره وترتفع رجلاه اذا صعد ويداه اذا هبط او يقال انه وان كان على غاية من المعرفة فهو في حكم مسلوب العقل لادعائه الالهية وارتكابه الامور الشنيعة ونحو ذلك فالكلام على حقيقته كما تقدم انتهى (وقيل) احذر الناس وأشطنهم الاجارده فينبغي لمن صاحبهم أن يكون منهم على حذر لشدة حذقهم وقوة معرفتهم وكثرة محاورتهم للامور * كما اتفق أن بعض الملوك قال لوزيره من أشطن الناس واحذرهم قال الاجرود * قال اريد أن تطلعني على حقيقة ذلك قال تصنع طعاما وتصنع له ملاعق كل ملعقة ثلاثة اذرع وتأمر الناس بحضور للاكل فاذا حضروا وجلسوا تأمرهم ان لا ياكلوا الا بالملاعق وان الرجل منهم لا يمسك الملعقة الا من طرفها وياكل وتنظر ما يظهر لك قال ففعل الملك ما امره به الوزير وحضر الناس للطعام فلما جلسوا امرهم ان لا ياكلوا الا بالملاعق وان لا احد يتجاوز بالمسك طرف المعلقة كما مر قال فارادوا الاكل فلم يقدروا وارادوا القيام فمنعهم الملك وامرهم بالجلوس فصار الرجل منهم يملأ الملعقة ويريد أن يدخل ما فيها فمه فتطول عن فمه وتفوت قفاه فتحيروا في امرهم فبينما هم على هذه الحالة اذ دخل عليهم رجل أجرود فقال لهم ما بالكم لا تاكلون من الطعام فاخبروه بالقضية فقال هذا أمر سهل أنا ادلكم على حيلة تاكلون بها ولا تخالفوا امر الملك كل رجل منكم يطعم الذي قبالة وجهه وكذلك الآخر يمد ملعقته يطعم من اطعمه حتى تكتفوا من الطعام والملاعق على حالها فصار هذا يلقم هذا بملعقته والآخر يفعل مع الآخر مثل ما فعل معه حتى اكتفوا جميعا قال فتعجب الملك من حيلة هذا الاجرود وقوة شيطنته وشدة فراسته وامر له بصلة

واخلع على الوزير * ووقف رجل اجرود بين يدى بعض الملوك يشكو خصمه فقال له الملك انى متعجب من شكواك يعنى انك اجرود ولا يغلبك احد فقال العفو يا ملك ان كان فى وجهى بعض شعرات فان خصمى اطلس املس لا شعر بوجهه قال فضحك الملك وانصفه من خصمه وامر له بصلة (واما سبب سعادته فى ابتداء امره وكيف مال عليه الدهر) فعلى اقوال احدها انه لما نشأ وصار له من العمر عشر سنين كان فى قوة وشهامة ومعرفة فى رعى الغنم والنط فى الغيط والمشى فى الحر حافيا عريانا وكان يشيل الجله الخضرا على رأسه من الغيط الى داره فى اسرع زمن حتى ان الرطوبة المتحللة منها كانت تسيل على وجهه وربما عطش فشرب منها وربما عم ما يسيل منها بقية جسده كما هو عادة اولاد الارياف وكان يمكث الشهر والشهرين لا يغسل له وجها الا ان صادف رشاش بول عجلة او بقرة وهو سارح الى الغيط او مروح فيمسحه بيده فيكون قائما مقام الماء لغسل وجهه وكان مع هذه النظافة الفشرفية لا يغفل عن ضرب الاولاد ولعب الكورة حول الحارات والنط على المزابل والاجران ولعب الدارن والطبلة والزمارة والحياط والعاره وضرب الكلاب بالنخام والهباب حتى انه من دون رفاقته صار يومه بيومين وشهره بشهرين كما قال فيه شاعر القريتين شعر

ابو شادوف من يومه مجعمص * شبيه الجرو ويتنطط بقوه
ويسرح غيط ابو بعره ويجمع * من الجله الطريه فى الفروه
وهو عريان وشايل فوق راسه * ووجهو صار كيف وجه البعوه
وما قد سال من الجله الطريه * يسيل عليه وما عنده مروه
ويقعد شهر ما يغسل لوشو * ولا شهرين وجسمو فيه قوه
ويسرح للضحى فى الجرن يكنس * ويطرد مثل كلبتنا ام جروه
ويا زينو ابو شادوف لما * يجى الجاموس يقطع وسط ربوه
وينزل ينفرد فيها وراهم * ويتنطط كما عفريت خلوه
ابو شادوف من صغره مدلل * تربا عندنا كلب بجروه

ابوشادوف عطاه الله نعمه * لبس لبده وعنده اليوم فروه
وابوه اليوم شيخ الكفر قاعد * حدا الصراف وراسو جنب جدوه
يقول سيدى يقول له يا معرص * تحط المال او انخليك دعوه
وهو من مثل ابوشادوف يقبض * وابوه وعمتو بنت ام فسوه
ونختم قولنا بمديح محمد * رسول الله كم زاح كل بلوه
عليه يا ربنا صلى وسلم * واصحابه الكرام اهل الفتوه

وكان الناس يحسدون والده عليه وعلى قوته وشطارته وشدة معرفته فى نقرة الطبلة وصوت الزمارة وكان ابوه قد ملك فى حال حياته حمارا اعرج وعنزتين وحصه فى ثور الساقيه ونصف بقره وعشرة فرخات وديكهم واربع كيلات نخال من شعير وملك نحو اربعمائة قرص جله ومطمورة يخزن فيها الزبل ايام الشتاء وكان عنده قلة مكسوره وزير اقلم وجروانه يكنس بها الجرن وكلب يحرس الدار فلما تمت له هذه الحالة والسعادة توفى الى رحمة الله تعالى كما فى الغالب ان الفقير يوم يسعد يموت * وما احسن ما قال الشاعر

اذا تم شىء بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

فكفنه ابنه ابوشادوف فى رداء من محزم الكتان ودفنه فى تربة تعرف بتربة ابن جاروف شط بكفر شمرطاطى وقيل بتل فندروك وقد يجمع بين القولين فيقال مات فى كفر شمرطاطى ودفن فى تل فندروك وقبره الآن يعرف بقبر ابو جاروف يزوره الفلاحون ويلعبون بجانبه الكوم وربما تبول وتزبل عليه بعض البهائم فى بعض الاوقات * وقد رثاه بعض شعراء الارياف فقال

الا كونوا اسعفونى يا جماعه * وابكوا يا مشاه فى كل ساعه
ابو جاروف ولى اليوم عنا * وخلى العنز والبقره بتاعه
وخلى بنت عمتو ام فلحس * عليه اليوم تبكى وسط قاعه
وابوشادوف يعيط وسط راسو * ابويا مات وعدنا فى مشاعه

وراه

وراح من كان شيخ الكفر يحكم * على الجدعان ودوليك الرباعه
ولما كان يركب يوم غاره * على كلبه ويدلع دلاعه
ويلبس لبدتو من فوق راسه * ودقنو بارده فيها سقاعه
وحولو جرو ابن خراى فلحس * واهل الكفر ما منهم نجاعه
تقول رديس على جوق المغانى * او الخلبوص جا يشفع شفاعه
وحسو راح ربّ ارحم عضامو * وبشبش طوبتو فى كل ساعه
وابوشادوف يا الله ابقى شبابو * ويصبح شيخنا صاحب قناعه
ويبقى مثل ابوه راكب وحولو * جماعه فى جماعه فى جماعه
ويتعنطظ ويسرح فى التهارى * ويتجعمص ويقعد فى السراعه
ونختم قولنا والدايم الله * ودا الكابس حق ما فيه اندفاعه
ونا شاطر وشاعر طول عمرى * والضم لضم يتلمع لماعه
جعلتو فيه يحزن من يشوفو * وودعتو بقولى اليوم وداعه
وصال على الزين اصلى طول عمرى * بنى الله واطلب لى الشفاعه
وابوشادوف انا لا احد غيرى * وضربة دم تكتم دى الجماعه

قال ولما فرغ العزا وراق الزمان واخذوا خاطر ابوشادوف المشايخ والجدعان وتصدق على والده بالفطير المعمول بالنخالة والشعير ولطخ قبره بالوحل والجله وعمل بجانبه مدود العجله سحب النبوت وتمشى كالنعوت واتمشيخ على الكفر واطاعه زيد وعمرو وجلس طى ركبه ونصف مورط وعيط وانتط وغنا وقال وافتخر بهذا المقال وانشد وجعل يقول ـــــ شعر

ابوشادوف عمرى يا سلامه * اقول القول ونا صاحب فهامه
ولولا ان ابويه فى ترابو * انا فى الكفر شيخ بلا ملامه
واحكم على المشاه واشرح واردح * واخوض البحر الى حد الحزامه
واشد على الحمار واركب وخولى * جماعه شبه شمعه فى ضلامه
ابو عنطوز وابو بربوز وعفلق * ودم الحس قفاك وابو عمامه
وانا ما عاد كيفى اليوم واحد * وضال انى مجعمص فى شهامه

وأطحن قرن من خالف كلامي * بنبوتي وأكسر بو عضامه
ابويه كان قبلي شيخ عليكم * فخلوني وروحوا بالسلامه
ونختم قولنا بمديح محمد * وأصحابو الملاح اهل الكرامه

قال فعند ذلك حسدوه المشايخ والجدعان على مشيخة الكفر التي حصلت له بعد وفاة ابيه على التركة فأغروا عليه الحكام فأرسلوا اليه وعارضوه في جانب منها وقيل فيها كلها ولم ينفعه الا مطمورة الزبل التي أدخرها وهي التي كانت سببا لسعادته بعد موت ابيه على ما قيل ثم صار يداري الناس ويتملق لهم بالكلام الى ان تناست القضية ودخل فصل الشتاء ففتح المطمورة ليلا وباع الزبل وكثر عليه الرزق على هذا القول (وقيل) انه اقترض عشرين نصف فضة فأخذ بهم بيضا وطلع مصر فصادف عيد النصارى فباع البيض بزيادة عن ثمنه فكان هذا سببا لسعادته وقد يجمع بين القولين فيقال انه باع الزبل والبيض فلا تعارض في ذلك وكان يعطي ويتكرم فقصدته الشعراء والادباء من اطراف الكفور حتى انه اجاز شاعرا بخمسين بيضة وكيلة شعير وأعطى آخر مائة قرص جلة وجاده آخر بغرارة فملاها زبلا من اولها الى آخرها ودفعها له * وكان قد اقبل عليه الرزق زيادة عن والده فكان عنده وزتين وعشرين فرخة بديكهم وقفص للفراخ من جريد ونبوت اعوج ولبدة وخلقة زرقاء وقفة ملآنة نخال وعشرة حزم عروق جزر ناشف وغير ذلك ولم يزل على هذه الحالة يبارك له المولى في رزقه فانما الرزق من الله تعالى (كما اتفق) ان بعض الصالحين كان فقيرا جدا فبينما هو نائم اذ هتف به هاتف يقول له يا فلان امض الى محل كذا خذ منه الف دينار فقال افيها بركة قال لا فقال اذهب عني فأتاه مرة ثانية وقال له اذهب الى المحل الفلاني خذ منه خمسمائة دينار فقال افيها بركة قال لا فقال اذهب عني ولم يزل يأتيه مرة بعد اخرى حتى قال له اذهب الى محل كذا وخذ منه دينارا واحدا فقال افيه بركة قال نعم فقال اذا آخذه فذهب واخذ الدينار وبورك له فيه وصار في نعمة وسعادة زائدة فالشخص اذا اقنع شبع

وبورك فى قليله * قال الولى الصالح العارف بالله تعالى سيدى يحيى البهلول رضى الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين آمين (استقنع بقليلك * ياتيك الله بكثير) وقال (كم ناس بعد رشاش * ينهل من المزاد) (انا مالى فيباش * ايش علىّ منى) (اقلق من رزقى لايش * والخالق يرزقنى) وقال رضى الله عنه (يا ابن آدم قل طمعك * دا السعد وعد يمدك) (لا تقل دا بالشطاره * او تحصلها بايدك) (لو تكن تبع زمانك * غير رزقك ما يجيلك) (ان رزقك مثل ظلك * ان مشيت يمشى قبالك) (من له فى الغيب شئ * لم يمت حتى يناله) وقال الامام الشافعى رضى الله عنه وارضاه وجعل الجنة مثواه (وجدت القناعة كنز الغنى * فصرت باذيالها ممتسك)

فلا ذا يرانى على بابه * ولا ذا يرانى عليه منهمك
وصرت غنيا بلا درهم * امر على الناس كانى ملك ه

حتى مال عليه الزمان وجفته الاهل والخلان ونفذ جميع ما كان معه من المال وصار فى اكبر الهم واشد الاحوال ولم يجد له خلا ولا مساعد ولم يبق الا الذى خلفه له الوالد واخذ مشيخة الكفر من كان خدامه ولم ير له مساعدا ولا صديق ولا صاحبا ولا رفيق كما هو عادة الدهر فى رفع الاسافل وخفض السادة الاماثل فهو كالميزان فى فعله او المنخل فى حاله ونقله كما قال الشاعر

رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذى شيم شريفه
كمثل البحر يغرق كل حى * ولا ينفك يعلى كل جيفه
او الميزان يخفض كل واف * ويرفع كل ذى زنة خفيفه

وقال آخر (الدهر كالمنخل فى فعله * فاعجب لما يصنعه المنخل) (يحط اللب من تحته * وترفع القشرة والفشول) فحوادث الدهر تأتى على غرر ويذهب الشخص على خطر * وقد قلت فى مطلع قصيدة من هذا المعنى هذه الابيات

حوادث الدهر قد تأتى على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الضرر
واعدد لها من دروع الدهر سابغة * تقيك شدتها اذ ترم بالشرر
كانت ليالى بها اللذات مثمرة * قطفت منها ثمار العز فى الصغر

الى آخر الابيات فليس لحوادث الدهر الا الصبر الجميل والتسليم الى الرب الجليل

اى على ابن بادوق ه

ومن دهمه حادث الزمان وانصرفت عنه الاهل والخلان ما حكى ان بعض الحسدة وشى بالوزير الكاتب ابن مقلة الذى انفرد فى زمانه بعلو الخط وحسنه وادعى انه دلس على الملك فى بعض الامور فامر الملك بقطع يده فلما فعل به هذا الامر لزم بيته وانصرفت عنه الاصدقاء والمعارف ولم ياته احد الى نصف النهار فتبين للملك ان الكلام عليه باطل فامر بقتل الذى وشى به واعاد ابن مقلة الى ما كان عليه وندم الملك على ما فعله معه من قطع يده فلما راى اخوانه ان نعمته عادت اليه عادوا له يهنوه واقبلوا اليه يعتذرون له فعند ذلك انشد يقول

(تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا) (عادانى الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لى وبانوا)
(يا ايها المعرضون عنى * عودوا فقد عاد لى الزمان)

فقيل مكث بيده اليسرى بقية عمره ولم يتغير خطه حتى مات * ومن النوادر الدالة على فصاحة ابن مقلة ما اتفق ان رجلا كتب رقعة والقاها اليه بحضرة الملك ليقراها عليه وكل لفظ منها فيه حرف الراء وكان ابن مقلة لا يقدر ان ينطق بهذا الحرف (وصورتها) امر امير الامراء ان يحفر بئر على قارعة الطريق ليشرب منه الشارد والوارد قال فلما ان تاملها غير الالفاظ واتى بالمعنى * وقال حكم حاكم الحكام ان يجعل جب على شاطئ الوادى ليستقى منه الغادى والبادى وكان هذا من قوة بلاغته رحمه الله تعالى * وقيل اربعة يضرب بهم المثل حسان بن ثابت فى الفصاحة ولقمان فى الحكمة وابن ادهم فى الزهد وابن مقلة فى حسن الكتابة والخط قال الشاعر يصف هذه الاربعة بهذه الابيات

فصاحة حسان وخط ابن مقلة * وحكمة لقمان وزهد ابن ادهم
اذا اجتمعت فى المرء والمرء مفلس * ونودى عليه لا يباع بدرهم

واما ضد هذه الاربعة فلله در من قال فيها

سماجة اطروش وثقل ابن قينة * وغفلة قرنان وعكس ابن الهم
اذا اجتمعت فى المرء والمرء موسر * لكان فصيح القوم عند التكلم

ومما دهمه حادث الدهر وعلاه الهم والفقر فاصبح بعد العز حقيرا وبعد الغنى فقيرا

ما اتفق أن رجلاً ركبته الديون فترك عياله وخرج هائماً على وجهه الى أن أقبل على مدينة عالية الأسوار عظيمة البنيان فدخلها وهو في حالة الذل والانكسار وقد اشتد به الجوع وأتعبه السفر فمر في بعض شوارعها فرأى جماعة من الأكابر متوجهين فذهب معهم ودخلوا محلاً فدخل معهم الى أن انتهوا الى محل يشبه محل الملوك فدخلوا ذلك المكان وهو تابعهم الى أن انتهوا الى رجل جالس في هيئة عظيمة وحوله الغلمان والخدم كأنه من أبناء الوزراء فلما رآهم قام اليهم وأكرمهم فأخذ الرجل المذكور الوهم واندهش مما رأى من البنيان والخدم والحشم فتأخر الى ورائه وهو في حيرة وكربة وخائف على نفسه حتى جلس في محل بعيد منفرد عن الناس بحيث لا يراه أحد فبينما هو جالس اذ أقبل عليه رجل ومعه أربعة كلاب من كلاب الصيد وعليها أنواع الخز والديباج وفي أعناقها أطواق الذهب بسلاسل من الفضة فربط كل كلب منها في محل معد له ثم غاب وأتى بأربعة أصحن من الذهب ملآنين من الطعام المفتخر ووضع لكل واحد من الكلاب صحناً على انفراده ثم مضى وتركها قال فصار الرجل ينظر الى الطعام من شدة الجوع ويريد أن يتقدم الى كلب ليأكل معه فيمنعه الخوف فنظر اليه كلب فعرف حاله فامتنع عن الأكل وأشار اليه فدنا منه فأشار اليه ثانياً أن كل من هذا الصحن وتأخر الكلب فأكل الرجل حتى اكتفى وأراد أن يذهب فأشار اليه الكلب أن خذ الصحن ببقية ما فيه والقاه له وستره بكمه ووقف ساعة فلم يأت أحد يسأل عن الصحن فمضى به الى حال سبيله ثم سافر الى مدينة أخرى فباع الصحن وأخذ بثمنه بضائع وتوجه الى بلده فباع ما معه وقضى ما عليه من الدين وكثر عليه الرزق وصار في نعمة كثيرة زائدة وبركة عميمة مدة من الزمان فقال لنفسه لا بد أن تسافر الى مدينة صاحب هذا الصحن وتأخذ له هدية سنية تكافئه بها وتدفع له ثمنه وان كان أنعم به عليك كلب من كلابه فأخذ هدية تليق بمقام الرجل وأخذ معه ثمن الصحن وسافر أياماً وليالي حتى أقبل على تلك المدينة وطلع اليها يريد الاجتماع به فأقبل على محله فلم ير الا أطلالاً بالية وغراباً ناعياً

وديارًا قد أقفرت وأحوالًا قد تغيرت وحالًا للقلوب قد أرجف ومحلًا تركه الدهر قاعًا صفصفًا كما قال بعضهم

سرى طيفُ سعدى طارقًا يستفزني * سُحيرًا وصحبي بالديار رقودُ
فلما انتبهنا للخيال الذي سرى * أرى الدار قفرًا والمزار بعيدُ

فلما شاهد تلك الاطلال الباليه ورأى ما صنع الدهر بما علانيه اعترته الحيرة عن يقين والتفت فرأى رجلًا مسكين في حالة تقشعر منها الجلود ورؤيته يحن اليها الجلمود فقال له يا هذا ما صنع الدهر والزمان بصاحب هذا المكان وأين بدوره السافره ونجومه الزاهره وما هذا الحادث الذي حدث على بنيانه وما الامر الذي لم يبق منه غير جدرانه فقال له هذا المسكين وهو يتأوه من قلب حزين أما في كلام الرسول عبرة لمن اقتدى به وسمعه حق على الله أن لا يرفع شيئًا في هذه الدار الا وضعه وان كان سؤالك عن أمر وسبب فليس مع انقلاب الدهر عجب أنا صاحب هذا المكان ومنشيه وساكنه وبانيه وصاحب بدوره السافره وامواله الفاخره وتحفه الزاهيه وجواره الباهيه ولكن الزمان قد مال فأذهب الخدم والمال وصيرني في هذه الحالة الراهنه ودهمني بحوادث كانت عنده كامنه وسؤالك هذا عن أمر وسبب فاخبرني عنه واترك العجب قال فاخبره بالقصه وهو في تألم وغصته وقال له قد جئتك بهدية فيها النفوس ترغب وثمن صحنك الذي اخذته من الذهب فانه كان سببًا لغنائي بعد الفقر ولزوال ما كان عندي من الهم والحصر قال فهز الرجل رأسه وبكى وأنّ واشتكى وقال يا هذا اظنك مجنون فان هذا امر لا يكون كلبٌ من كلابنا يتكرم عليك بصحن من الذهب فارجع فيه ولو كنت في اشد الهم والوصب والله لا يأتي منك شيء يساوي قلامه فامض من حيث جئت بالسلامه قال فقبل الرجل اقدامه ويديه وانصرف راجعًا يثني بالمديح عليه ثم انه عند فراقه ووداعه انشد هذا البيت الذي يلتذ بسماعه فقال

ذهب الناس والكلاب جميعًا * فعلى الناس والكلاب السلام

وقد ناب مؤلف هذا الكتاب من كيد الدهر نائب ورمته الليالي بسهام الهموم من قسي المصائب فأصبح بعد الجمع وحيدا وبعد الانس فريدا يسامر النجوم ويساور الهموم يسكب على فراق الاحبة الدموع ويرجو عود الدهر وهيهات الرجوع شعر

فليت شعري والدنيا مفرقة * بين الرفاق وايام الورى دول
هل ترجع الدار بعد البعد آنسة * وهل تعود لنا ايامنا الاول

لكن الصبر يحط غدرات الايام من شيم السادة الكرام شعر

اصبر ففي الصبر خير لو علمت به * لكنت باركت شكرا صاحب النعم
واعلم بانك ان لم تصطبر كرما * صبرت قهرا على ما خط بالقلم

وكل هذا توطئة لما نال الناظم من الهموم وما اعتراه من منطوق حوادث دهره والمفهوم وهو الذى كان سببا لانشاء هذا القصيد * وشكواه هذا الامر الوافر المديد * فقال

ص (يقول ابو شادوف من عظم ما شكى * من القل جسمه ما يضنا النحيف)

ش هذا الكلام له بحر وقد وتقاطيع ومد فبحره الطويل المديد الناقص المزيد ومن جعله من بحر الكامل قال فيه متهابل متهابل ومن قاسه ببحر الوافر قال هو من البحر الزاخر ومن نسبه لبحر البسيط قال هو من معنى الهلط والتخبيط ومن قارنه ببحر السلسله قال هو من معنى هلهله هلهله ومن شابهه ببقية البحور قال فى تمثيله انت حمار او ثور * واما قده المعهود فعلى وزن بروه تخلى الماصغين جلود واما تقاطيعه المذكوره فهى هى الكلمات المنثوره *

يقول ابوشا دوف من عظم ما شكى
تبول عليها فى الضحى مع غرو بها

ومجموع هذا الكلام من هذا النظام (تبول عليها فى الضحى مع غروبها) فاذا عرفت البحر والقد والتقاطيع فلنشرع لك الآن فى شرح الكلام على حسب التواقيع او على نمط الفراقيع * فنقول (قوله يقول)

اى يريد ان ينشئ قولا فى الخارج فيه شرح حاله وعلى ما نابه من حوادث الزمان وما اصابه من دواعى الهم والاحزان والقول له مصادر واشتقاقات فمصدره قال يقول قولا ومقالة وربما يزاد فيه قلة وقيلولة واشتقاقه من القيلولة او من القلل او من الاقوال او من قالوا او قلنا وانما زدت هذه المصادر القشروية وهذه الاشتقاقات الهبالية لابنى عليها ما سأذكره لك مما اتفق لى مع بعض من يدعى العلم وهو جاهل وما ذاك الا انى لما توجهت للحج الى بيت الله الحرام سنة اربعة وسبعين والف وبلغت بندر القصير انتظر السفن للسفر فجلست اياما فى زاوية على البحر المالح اعظ الناس فبينما انا ذات يوم فى هذا المكان اقرأ فيه وابين للناس الكلام ومعانيه وانا فى هيئة تشين النظر وفى اهبة ذهاب وسفر وبهدلة وهبال وهلفطة ومقال اذ اقبل على بلا محاله رجل يشبه دائرة الهاله طويل هبيل فظ ثقيل له عمة كالهيولى فى العظم وطيلسان نسيج من صوف الغنم ثم جلس يريد الضرر ونظر الى شذر فظهر لى منه الشر والجدال ومنتظر منى متى قلت قال وكان الامر كما ذكرت وما اليه بهذا المعنى اشرت فابتدأت فى الكلام وقلت قال النبى عليه السلام فعند ذلك قال لى بلفظ كثيف ما معنى قال فى التصريف فلما سمعت سؤاله تحققت جهله وهباله وعلمت انه خالى من العلوم وجاهل بالمنطوق والمفهوم فقلت له ان قال يتصرف فمنه اسماء وافعال وهى قال يقول قولا وقلة وقيلولة ومقالة على الكمال وان اردت جعلت لك بيتين تصريف هذه الستة ستا وثلثين فقال لى وهذا التصريف فى اى متن من المتون فقلت له فى ديوان ابن سودون فركن الى قولى على جهل منه وعمى فعرفت انه لا يدرى الاسم ولا المسمى ثم انقاد الى بعد الدعوى والهيس انقياد الغنم للتيس وامتثل الامر فى رواحه ومقيله حتى مضى الى حال سبيله (فان قيل) لاى شئ خلبطت على هذا السائل فى هذه المصادر والاشتقاقات ووسعت عليه فى هذه الامور الهباليات كنت تقتصر على ما قالوه فى كتب الصرف ولا تعرج فى الكلام جوف

قلنا الجواب نعم كان ينبغي هذا الكلام ولكن مع من يدري العلم بالتمام واما الجاهل البليد والفظ العنيد فليس له الا ما يناسب جهله من رش الكلام والعجرفة فيما يليق بذلك المقام فكان ما سبق من الجواب وحاله مناسب لسؤاله وهباله فاتضح الاشكال من وجه هذا الهبال *

(مسئلة هبالية) ما الحكمة في ان الناظم ابتدأ كلامه بصيغة المضارع ولم يأت بصيغة الماضي كما قال صاحب الفية النحو رحمه الله (قال محمد هو ابن مالك الخ

الجواب المفشرح ان هذا الفعل الماضي الذي هو قال يتولد منه المضارع وهو يقول ويقول يأتي منه قولا كما سبق في تأصيل الافعال والاسماء فاكتفى بالفرع عن الاصل او انه اراد تعداد الامور التي حصلت له من تغير الزمان وانقلابه ولم يكن اخبر عنها سابقا بلفظ الماضي فاراد الاخبار عنها بلفظ المضارع الذي هو يقول وان كان في معنى الماضي صورة وفي معنى المضارع حقيقة قال الشاعر

فقال هو الماضي يقول مضارع * وان كان ذا الماضي له في الحقيقة

وقال ابو الطيب المتنبي عفا الله عنه

اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

اي اذا نوى شيئا مستقبلا امضى فعله قبل ان يدخل عليه ما يجزمه اي يمنعه عنه ويسكنه عن الحركة عن فعله انتهى * وايضا لو اتى بالماضي لاختل الوزن وان كان المعنى باقيا على حاله فاتجه الجواب وبان الصواب وقوله (ابو شادوف) هذه كنيته وغلبت عليه فصارت علما كما قالوا في معدي كرب وبعلبك وبرق نحره ونحو ذلك واما اسمه الحقيقي عجيل تصغير عجل على ما قيل وسببه ان امه لما ولدته القته في مذود البقرة فجاء العجل ولحسه فسمي بذلك اياما حتى اشتهر بهذه الكنية * وسبب اشتهاره بها اقوال احدها انه لما مال عليه الدهر كما تقدم أجر نفسه لسقي الزرع بالآلة التي يعملوها اهل الريف تسمى ابو شادوف وصورة فعلها انهم يجعلوا ناطورين من طين على جانب البحر ويحفروا بينهما نقرة مثل الحوض الصغير ويضعوا فوق الناطورين خشبة صغيرة ويعلقوا فيها خشبة ايضا بالعرض حكم قصبة الميزان ويضعوا في طرفها الذي من جهة البر شيئا ثقيلا كـ

والذى من جهة البحر الدلو او القطوة التى ينضحوا بها الماء ثم ان الرجل يقف الى جهة البحر ويتكئ على طرف تلك القصبة فيقع الدلو او القطوة فى البحر ويغرف الماء ثم يتركه فيثقل طرفها الثانى ويصعد الدلو او القطوة ويفرغ فى النقرة مع مساعدة الرجل له ويجرى الماء الى الزرع وهكذا حكم ما شاهدناه مرارا عديدة ويسموا مجموع الآلة والناطورين ابو شاذوف وهو مشتق من الشذف وهو الغرف قال فى القاموس الازرق والناموس الابلق شذف يشذف شذفا بمعنى غرف يغرف غرفا قال الشاعر

اذا ما رايت الماء فاشذف براحة * فذلك للظمآن اهنى واطيب

فالناظم لما لازم هذه الآلة وصار لا يفارقها غالب الاوقات سمى باسمها من باب تسمية الحال باسم المحل * وقيل ان امه ولدته عند ابو شادوف فسمى باسمه لكن يرده ما تقدم من ان اسمه الاصلى عجيل وقد يجمع بين الاقوال فيقال ان امه لما ولدته عند ابو شادوف اخذته ووضعته فى المذود ولحسه العجل على ما تقدم فسمى عجيل ثم اشتهر بما ذكر فلا تعارض بين الاقوال وقيل سمى بذلك لكثرة غرفه للماء بهذه الآلة فصار كل من سال عنه يقال له عند الشذف اى الغرف ثم زادوا هذه الكلمة الالف والواو وقالوا شادوف. ولكثرة تكرارها جعلوها حكم الولد والنواطير مثل الاب له وقالوا ابو شادوف ووضعوها على ذات الناظم لكثرة مجاورته لتلك الآلة وعرفوه بها فصارت علما له يخاطب بها كما سبق بيانه (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى ان الدلو او القطوة لا يفارق الخشبة التى هى فى حكم قصبة الميزان وهل هى حكم الاب له كما سبق من ان النواطير فى حكم مقام الاب للشادوف وان الدلو والقطوة انما لازم هذه الخشبة بالضرورة لها ومتى انفك عنها بطل عمله فهو مجاورها فى وقت الحاجة لا غير الجواب ان الخشبة لا تستغنى عن الدلو او القطوة وهما لا يستغنيان عنها فكان كلاهما فى حكم الولد للخشبة وكانت الخشبة فى حكم الاب لما ذكر لان كلا من الدلو والقطوة مرتبط بالخشبة فانجح المقال عن وجه هذا الهبال (فائدة) الاب مشتق من آب اذا رجع قال ابن زريق

رحمه الله فى قصيدته ما آب من سفر الا وازعجه * رأى الى سفر بالعزم يمنعه

اى ما رجع من سفر الا وازعجه رأيه الى سفر ثانٍ وكذلك الاب لانه فى كل ساعة يرجع الى ولده ويفتقده وينظر اليه وقيل مشتق من الابوة كما ان الاخ مشتق من الاخوة قال الشاعر

ابو المرء من آب اشتقاقاً لاسمه * واخو المرء ايضاً قد أتى من اخوة

ومصدره آب يؤب اوباً فهو آئب وقال ابن سودون ان ابو هذا فعل ماضٍ ناقص واصله ابوس ويدل على ذلك قول الشاعر

قالوا حبيبك وارى ثغره صلفا * ماذا تحاول ان ابداه قلت ابو

اى ابوس وانما حذفت السين لوجهين الاول لقصد حصول اللبس على السامع اذ هو اللائق بهذا عند الادباء والاقرب الى السلامة من الواشين والرقباء والثانى حذفت السين لانها فى الجمل بستين والستين فى البوس اسراف عند البعض هذا كلامه المصرح به فى ديوانه انتهى قلت وكلام هذا البعض الذى نقله ابن سودون مردود لان المحب اذا ظفر بمحبوبه لا يشتفى فؤاده بستين قبلة ولا بمائة خصوصاً اذا كان ذلك المحبوب لطيف الذات حسن الصفات مطيعاً للعاشق مصافياً مصادق وانطبع بقدّ المأنوس وانضم لعاشقه انضمام العروس وتملى المحب بالحبيب وخلا المجلس من الواشى والرقيب هنالك لا ينحصر البوس بعدّ ولا يكون له غاية ولا حدّ قال الشاعر

سألت بدر التم فى قبلة * اجاب ان يوفى ومشى السحاب
لما اختلينا واجتمعنا به * غلطت فى العدّ وضاع الحساب

(وقلت مما فى المعنى

رأيت له شرطاً على الخد قد حوى * جمالاً وقد زان الملاحة بالقرط
فقلت مرادى اللثم قال بخلوة * فقبلته ألفاً على ذلك الشرط

اللهم الا ان يكون المحل غير قابل للحب والحبيب * بان يكون ثم خوف من واشٍ او رقيب فيكون الضم فى تلك الحالة والتقبيل بحسب امن العاشق فى الكثرة والتقليل * ومنهم من لا يعتريه فى ذلك وهم ولا الباس ويقبل محبوبه ولو بحضرة الناس ولو نفر منه وفر ربما مال نحوه ومرّ * قال الشاعر

لو ترانى وحبيبى عندما * فر مثل الظبى من بين يدى
وغدا يعدو واغدو خلفه * وترانا قد طوينا الارض طى
قال ما ترجع عنى قلت لا * قال ما تطلب منى قلت شى
فنأى عنى وولى خجلا * وانثنى بالتيه عنى الى
كدت بين الناس ان اتيه * آه لو افعل ما كان على

ومن اللطائف ان ابا نواس مر يوما فى شوارع بغداد فرأى غلاما جميلا فقبله عيانا فترافع الغلام واياه على يد القاضى يحيى بن اكثم وادعى عليه بما وقع قال فاطرق القاضى ساعة وانشد يقول

اذا كنت للتخميس والبوس مانعا * فلا تدخل الاسواق الا منقبا
ولا ترخى الاهداب من فوق طرة * ولا تظهرن من فوق صدغك عقربا
فتقتل مسكينا وتهجر عاشقا * وتترك قاضى المسلمين معذبا

قال فاطرق الغلام ساعة وانشد يقول

وكنا اذا نرجوك للعدل بيننا * فاعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها * اذا كان قاضى المسلمين يلوط

وقوله (من عظم ما شكى) اى من عظم امر بل من امور يشكو منها وصرح بشكواه راجيا بان الله تعالى يفرج عنه ويعيد له ما سلف من ايام النعيم التى كان فيها فان الامر اذا اشتد هان واذا ضاق اتسع قال الشاعر

ولرب ليل فى الهموم كذمل * عالجته حتى ظفرت بفجره
ولقد تمر النائبات على الفتى * وتزول حتى لا تجول بفكره

والشكوى على اقسام شكوى لله وهى محمودة وشكوى للمخلوق وهى مذمومة اللهم الا ان يكون فى حال شكواه معتمدا على الله تعالى متكلا عليه مستعينا به فى دفع ما نابه من الشدائد فلا بأس بذلك واذا صبر واحتسب كان اولى وفرج الله عنه قال تعالى وبشر الصابرين وقال تعالى ان مع العسر يسرا *

ومن كلام الاستاذ يحيى البهلول نفعنا الله تعالى به

(اذا ضاقت بك الاحوا * ل فكر فى الم نشرح) ❀ (فعسر بين يسرين * اذا آملته تفرح)

ثم ان الناظم اراد تعداد الامور التى ترادفت عليه مبتدئا باعظمها واهمها فقال (من القل) بكسر القاف وسكون اللام اى ان اهم شكواى واعظمها اولا من القل وهى قلة الماكل والمشرب حذفت ياء الكلمة لضرورة النظم وايضا عدم الميسرة فى الملبس وشدة التعب فى كد المعيشة وفى الحديث كاد الفقر ان يكون كفرا اى قارب ان يوقع فى الكفر لانه يحمل على عدم الرضاء بالقضاء وسخط الرزق وذلك يجر الى الكفر * وفى الفقر قال ابن دقيق العيد رحمه الله

لعمرى لقد قاسيت فى الفقر شدة * وقعت بها فى حيرة وشتات
فان بحت بالشكوى هتكت سرتى * وان لم ابح بالفقر خفت مماتى

وقيل وجد مكتوب على تاج كسرى انوشروان اربع كلمات وهى * العدل ان دام عمر * والظلم ان دام دمر * والاعمى ميت وان لم يقبر * والفقر هو الموت الاحمر * وهذه الكلمة يعاين بها اهل الريف الرجل الفقير فيقولون فلان فى قل وربما زادوا عليها اخرى فقالوا هو فى قل وعتره اى فى حالة كد وتعب وارتكاب امور شنيعة واحوال مكربة وهى من الفاظ اهل الريف * قال بعض شعرائهم

(ابو جاسوس اصبح حالو * يبكى الناس وهو شهره) * (يبحر ما بلقاش * وفى قله وفى عتره)

(والقل) على وزن الفل او الظل مشتق من القلقلة او من القلة بضم القاف او القولنق وعتره بفتح العين المهملة وجزم الهاء فى آخرها على وزن زبره لحد زبره وزنها على عتره لا تختلف ابدا ومعناها ارتكاب المفاسد وقلة الدين ونحو ذلك ومن هذا المعنى قالوا فلان عتر اى مرتكب هذه الامور واما بالثاء المثلثة فهى واحدة العثرات وهى اللغة الفصحى بمعنى ان المتلبس بهذه الحالة عثراته كثيرة فالمعنى واحد وقد ورد لفظ القل فى كلام العرب (وهو ما حكى) ان رجلا حضريا اضافه رجل بدوى فاخرج له صحنا من الطعام وشيئا يسيرا من الخبز فصار البدوى كلما اخذ لقمة يقول له الحضرى قل بسم الله الرحمن الرحيم يا بدوى ولم يزل يكرر عليه التسمية فاستحى البدوى وقام ولم يشبع من الطعام ومضى ثم بعد ايام خرج البدوى من منزله فرأى صاحبه الحضرى فاخذه واجلسه فى داره واخرج له قصعة كبيرة ملآنة من الثريد واللحم

وقال له كل يا حضرمى وسف ما فى القلة بركة اى ما فى قلة الطعام مع الشح بركة ودعك تسمى الله او تترك التسمية وان كان محل ذلك البركة فالمدار على سماحة النفس وان كان صاحبها فقيرًا فالكرم فيه راحة القلوب وستر العيوب قال الشاعر

اذا كثرت ذنوبك فى البرايا * وسرك ان يكون لها غطاء
تستر بالسخاء فكل عيب * يغطيه كما قيل السخاء

وفى الاثر كل عيب يغطيه الكرم (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى اشتقاق القل من القولق او من القلة او من القلقلة وما المناسبة لذلك وما معنى هذه الالفاظ (الجواب الفشروى) ان القولق اسم لشئ من الجلد يصنع لحفظ الدراهم ويربط فى الحزام على الفخذ الايمن يفعله بعض سقاة القهوة وغيرهم فاشتقاقه منه لضيقه وعدم اتساعه كما ان القل هو ضيق المعيشة وعدم اليسر فتناسب المعنى فى ذلك واما اشتقاقه من القلة بضم القاف فلاحد امور اما لحصر الماء فيها فكذلك حكم القل وعدم البركة حكم وجود الماء وعدمه او ان المناسبة فى ذلك لضيقها فى حد ذاتها وان الماء لا ينزل منها الا من خرم ضيقة وانها اذا وضعت فى الماء بقبقت وصارت حكم الذى يشكو الى الماء * قال الشاعر

ما بقبق الكوز الا من تألمه * يشكو الى الماء ما قاسى من النار

فكان فى ذلك مشقة وشدة تعب فناسب اشتقاق القل من هذا المعنى والقول الثالث انه من القلقلة فهو كذلك من قلقلة الامور اى سرعة حركاتها وشدتها وارتكاب المشقات ونحو ذلك قال الشاعر

(قلقل ركابك فى الفلا * ودع الغوانى فى القصور) * (القاطنين بارضهم * عندى كسكان القبور)

اى حرك ركابك فى الفلا وهو الفضاء المتسع والمعنى سر شرقا وغربا واكتسب ما يغنيك عن سؤال الناس ولا تكن عيلة عليهم ولا تذل نفسك لهم ودع الغوانى جمع غانية وهى ذات الجمال اى اتركها ولا تشتغل بها عن طلب رزقك فربما اشتغالك بها يتولد منه البطالة والكسل فلا تجد ما تنفقه عليها فتميل نفسها الى غيرك ويترتب على هذا مفاسد كثيرة فاذا سعيت وتركتها

وأتيت لها بما يسد جوعتها ويستر عورتها مما تحتاج اليه دامت معك على اتم مراد وأحسن حال وان كان لا يفيدك من السعي والسفر الا اليسير فهو اولى من عدمه بالكلية قال الشاعر

على المرء ان يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه ان يساعده الدهر

(وفي بعض الكتب المنزلة) يقول الله تعالى يا عبدي خلقتك من حركة تحرك لرزقك وفي المثل الحركة فيها بركة * وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

تغرب من الاوطان في طلب العلا * وسافر ففي الاسفار خمس فوائد
تفريج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد
فان قيل في الاسفار ذل وغربة * وتشتيت شمل واجتماع شدائد
فموت الفتى خير له من حياته * بدار هوان بين واش وحاسد

فاتضح الجواب باتفاق عن وجه هذا الاشتقاق وقوله (جسمه) الضمير راجع للناظم اي جسمه وهو ذاته مشتق من التجسم او من المجسمة وهم طائفة يقولون بالحلول والتجسيم قبحهم الله تعالى او من جسم العاشق اذا انحله بعد الحبيب ولم يجد له دواء ولا طبيب وقوله (ما ينفال) كلمة ريفية ومعناها ما يزال كما تقدم في الجزء الاول اعلم بان جسمه من القل والتعب وعدم الميسرة (نحيف) على وزن رغيف وأصله نحيفا بالالف المقصورة وحذفت لضرورة النظم والمعنى ان جسمه ضعف ورق من كثرة توارد الهموم عليه وتحمل الاذى والكد في تعب المعيشة ونحو ذلك فان الهم يضعف الجسد ويمرضه بخلاف الراحة وكثرة النعم ومن هذا يظهر ان اصحاب المال والرفاهية في الغالب ان اجسامهم في نضارة وملاحة وطلاوة من حسن المآكل والمشارب ونظافة الملابس ورقتها فلا يرون بذلك الهم تأثيرا * وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه من نظف ثوبه قل همه * وفي الحديث الثوب يسبح الله فاذا اتسخ انقطع تسبيحه فالجسد مثل الزرع ما دام صاحبه يتعهده بالسقي والاصلاح وتنظيف الغلث عنه دام في نضارة زائدة وملاحة زاهية ومتى تركه اعترته الآفات وتغيرت عليه الاحوال واما رقة الجسد ورشاقته من غير مرض فهو ممدوح في النساء والرجال ويقال لصاحبه اهيف قال الشاعر

(واهيفًا العبا * بالنرد انثى وذكر) * (قالت انا قمرية * قلت اسكتي انت قمر)

وأبلغ من هذا قول بعضهم

هيفاء لو خطرت فى جفن ذى رمد * لما احس لها من وطئها ألما
خفيفة الروح لو رامت لخفتها * رقصا على الماء ما بلت لها قدما

(مسئلة هبالية) لأى شئ قال الناظم نحيف ولم يقل سقيم لكونه انسب فى المعنى وافصح فى العبارة وقد ورد فى القرآن العظيم فى قوله تعالى فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم اى من عبادتكم الاصنام (قلنا الجواب الفشروى) ان الناظم عدل عن هذه اللفظة لتضمنها معنى للفظة التى على وزنها وهى قطيم والقطيم بلغة الريافة هو صاحب الأبنة وبلغة اخرى وهو الخالى من الزواج فلو فرض انه اتى بها فى النظم لربما نسبوه انه كان به ابنة فيحصل من ذلك الضرر او يقال انه راعى فى ذلك قوافى الشعر فلا اشكال فانصح المقال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم اراد الاخبار عن بلية ابتلى بها ايضا نشأت من القل والعترة وعدم ما فى اليد كما تقدم فقال

ص *(انا القمل والصيبان من طوق جبتى * شبيه النخالة يجرفوه جريف)*

ش قوله (انا) يعنى ابو شادوف اخبركم ايضا معاشر الاصحاب واشكو اليكم وهو ان القمل المعروف المتداول بين الناس بخلاف الوارد فى القرآن العظيم فانه نوع من السوس والقراد كما ذكره بعض المفسرين (فائدة) ذكر الدميرى فى حياة الحيوان عن بعضهم ان القراد يعيش سبعمائة سنة وهذا من العجب انتهى والقمل يتولد من العرق ومن اوساخ الجسد واشتقاقه من التقمل او من تقميل الغزل اذا اصبغ وبوش ووضع فى شدة حرارة الشمس فييبس ويصير فيه نقط بيض تشبه القمل فلهذا يقال غزل مقمل ومصدره قمل يقمل قملا وهو اسم جنس الانثى منه قملة واما الذكر فلعله يسمى قامل قال الشاعر

وما قامل فى الثوب الا رأيته * يدب دبيب العقربان اذا مشى

(والعقربان) على لغة[٢] الثعلبان اسم للثعلب قال الشاعر

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وخوطب بلفظ المثنى كما ورد فى القرآن العظيم فى قوله تعالى خطابا لمالك خازن النار

[٢] وضبطه بعضهم بضم المثلثة واللام وعليه فلا تأويل ه كاتبه

ألقيا في جهنم وقول الحجاج يا غلام اضرب عنقه وأما قوله في البيت الأول يدب
دبيب العقربان أي لأنهم شبهوا القملة بالعقرب والبرغوث بالفيل ولهذا
أنها تلدغ والبرغوث يعض (فإن قيل) إذا كانت القملة تشبه العقرب والبرغوث
يشبه الفيل فلأي شيء لم تكن كبيرة مثلها ولدغتها كلدغة العقرب وكذلك
البرغوث لم يكن قدر الفيل وفعله كفعله (الجواب عن ذلك) أن القمل لما كان
منشؤه من جسد الإنسان وإنه لا يفارقه لمنافع اقتضتها الحكمة الإلهية
وهي مص الدم الفاسد وإن كان يتحصل منه الأذى كان المناسب لحكمة الله
أن يكون صغيرا ولدغته قليلة الألم إذ لو كانت القملة قدر العقرب للزم
أن يكون الآدمي قدر الجمل ويكون دائما في خوف من رؤيتها وتعذيب من
لدغتها والله تعالى كرم بني آدم وكذلك البرغوث لما جعله الله تعالى يسكن مغار
الثياب والمحلات الضيقة كان صغيرا مثل القمل إذ لو كان قدر الفيل
للزم أن يكون الآدمي مثل الجبل والبرغوث واحد البراغيث والأنثى منه
برغوثة وهو مشتق من البر والغوث قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى
(لا تكره البرغوث إن اسمه * بر وغوث لابه تدري) لها (فبره مص دم فاسد * والغوث إيقاظك للفجر)
واستغنى الناظم عن ذكره بذكر القمل لأنه تابع له (سؤال) ما الحكمة في أن
البرغوث ينط والقملة لا تقدر على ذلك (الجواب) أن القملة لما نشأت من العروق
ودوائر الجسد كانت ضعيفة بهذا المقدار ولكونها أنثى والأنثى عاجزة عن
الذكر وأما البرغوث لما كان منشؤه من التراب كانت طينته قوية ولهذا
تشبه بالفيل وهو أعظم الحيوانات ذاتا فكانت القوة ناشئة فيه فصار ينط
فاتضح الحال عن هذا الإشكال وقال بعضهم إن أذى البرغوث أقوى من أذى القمل قال الشاعر

أشكو إليك براغيثا بليت بها * قد جرعوا القلب كاسا من الغصص
اصيد هذا يجي هذا بنو المنى * فينقضي ليلتي في الصيد والقنص

وما أحسن ما قال بعضهم

بعوض وبرغوث وبق لزمنني * حبسن دمي خمرا فطاب لها الخمر
فيرقص برغوث لزمر بعوضة * وبقهم يسكت ليسمعه الزمر

وأفادني بعض إخواننا الحشاشين أدام الله بأكل الحشيش أنسهم وأحمد بدخول الارطال عند النوم حشهم ان الشخص اذا اسقط ما تيسر من الحشيش قبل النوم ودخلت عليه الارطال ونام فلا يحس بأذى البراغيث ولا غيرها خصوصا اذا استعمل الحلوى بعد أكله فانه يفعل افعالا غريبة ويظهر مظاهر عجيبة ولا يضره الا أكل الحامض كما قال بعضهم مضمنا كلام سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه

أمنسطل بالزيه من فقد قهوة * شمول على نيرانها يجمع الشمل
نصحتك ان أصبحت في سطلة فلا * تذق حامضا واختر لنفسك ما يحلو

(وسمعت) من أمي عفا الله عنها لغزا في البرغوث ولم افهمه الا بعد زمان طويل لما فهمت العلم ومارست الفصحاء وهو هذا * يا شي من شي احمر حمير ورق الجمير جروا وراه خمسه مسكوه اثنين وتفسيره يا شي يا حرف نداء اي يا رجل فسر لنا اسما يخرج من شي مبهم وهو احمر حمير بتشديد الميم وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت تصغير احمر بمعنى شديد الحمرة ورق الجمير اي كورق الجمير في لونه تصغير جمار وهو قلب النخل وورقه الليف الملتف عليه جروا وراه خمسة وهي الاصابع مسكه اثنان منها وهما الشاهد والابهام وبين حمير وجمير الجناس المصحف انتهى (ومما يمنع اذى البراغيث) البخور بقشر النارنج الناشف عند النوم (ومما يقتل القمل) الحنا والزئبق اذا لت فيهما خيط صوف وعلق في العنق فعل ذلك (واما منافع القمل) فقد ذكر صاحب كتاب الفقراء ان صاحب الشقيقة اذا اخذ قملة من رأس سالم من الوجع ووضعها في باقلاية مشوية وسد عليها بشمع وعلقها على موضع الشقيقة برئت باذن الله تعالى وقوله (والصيبان) معطوف على القمل وهو بزره المتولد منه فعطف الفرع على الاصل لانه من لوازمه وغالب كثرته في رؤس الاطفال لرقة اجسادهم فيعالج بالادهان والحنا المعتادة وتسريح الشعر ونحو ذلك وله اكلان في الجسد بسهولة فهو أخف ضررا من القمل لكونه اضعف منه والطف جسما وأصله صبيانا بتقديم الموحدة على الياء المثناة من تحت جمع صبي

نم

ثم انهم ارادوا العدول عن هذا الجمع لئلا يشتبه باولاد الآدميين فقدموا الياء المثناة من تحت على الموحدة وقالوا صيبان وهو مشتق من الصابون لبياضه او من المصيبة او من قناطر الصابونى ومصدره صبين يصبين صيبانا وسكت الناظم عن نوع آخر من اولاد القمل وهو النمنم بكسر النونين وسكون الميمين لكونه من لوازمه ايضا لان الفرع تابع للاصل كما تقدم ونمنم على وزن سمسم وهو مشتق من النمنمة او النمام نوع من المشموم واما اذا فتحنا النونين فيكون مركبا من فعل امر فكانه يأمره بالنوم مرتين ومن معناه قول الحريري عفا الله عنه (سمسمة تحمد آثارها * واشكر لمن اعطى ولو سمسمه) وهذا يقرب من فن الاحاجى كقولهم طاجن وطاقة والياسمين وقول بعضهم

انى رايت عجيبا فى دياركم * شيخا وجارية فى بطن عصفور

وقول الآخر

واحمر الخندقانى * يعزى اليه الخضا) * (بغير عين وناب * وفيه عين وناب

(ويطلق) لفظ نمنم على كلام الطفل الصغير اذا اشتهى الاكل فيقول نمنم او نبف بضم الموحدة وسكون الفاء لانه ينطق بالفاظ تخالف الفاظ الكبير كما هو مشاهد (واما لغته قبل نطقه) فقيل انها بالسريانية واذا اشتهى الماء يقول انبوه بضم الهمزة وسكون النون ورفع الموحدة وجزم الهاء واذا مد يده لنجاسة يتناولها يزجر بلفظ كخ بالكاف والخاء المعجمة واذا دنا لاخذ شئ يؤذيه يزجر ايضا بلفظ اح بالالف والحاء المهملة واذا اخذ شيئا اعجبه ولعب به يقال له او يقول هو عليه دح بالدال والحاء المهملتين ويقال له او يقول هو على المأكول اذا فرغ منه بح بالموحدة والحاء المهملة واذا ارادت امه ان تخوفه وتسكته عن الصياح تقول له اسكت لا ياكلك البعبع بكسر الموحدتين او رفعهما وجزم العينين المهملتين (والبعبع مشتق من البعبعة وهى صوت الجمل وبين آح ودح وبح الجناس المتغير الاول ويخاطب امه بلفظ ماما واباه بابا واخاه الصغير واوا ونحو ذلك وتغزل بعضهم فى صغير ببيت من المواليا جمع فيه هذه الالفاظ فقال

(يا من سلب للحشى والقلب والروح واواح * غير تواصل وانا الى حين وصالك بح

انا اطعم البق والنمنم وقولة بح * بعبع انا كخ يا تتا وغيري دح

وقال ابن سودون رحمه الله في معنى ذلك

لموت امي ارى الاحزان تحنيني * فطالما تحنتني لحس تحنين
وطالما دلعتني حال تربيتي * حتى طلعت كما كانت تربيني
اقول غنم تجي بالاكل تطعمني * اقول انبو تجي بالماء تسقيني

قوله تحنيني وتحنين فيه الجناس التام الاول من الانحناء والثاني من الحنان والشفقة كما لا يخفى ويقال عذار منمنم اي يشبه نبته بدبيب النمنم او نبات النمام وقد قلت في تشبيهه بدبيب النمنم (دب العذار على غديره خيل لي * بانه نمنم يمشي على مهل) وبعضهم زاد نوعا رابعا وسماه لحيس بكسر اللام وتشديد الحاء المهملة على وزن بعبص او لقيس مأخوذ من البعبصة وهي ادخال الاصبع في دبر الغير ولقيس من اللقاسة يقال لقس الكلب الاناء اي لحسه بلسانه فيكون فيه نوع شبه باللحيس او يكون على قياس فطيس و اللحاسة والنجاسة على وزن واحد يقال فلان لحس اي مرتكب شيئا يشبه النجاسة او كثير الكلام بلا فائدة فيكون اللحاسة والنجاسة بمعنى واحد قال في القاموس الازرق والناموس الابلق لا فرق بين لحاسة ونجاسة فيهما بلا شك فهذا اصوب ويقال انت تعيس لحيس اي انت تشبه لحس الكلب للاناء او انك تلحس الخرا بلسانك او تتلحس بالكلام ولا تدري منطوقه من مفهومه والتعيس من معنى ذلك ايضا فكلها الفاظ قريبة الشبه من بعضها البعض ولهذا اللحيس مزيد ضرر * قال في القاموس الازرق والناموس الابلق

ولي من اذى اللحيس في الرأس كربة * ونمل واكل في الثياب وفي الجسد

ومصدره لحس يلحس تلحيسا فان قيل ان هذا اللحيس الذي زاده هذا البعض شيء تافه جدا فكان وجوده كالعدم ولهذا تركه الناظم كغيره فالجواب قلنا نعم وان سلمنا انه لا وجود له الا بعسر لدقته ففي الجملة له محض اذية وضرر فصار من اتباع القمل بل من اولاده كالصيبان والنمنم كما تقدم او يكون هذا قياسا على من زاد في اقسام الكلمة نوعا رابعا وسماه خالفة وعني به اسم الفعل

وهو صه بمعنى اسكت فاتضح الحال عن وجه هذا المقال وقوله (فى طوق جبتى) اى كائن او مستقر فى طوقها والطوق على وزن الجوق كما يقال جوق الطبالة وجوق المغانى ونحو ذلك وهو اسم لما طوق به العنق من ثوب او غيره كالحديد والفضة والذهب والنحاس ونحو ذلك قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة اى المال الذى كنزوه فى الدنيا ولم يؤدوا زكاته ولم يصرفوه فى وجوه الخير يجعل فى عنقهم كالطوق ويعذبون به فى النار والطوق مشتق من الطاقة او من الطواق لتدويرها او من خان ابو طاقيه بمصر ومصدره طوق تطويقا ونساء الارياف يجعلونه من فضة ويسمى عندهم مناصر ايضا وهو احسن الحلى عندهم * واما ما يوضع فى اعناق الرجال فى السجن فانه يسمى عندهم ضامنة يقال فلان فى الضامنة اى بمعنى ان هذه الحالة الحديد التى فى عنقه ضامنة له لا يقدر ان ينفك عنها مثل الرجل الضامن للانسان متى طلب منه احضره وقوله (جبتى) على وزن شختى وحيتى هذا اذا نسبتها لنفسك واما اذا كانت لغيرك فتقول جبتك على وزن شختك وحيتك مثلا * واذا وصفتها وقلت جبتك حمره فتكون بالتصحيف خنشك حمزه اى ناكلك رجل يسمى حمزه والجبة واحدة الجبب مشتقة من الجب وهو القطع لان الخياط يجبها اى يقطعها ويفصلها يقال جاب الفيافى بمعنى قطعها وقد قلت فى المعنى (اجوب الفيافى طامعا فى وصالها * واقطع ارضا لست منها بخائب) ومصدرها جاب يجب جبا وجبة * وهى على قسمين ريفية وحضرية فالريفية من صوف تخين غليظ مسدودة حكم الثوب ويجعلون اكمامها متسعة خصوصا شعراؤهم فانهم يعرفون بزيادة وسع الاكمام لان كم الرجل منهم مختصر ركبتيه ونساؤهم على شكل الشعراء فى وسع الاكمام وزيادة فان كم المراة منهن يسع الرجل يدخل منه ويخرج من الكم الثانى وربما جامع الرجل زوجته من كمها ولا يحتاج لرفع بقية الثوب (كما وقع لى فى ذلك) فانى تزوجت منهن وكنت اجامع زوجتى فى بعض الاحايين من كمها فسبحان من خصهم بقلة الهندام حتى فى الثياب والاكمام فهى امور بينهم محبوبة والمناسبة مطلوبة *

(وفي المثل) رأوا قرد يسكر على خراره فقالوا اما للمدام الرايق الا لهذا الشب العايق ورأوا جاموسه منقبه بكيب فقالوا اما للصبيه القصيفه الا النقاب الرفيع قال الشاعر

(رأيتُ مجزمًا في قاع بئر * وآخر ابرضًا يخرا عليه)
(فقلتُ تعجبوا من صنع ربي * شبيه الشيء منجذب اليه)

(واما الحضرية) وهي التي يستعملها اهل المدن خصوصًا العلماء والظرفاء وهي من الصوف الرفيع اللطيف يجعلونها محصورة الآباط مفتوحة ويقال لها مفرجة بتشديد الراء لكونها انفرجت من مقدم الشخص وبان ما تحتها ويضعون لها السجاف الحرير وغيره حتى تصير اعجوبة للناظرين وبهجة للابسين * فسبحان من حلاهم بطلاوة الملبوس وزينهم بكل قد مأنوس وجعل نساءهم زينة للنفوس (كما في المثل) الاساس بحسب بانيه وكل شيء يشبه قانيه فالانسان ينشأ على الطبع الذي جبل عليه وشبه الشيء منجذب اليه قلت في المعنى

رأيتُ بخده ماءً ونارًا * وذاك الورد منتثر عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبيه الشيء منجذب اليه

(ثم ان الناظم) لما علم ان القمل والصيبان وغيرهما الكائن في طوق جبته لا يمكن حصره لكثرته اراد ان يشبهه بشيء يناسبه في الكثرة واللون فقال (شبه النخاله) وهي قشر البر والشعير الذي يعلو المنخل عند النخل وسيأتي تعريفها واشتقاقها وهذا الشبه يعطي حكم المشبه به من وجهين الاول ان القمل ابيض والنخالة كذلك الثاني انه اذا تراكم على بعضه البعض يرى في العين كثيرًا كما ترى النخالة فكان تشبيهه بها هو المناسب وهي مشتقة من النخل او المنخل او المنخال * قال في القاموس الازرق والناموس الابلق

اسمُ النخالة مشتق كما ذكروا * من منخل ونخل ثم منخال

ونخالة الشعير اقوى نفعًا لانها اذا نقعت في الماء وسخنت بالنار وشربها من يشتكي وجع الصدر ابرأته باذن الله تعالى وقوله (يجرفوه) اي القمل والصيبان وتوابعهما المتقدمة (جريف) اصله جرفا لانه مصدر حذفت الفه وزيد فيه الياء لاجل الضرورة او انها لغة ريفية فلا اعتراض

وهو مشتق من الجرف او من المجرفة او الجرافة فان قيل كان حق الناظم ان يرجع الضمير لاقرب مذكور وهي النخالة وكان هذا هو الانسب (قلنا) لعله عدل من تانيث الضمير لضرورة النظم اذ لو فعل ذلك لاختل الوزن او يكون من باب الترخيم كقوله (افاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان انت قد اصرمت حبلي فاجملي) او انه رجعه الى قشر البر والشعير المسميان بالنخالة فيكون على تقدير حذف المضاف فلا اعتراض عليه (فان قيل ايضا) ان كلام الناظم يفهم منه ان القمل والصيبان قد انحصر في طوق جبته فقط ولم يكن على بدنه منهما شئ واذا كان كذلك فما فائدة الشكوى منهما (قلنا) يمكن الجواب بان يقال ان قوله في طوق جبتي اى غالب القمل يتراكم ويتصعد الى طوق جبته حتى يصير من كثرته يشبه النخالة في الجرف ولا يلزم من هذه العبارة ان بقية جسده سالم منه بل اذا كان في طوق جبته بهذا المقدار فيكون شئ منه في الجسد من باب اولى لان الجسد محل معاشه وغذائه من مص دمه وشرب اوساخه وانما القمل من شأنه ان ينسج اولا في الثياب ثم ينتشر على البدن يمتص الدم الفاسد وكل من شبع منه صعد الى اعلى الثوب او الجسد فيمكث فيه ليستنشق الهواء ويرتاح كما ان الآدمي اذا شبع يرتاح بسكونه ونومه مثلا فهذا دأبه كما جرت به العادة فاتضح الجواب (فان قيل) لاى شئ لم يتعرض الناظم للشكوى من البق والنمل والبعوض ولم يذكر شيئا منها مع ان لكل منها اذية وضرر شديد (الجواب) عن هذا السؤال من وجوه شتى الاول ان البق وان كان كثيرا كما في المثل ان البقه تولد ميه وتقول يا قلة الذريه فانه في الغالب لا يهوى الا بلاد المدن لعلو اماكنها وكثرة اخشابها وطليها بالجبس والجير لانه يعيش بها ويتولد فيها وبلاد الارياف ليس فيها شئ من البناء العالي المكلف وان وجد في القرية فيكون دارا لشاد بها او دارا للملتزم مثلا والناظم لا يتوصل اليها ولا ينام بها وانما بيوتهم غالبها من الكرس والوحل وربما كان فيها الجلة ايضا فلهذا لا يعرفون البق ولا يرونه ولا يهوى اماكنهم (واما النمل) فانه وان كان موجودا في بلاد الارياف لكنه لا يهوى الا المحل الذي فيه بعض الادهان كالسمن والزيت

ويهوى الشيء الحلو كالعسل والسكر فيأتي اليه ويشمه ويكون قوة الشم كما ذكره صاحب حياة الحيوان ومثله الكمون فان الوعد يغنيه عن سقي الماء وقال الشاعر

لا تجعلوني ككمون بمزرعة ❊ ان فاته السقي اغنته المواعيد

والناظم لم ير للنمل اثرًا في بيته لقلة ما فيه من الحلوى والادهان بل لعدمه بالكلية فلهذا لم يكن للنمل عليه سبيل لا في ثوب ولا موضع فكان منعه عنه بهذا السبب (واما البعوض) فانه وان كان موجودًا في بلاد الارياف لكنه يأتي اياما ويذهب بخلاف القمل والصئبان فان اذاهما دائم مستمر في الثياب وغيرها كما تقدم والشيء اذا كان يؤذي قليلًا ويغيب كثيرًا يكون وجود ضرره كالعدم فكان هذا سببًا لترك الشكوى من الجميع فاتضح الجواب (فائدة) اذا نقع الحنظل في مرقة الغزل بعد استوائه ورش بها في المحل وهي حارة قتلت البق ولم يبق منه شيء واذا ظهر النمل في محل فيه البق اكله قال الشاعر

اكل البق الذي ❊ جسمي يا حمل بقه ❊ جبت النمل ساعدني ❊ فما خلى ولا ابقه

واما النمل فيمنعه رائحة القطران ويمنع البعوض دخان النخالة (مسئلة هبالية) ما الحكمة في ان الشخص اذا اكلته قملة او قرصه برغوث او شيء مما يؤذي يسري ذلك الاذى في سائر جسده ظاهرًا وباطنًا حتى يشمل الكبد والرئة والقلب ونحو ذلك مع ان القمل والبرغوث ونحوهما لا يتوصل الى باطن الجسد الا ان دخل من منفذ من المنافذ واذا دخله نادرًا ربما مات في الحال قبل وصوله الى باطن الانسان وكثيرًا ما يدخل البرغوث في اذنه فيمكث قليلًا في حركة واذية ويخرج بسرعة او يموت فما وجه ذلك (الجواب الفشروي) ان يقال ان الجسم باطنه وظاهره في التألم على حد سواء لان الروح سارية فيه كسريان الماء في العود الاخضر فاذا حصل الاذى في ظاهره تألمت الروح وسرى الالم في جميع الجسد ظاهرًا وباطنًا وأمثل لك مثالًا فشرويًا وهو ان الشخص اذا حبس في خزانة صغيرة مثلًا وكانت لا تسع غيره وليس لها منفذ وطال سجنه فيها فان جسمه يضعف ويتغير وتعتريه الامراض ويتألم ظاهرًا وباطنًا خصوصًا اذا حصره البول وبال فيها حتى ملاها او ضرط فيها ايضا

فتصعد

فتصعد تلك الروائح الى العلو فلا تجد لها مصرفا فتعود على لحيته وشواربه فتضره ضررًا بليغًا خصوصًا صاحب اللحية الطويلة العريضة ما لم يكن عرضها ضر طولها فيخفف الضرر او قل طولها فكذلك على كل من الحالتين فانكشف الحال عن وجه هذا الهبال * ثم ان الناظم شرع فى ذكر مصيبة اخرى ابتلى بها وهى فى الجملة اشد ضررًا من القمل والصيبان لكونها من جهة الاقارب فقال

ص *(ولا ضرنى الا ابن عمى محيلبه * يوم يجى الوجه على يحيف)*

ش قوله (ولا ضرنى) اى ضررًا زائدًا على ما تقدم (الا ابن عمى) اخو والدى وهو مشتق من العموم لان نفعه يعم اولاده واولاد اخيه لانه فى حكم الاب لهم اذا فقدوا والدهم ولهذا تسميه العرب ابًا قال بعض المفسرين فى قوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه آزر ان المراد به عمه او من العمامة لعلوها ووضعها فوق الرأس حكم التاج كما فى الحديث العمائم تيجان العرب فكذلك العم له الرفعة على اولاد اخيه لكفالته اياهم وولايته عليهم وقوله (محيلبه) تصغير محلبه وهى اناء يعمل من فخار احمر مجوف البطن محصور الرقبة لها اذن واحدة وتعمل باذنين ايضًا اذا كانت كبيرة سميت بذلك لحلب اللبن فيها من باب تسمية الظرف باسم المظروف والحاصل ان الاوانى المعدة للحلب على اقسام محلبة ومحلاب وهو على ثلاثة اقسام صغير وكبير ومتوسط والمحلاب اطول من المحلبة واوسع منها فمًا واضيق بطنًا قعره يشبه قعر القادوس صغير جدًا وربع وهو اناء صغير يأخذ فى الكيل قدر ربع المحلبة وقروفه بفتح القاف وتشديد الراء المهملة وكسر القاف وسكون الهاء فى آخرها وهى تشبه المحلاب فى صغر القعر الا انها محصورة الرقبة واسعة البطن جدًا مثل المحلبة ولها اذنان او اذن واحدة واكبر اوانى اللبن القسط وهو جرة كبيرة وهناك اناء آخر يقال له الكوز يباع به اللبن فى بلاد المدن كما شاهدنا ذلك وهو ثقيل فى الجرم قليل فى البركة ومحلبة على وزن دولبة ومحلاب على وزن دولاب وقسط على وزن قبط سمى بذلك لكونه مقسطًا بالوزن او الكيل وربع على وزن سرع وكوز على وزن بوز لانه يشبه بوز البقرة او العجلة

فى وسع فمه وهو مشتق من الكز وهو العض يقال كززت الارمى المحراث
اذا عضضت عليه وكز الطفل على اصبعه اذا عضه هكذا رايته فى القاموس الازرق
والناموس الابلق فالكوز اذا وضع فيه اللبن او الماء بقبق وتالم يشكو
ما ناله من الم النار وما قاساه من العناء حتى صار فخارا قال الشاعر

ما بقبق الكوز الا من تألمه * يشكو الى الماء ما قاسى من النار

فكان القياس الغطيسى من هذا القبيل فهذه الاوانى معروفة عند اهل الريف
هى وغيرها ومنها الزير والتمنة وغير ذلك (فان قيل) ان المحلبة والمحلاب
ونحوهما كالقسط والربع والكوز تقدم تعريف اسمائها واشتقاق بعضها
فما معنى القروفة وما اصل وضع هذا اللفظ الغريب على هذا الاناء وما مناسبة
ذلك (قلنا) يمكن الجواب من وجوه الاول ان هذا الاناء عمل فى زمن القر
بكسر القاف وجزم الراء وهو شدة البرد ثم انهم وفوا حرقه فى زمن الصيف
فصار يقال قر وفه اى هذا الاناء وفى حرقه وتم امره ثم انهم حركوا الراء
من قر مع ضمها مشددة وجعلوا مجموع هذه الحروف علما عليه وقالوا قروفه
فصار مركبا من اسم وفعل الثانى انه لما اتى به وهو جديد ووضعه الحلاب
بين رجليه وحلب فيه اللبن فصار يفور وتحلل منه رغوة كثيرة فخاف
الحلاب من سيلان اللبن خارج الاناء فصار ينادى اللبن قر فيه قر فيه
اى اسكن فيه واستقر ثم زادوا فى هذا اللفظ واوا بين فعل الامر والجار
والمجرور وحذفوا الياء المثناة من تحت لثقلها فى اللفظ وحركوا الواو
وقالوا قروفه فسمى بذلك الثالث ان طينته فى الاصل اخذت من محل
قريب من قرافة مصر فصاروا يقولون اناء قرافى ثم انهم اشتقوا له
هذا الاسم من هذا المعنى وقالوا قروفه الرابع انه مشتق من القرفة بكسر القاف
وهو نوع من البهار زكى الطعم والرائحة يدخل فى الاطعمة الفاخرة والمآكل
النفيسة وكذلك اللبن عند حلبه يكون فيه طيب الرائحة وحلو الطعم قال الله تعالى
لبنا خالصا سائغا للشاربين ثم زادوا فيه واوا وجعلوه علما عليه الخامس
ان الاسماء لا تعلل فلا يحتاج الى هذه الابحاث القشروية وهذه الخرافات الهبالية

فانتج

فاتضح الجواب وبان الصواب * واما سبب تسمية ابن عم الناظم بهذا الاسم فعلى اقوال احدها ان امه لما وضعته سمعت انسانا يقول لآخزهات المحلبه فسمته بذلك تفاولا بهذا اللفظ وصغرته لكون الولد صغيرا الثانى ان امه اتت بولد قبله وسمته محلاب فمات ثم ولدته وكرهت ان تسميه باسم اخيه فانثت اللفظ وصغرته وقالت محيلبه واشتهر بذلك الثالث ان امه لما ولدته زارها انسان بمحلبة جديدة ساعة ولادته فتفاءلت بذلك وقالت محيلبه فهذا ما ظهر لى من هذه المباحث القشروية والخرافات الهبالية *

وقوله (يوم) بالتنوين وخفض الميم لضرورة النظم واليوم اسم لبياض النهار المضى المشرق بسبب اضاءة الشمس الذى يصام شرعا كما لا يخفى وقوله (نجى) من المجئ وهو الحضور (الوجبه) ووقت مجيئها وحضورها بمجرد طلوع المشد او الملتزم او النصرانى الى الكفر او البلد فتوزع على الفلاحين بحسب ما يخصهم فى الارض من القراريط والفدن ونحو ذلك فمنهم من يكون عليه فى الشهر يوم ومنهم من يفعلها فى كل جمعة مرة ومنهم من يجعلها فى كل ثلاثة ايام وهكذا بحسب كثرة الفلاحين وقلتهم وحسب زيادة الارض ونقصها فلا بد منها فى كل يوم مدة الاقامة فيقوم الرجل بكلفة المشد والنصرانى ان كان حاضرا وجميع من يكون من طائفة الملتزم ويلتزم باكلهم وشربهم وجميع ما يحتاجون اليه من عليق دوابهم وما يتمنونه عليه من المأكل من اللحم والدجاج ولو كان فقيرا الزموه بذلك قهرا عليه والا حبسه المشد وضربه ضربا موجعا وربما هرب من قلة شئ يصنعه فيرسل المشد الى اولاده وزوجته ويهددهم ويطلب منهم ذلك فربما رهنت المراة شيئا من مصاغها او ملبوسها على دراهم واخذت بها الدجاج او اللحم واطعمتهم واحرمت اولادها من الاكل منه خوفا على نفسها من انه لا يكفيهم مثلا وقد يربى الفلاح الدجاج فلا ياكل منه شيئا ويحرم نفسه وعياله من خوفه من الضرب والحبس ومثل الدجاج السمن والدقيق فيبقيه لاجل هذه البلية ويطبخ بالشيرج وياكل الخبز الشعير ويضع لهم القمح الزريع وياكل الجبن

القريش المالح ويتكلف شراء الجبن الطري الحلو ويرسله في الوجبة كل ذلك خوفا على نفسه من هذه الامور وسميت وجبة لكونها صارت على الفلاحين حكم الامر الواجب عليهم للملتزمين فلا بد من فعلها للمشد بالقرية او النصراني او الملتزم اذا حضر كما تقدم بيانه واذا اسقطها بعض الملتزمين جعل في مقابلتها شيأ معلوما من الدراهم واضافه الى المال ويلزمهم بدفعه الى المشد بالقرية تؤخذ منهم كل عام فهي من انواع الظلم والاكل منها حرام ما لم تكن من الفلاحين عن طيب نفس وانشراح صدر بحيث ان الملتزم يرضيهم بشيء من الارض او غيرها في مقابلة ذلك وبعض الملتزمين يتعفف عنها بالكلية ولا يجعل عليهم شيأ لا للمشد ولا لغيره الا اذا تبرعوا بشيء من عند انفسهم فعلى هذا لا تكون حراما ويحل الاكل منها ومثل الوجبة غرامة البطالين واستخدامهم بغير اجرة ما لم يكن عن رضاء منهم في مقابل السكنى وترك الزرع ونحوه فكل ما كان فيه اضرار للناس فهو حرام قال الشاعر

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وما عليك اذا اذنبت من باس
الا اثنتان فلا تقربهما ابدا * الشرك بالله والاضرار بالناس

فان قيل ان الامير او غيره اذا التزم بقرية وجد في دفاتر من التزم بها قبله الوجبة وغرامة البطالين وغير ذلك مما هو من انواع الظلم فيجعل ذلك على اهلها حكم الحوادث السابقة كما جرت به العادة فهل يكون الاثم عليه او على من احدث هذا قبله او عليهما معا الجواب ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد اي من اتى بشيء لم يكن موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المسمى بالبدعة فهو رد اي مردود ومعناه باطل لا يقتدى به وفيه بيان على انه لا فرق بين ان يكون احدثه بنفسه او سبقه غيره فالاثم على كل من فعله او امر بفعله اذ كل فعل لم يكن على امر الشارع ففاعله آثم لقوله صلى الله عليه وسلم من احدث حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله وفيما تناوله الحديث رد على ذوي العقول الفاسدة والحكم مع الجهل والجور ونحو ذلك مما لا يوافق الشرع فاتضح الجواب وبان الصواب وفي قوله (نجي الوجبه)

نوع من انواع البديع يسمى التوزيع وهو ان يوزع الشاعر حرفا من حروف الهجاء في كل كلمة من الفاظ البيت او غالبه كقول الصفي الحلي رحمه الله في بديعيته

محمد المصطفى المختار من ختمت * بمجده مرسل الرحمن للامم

فانه كرر حرف الميم في جميع كلمات البيت والناظم حكم له حرف الجيم في كلمتين فقط ويقرب من هذا المعنى ما اتفق ان رجلا قلاء سمك كان يهوا امراة جميلة وكان له غلام صغير في غاية من الحذق والفصاحة فارسله يوما اليها ملتمسا ق الى محله فذهب الغلام حتى اتى محلها واخبرها ان معلمه يريدها فامتثلت الامر وارادت الذهاب معه فحضر زوجها في ذلك الوقت فتنكر الغلام ومضى ولم يشعر به احد حتى اتى الى معلمه فرآه يقلي السمك على جاري عادته والناس حوله يطلبون منه السمك المقلي فابتدره بكلام مقفى موزون يفهمه فيه القضية ويعمي فيه على الحاضرين فقال له يا معلمي فق لي من ذا السمك فاقلي جات تجي فجا لو لم يجي لجت ولكن ترتجي لما يروح تجي * وتفسير هذه الكلمات ان قوله يا معلمي فق لي اي تنبه لقولي واستمع له وافهم من ذا السمك فاقلي آتي بهذا الكلام لتوهم الحاضرين انه يريد شيئا من السمك او انه يطلب منه سرعة قليه وبين قوله فق لي وفاقلي الجناس المحرف المزيد وقوله جات تجي اي ارادت المجي وامتثلت الامر فجاء اي زوجها في وقت ان اراد الذهاب ثم قال لو لم يجي اي زوجها لجت اصله لجاءت سهله للضرورة اي لحضرت اليك ولم تخالف امرك ثم استدرك الكلام بقوله ولكن ترتجي اي حضورها من الرجاء وهو حصول الشي على وفق ارادة الطالب لما يروح زوجها ويخلو مكانها تجي اليك ويحصل المطلوب * والشاهد في قوله جات تجي فجا الخ فانه كرر حرف الجيم في كل كلمة كما لا يخفى فان قيل ان النصراني اذا نزل قرية لقبض مالها يحضر اليه الفلاحون ويكرمونه ويرسلون له الاوجبة ويتذللون بين يديه ويطيعون امره ونهيه بل يكون غالبهم في خدمته هل هذا حرام عليهم لتعظيمهم له وهل يكونون آثمين بذلك ام كيف الحال قلنا الحق ان خدمة المسلم للكافر حرام وكذلك تعظيمه والخضوع له والتذلل بين يديه

ويكون الفاعل آثما بذلك ما لم يخف منه ضررا أو أذية بأن يكون حاكما عليه ومتوليا أمره واضطر إليه في قبض المال من النصارى في بلاد الأرياف وغيرهم فإنهم مالكون هذا الأمر بل إن بعض الملتزمين يولى النصراني أمر القرية فيحكم فيها بالضرب والحبس وغير ذلك فلا يأتيه الفلاح إلا وهو يرتعد من شدة الخوف كما اتفق في زمن الأستاذ العارف بالله تعالى الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد نفعنا الله به أن السلطان ولى شخصا من النصارى على إقليم مصر كله يقبض ماله فكان ينزل إلى الإقليم في موكب عظيم من الخدم والحشم ويمر على البلاد يقبض أموالها وهو راكب على فرسه ولا ينزل إلا لضرورة الأكل أو المبيت من شدة أذيته وقوة ضرره وكان لفرسه ركاب من الفولاذ مطلى بالذهب وقد جعل فيه سفوتين من الحديد خارجتين إلى الخلاء قدرا يسيرا ثم يرسل خلف الرجل فلا يأتيه إلا وهو يرتعد من شدة الخوف فيقف بجانب فرسه وهو راكب فيغلظ عليه بالكلام القبيح ويقول له ادفع ما عليك من المال في هذه الساعة فإن أجاب وأحضر المال في وقته كان وإلا ضربه بتلك السفوتين فيجرحه أو يخرق أجنابه فيموت وكان هذا دأبه مع المسلمين لعنه الله عليه فاتفق أنه طلع إلى قرية الشيخ ابن دقيق العيد رحمه الله وأرسل خلف رجل من أتباعه كان عليه بقية مال من خراج أرض يزرعها فلما حضر إليه قال له ادفع ما عليك فقال له الرجل أمهلني بقية هذا اليوم فأغلظ عليه وأراد أن يحرك الركاب ويضربه بتلك السفافيت يقتله فولى هاربا والنصراني يتبعه على الأثر إلى أن ألقى بنفسه بين يدي الشيخ وهو يحرق في قمين جير لأنها كانت صنعة الشيخ في ابتداء أمره فقال له ما الخبر فقص عليه الأمر فلم يشعر إلا والنصراني واقف على رأسه فقال له الشيخ أمهله بقية النهار فأغلظ على الشيخ بالكلام فأخذ الشيخ الغضب والغيرة على المسلمين وقام إليه وجذبه من أطواقه فبقي في يده كالعصفور وقال له يا ملعون الأبعد طال عمرك وساء عملك وقد اشتد على المسلمين ضررك والآن قد زال اسمك وانمحى رسمك ثم اتكأ عليه حتى قصف ظهره وألقاه في تنور القمين فاحترق

ثم نظر الى جماعته نظرة الغضب فالقى الله الرعب فى قلوبهم فولوا الادبار حتى وصلوا الى السلطان واخبروه بالقضية فاشتد به الغضب وارسل خلف الشيخ فسار اليه حتى طلع الديوان فلما مثل بين يديه قال له ما حملك على حرق النصرانى فقال له الشيخ وانت ما حملك على توليته على المسلمين وتأمره باذيتهم فزاد به الغيظ واراد ان يبطش بالشيخ فاشار الشيخ الى الكرسى الذى هو جالس عليه فتحرك من تحته فانكب الى الارض مغشيا عليه وصار للكرسى دوران وطنين فى القلعة ودوى كالرعد القاصف وهاجت العسكر فى بعضها البعض وارتجت القلعة بمن فيها من الجند والاعوان فصاحوا الامان الامان فاشار الشيخ بيده فرجع كل شئ الى حاله ثم اشار الى الملك فصحا من غشوته فلما افاق قبل يديه وقال له العفو يا سيدى تمن على ما تريد فقال له انا لا اريد منك شيأ غير انك لا تول احدا من النصارى على المسلمين ولا على امورهم والا هلكت فقال له السمع والطاعة ثم ان الشيخ نزل من عنده على غاية من الكرامة والتبجيل وصار الى قريته ولم يزل هذا الامر منقطعا زمانا لا يتولى احد من النصارى امر المسلمين فى قبض مال ولا غيره الى ان احتاج اليهم الحكام لحذقهم وصحة عقولهم فى الحساب فولوهم هذا الامر الى زماننا هذا وكذلك اليهود تعاطوا علم الطب حتى تصرف الفريقان فى الاموال والارواح ولله در القائل

لعن النصارى واليهود جميعهم * نالوا بمكرهم الامالا
جعلوا اطباء وحسابا لكى * يتقاسموا الارواح والاموالا

فعلى هذا يجوز للشخص معاشرتهم والخضوع لهم اذا خشى على نفسه او عياله ضررا منهم فى امر دينى او دنيوى يتوقف على ذلك وقد اضطر اليه فلا بأس باستصحابهم من هذا القبيل وقد عوتب سيدى عبد العزيز الديرينى نفعنا الله به فى تردده على نصرانى ببلدته فقال

يلومونى فى عشرة القبط خلتى * فوالله طول الدهر ما حبهم قلبى
ولكننى صياد رزقى بارضهم * ولا بد للصياد من صحبة الكلب

واما اذا داخلهم الانسان بالمحبة والصحبة لا لغرض دنيوى قد اضطر اليه ولا لخوف

ضرر منهم فربما دخل في ضمن قوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وفي ضمن قوله صلى الله عليه وسلم من احب قوما حشر معهم وقوله (عليّ) بتشديد الياء يريد نفسه لا غيره (يحيف) اي يميل عليّ ويظلمني ويكلفني ما لا اطيق فكان عليه هذا الضرر اشد من غيره الذي هو اذية النمل والصيبان ونحوهما كما تقدم لكونه ناشئا من الاقارب قال الشاعر

اقاربك العقارب فاجتنبهم * ولا تركن الى عم وخال
فكم عم اتاك الغم منه * وكم خال من الخيرات خالي

فانظر الى هذا الشاعر اللبيب كيف اتى بالعم والخال وصحف الاول بالغم واستخدم لفظ الثاني في كونه خاليا من الخيرات وحكم فيه الجناس وتورية اللفظ وقال بعضهم عداوة الاهل ذوي القرابه * كالنار يوم الريح وسط غابه
وقال علي كرم الله وجهه العداوة في الاهل والحسد في الجيران والمودة في الاخوان * واصل عداوة الاهل من قصة قابيل لما قتل اخاه هابيل فصارت العداوة بين الاخوة والاقارب الى زماننا هذا ومنشأ هذا كله الحسد فالحسود لا يسود وفي الحديث لا حسد الا في اثنين رجلا آتاه الله مالا فسلطه الله على هلكته في الخير ورجل آتاه الله علما فهو يعلمه الناس وقال الامام الشافعي رضي الله عنه

ان يحسدوني فاني غير لائمهم * قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم * ومات اكثرنا غيظا بما يجد

وقال آخر لا مات اعداؤك بل خلدوا * حتى يروا منك ما يكمدهم
ولا خلاك الدهر من حاسد * فان خير الناس من يحسد) ثم ان الناظم انتقل من شكوى ابن عمه محيلبه الى الشكوى من ابن اخيه خنافر لكونه اشأم منه واضر عليه من ابن عمه فقال

---

*(وايشم منه ابن اخوه خنافر * يقرط على بيضي بجلبة ليف)*

قوله (وايشم) من الشوم او من التيشمة واصله اشأم على وزن ابلم او افطم وفي المثل اشأم من طويس ويقال فلان مشوم وذو تيشمة اي عنده قوة وتجبر وشدة ضرر على الناس وسمي الخشب شوما للقوة وصلابته والعرب تهجو بالشوم واللوم * قيل بنى جعفر البرمكي قصرا بديعا وزخرفه بانواع الحرير وغير ذلك وجلس فيه اياما

فبينا

فبينما هو ينظر يوماً من شباك له اذ نظر الى اعرابي يكتب على جدار بيتين من الشعر وهما * يا قصر جعفر علاك الشوم واللوم * حتى يعشش في اركانك البوم

اذا يعشش ذاك البوم من فرحي * اكون اول من ينعاك مرغوم

فقال عليّ بهذا الاعرابي فلما حضر بين يديه قال له ما حملك على ما فعلت وما سبب دعائك على قصرنا بالخراب فقال له حملني على ذلك الفقر والفاقة وصبية خرجتها كافراخ القطا يتعاوون من الم الجوع وجئت لاستمطر احسانك وارجو نوالك فمكثت شهراً على باب هذا القصر لا اتمكن من الدخول اليك فلما يئست دعوت عليه بالخراب وقلت ما دام عامراً لا يفدني منه شيء فاذا خرب ربما امر به فآخذ منه خشبة او شيئاً من زخارفه فانتفع به قال فتبسم جعفر وقال عدم علمنا بك قد اطال وقوفك واضر بعيالك اعطوه الف دينار لقصده ايانا والف دينار لطول مكثه على باب دارنا والف دينار لصبيته خلفها كافراخ القطا والف دينار لدعائه على قصرنا بالخراب والف دينار لحلمنا عليه فاخذ الاعرابي الخمسة آلاف دينار وعاد شاكراً وقوله (منّه) بتشديد النون لضرورة النظم اي اشد واقوى منه في الضرر على والظلم لي (ابن اخوه) اي اخو محيلبه شقيقه وكان الاولى جره على الاضافة ولكن لم يساعده لنا على هذا الوضع لكونه من اهل الريف وايضاً يختل الوزن ثم بين اسمه بقوله (خنافر) مشتق من الخنفرة على وزن الزخرفة او البربرة يقال رقد فلان وخنفر بمعنى انه ردد النفس في حلقه واخرجه من خياشيمه حتى صار نفساً عالياً بخنفرة وبربرة قال الشاعر * وخنفر عند النوم من خشومه * فصار لهذا الاسم يدعى خنافرا وسمي بذلك لكثرة خنفرته عند النوم ومصدره خنفر يخنفر خنفرة فهو خنفور على وزن خنشور وخنافر على وزن عباير واحدتها عبورة واما اخوه فاسمه قادوس على وزن بعبوص وقادوس هذا خلف ولدين محيلبه وفساقل وخنافر هذا ابنه فكان ضرر الناظم من ابن عمه وابن اخي ابن عمه ثم بين الضرر الحاصل منه بقوله (يضرط) بضم المثناة من تحت على وزن يضرط ويضرط فيها الغتاف قال الشاعر * ففيها ضرط الواشون جمعاً * فصار ضراطهم فيها يفوح

وهو هنا بمعنى التقريط بالحبل بشدة وقوة وأما القرط بفتح القاف وجزم الراء فهو قرط الزرع وهو أخذ سنبله وابقاء اصله فى ارضه يقال فلان قرط زرع فلان وبضم القاف اسم لحلقة صغيرة من لجين او فضة تعمل فى اذن الصبى وهى ممدوحة خصوصًا الولد الجميل فانها تزيده حسنًا وتكسوه حلاوة قال ابو نواس فى مطلع قصيدة له ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة فى درة بيضاء اى ان هذا الجمال اللطيف والشكل الظريف الذى زانه هذا القرط واتصف به صار يسعى على الندماء وبيده خمرة تشبه العقيقة فى لونها وهى فى كأس تشبه الدرة البيضاء من صفاء جوهره ولطف ذاته ويسقيهم مما فى يده ويدير عليهم المدام ويلاطفهم برشاقة القد وحسن الكلام الى آخر ما قال وقوله (على بيضى) اى بيض الناظم لا بيض المتكلم ولا بيض غيره من الدجاج والطيور ونحو ذلك وسمى بيضًا لشبهه بالبيض اذا انسلخ عنه الجلد وهو مشتق من البياض او من ابو بيض حيوان يشبه العنكبوت او من بيضة القبان

(مسئلة هبالية) ما الحكمة فى تسمية البيض بالخصيتين وما مشابهة الخصى لهما فى الاسم وما اشتقاقهما وما معنى ذلك (الجواب الفشروى) هو ان الخصيتين واحدتهما خصية بكسر الخاء المعجمة وكذلك مثنى الخصا خصوان واحدهما خصا فاذا اخذت الخصا مثلًا واضفت اليه آخر صرت آخذًا خصوين بلا اختلاف فافهم ذلك وقد يقال له خصو بالواو بدل الالف المقصورة وهو اسم الزب فاذا قعدت عليه فهمت لذة الكلام وهو فى حكم الاب للخصيتين لانه لا يفارقهما وهما فى حكم البنتين له فاشتق من اسم الاصل اسم الفرع لعدم انفكاكه عنه ولهذا ان الخصيتين دائمًا فى مقام الخضوع للذكر وهو فى مقام الرفعة عليهما وهما فى مقام التدلى وهو فى مقام الترقى وهما ايضًا فى مقام الاضافة وهو فى مقام الرفع والنصب وايضًا له قوة فى فتح الابواب المغلقة وهدم الحصون وقرع القبب المسطحة وهما واقفان على الباب تأدبًا معه وهذا من علامة البر بالوالد كما اتفق ان بعض الشعراء قصد ملكًا يستمطر احسانه فرآه فى البستان فوقف على الباب واراد الدخول فمنعه الحارس فنط خلف حائط

البستان

البستان فرأى جدول ماء يجري وينتهي الى محل تحت الحائط ينصبّ فى فسقية كبيرة ورأى الملك جالسا عليها فأخذ ورقة وكتب فيها هذا البيت

الناس كلهم كالاير قد دخلوا * والعبد مثل الخصا واقف على الباب

ثم طواها ووضعها فى قصبة فارسية وسدّ عليها بشمع والقاها فى الجدول فأخذها الماء حتى القاها بين يدى الملك فتناولها وفكّ ختامها واخرج الورقة فلما قرأ البيت تبسّم وناداه ادخل يا خصا فقال الشاعر ادام الله الملك ما هذا الا عن وسع عظيم فأعجبه كلامه وانعم عليه وارتدّ شاكرا قلت وبذكر مصادفة هذه الالفاظ ذكرت ما اتفق ان السلطان قانصوه الغورى رحمه الله غضب على انسان واراد قتله فشفع فيه بعض الحاضرين وعمل عليه ثلاثة آلاف دينار ونزل من عند الملك ليأتى بها فلقيه رجل من اصدقائه وهو على سلم الديوان فقال له بلغنى ان الملك عمل عليك الف دينار فقال لا على الطلاق ثلاثة قال فلما سمع الملك وقوع هذه الكلمة منه واستخدامها فى معنى الطلاق والدراهم عفا عنه وسامحه من الثلاثة الآف دينار وانعم عليه ومضى الى حال سبيله * وقد يطلق لفظ الخصا على الذكر ايضا ويسمى الدلدول والذنب والزب والاير والعرمول وغير ذلك لكن اشهر اسمائه خمسة وقد ذكرتها فى رسالتى رياض الانس فيما جرى بين الزب والكس وهى

لى عندهم اسماء حقا تذكر * اير وزب دلدل وذكر

(وخامس الاسماء ادعى بالخصا * اذا غضبت خلتنى كما العصا)

ويلقب بالاعور والافطس والسداد والمداد وهادم الحصون وفاتح البروج * ويكنى ابو الحملات وابو الصدمات وابو الهيادع وابو الزلازل ونحو ذلك واذا اطلق الانسان عنانه واطاع هواه القاه فى اشد المصائب قال ابن عروس رحمه الله تعالى

الناس فى اسد تاهو * والاجواد شاعت ثناها

(ماضرنى غير بطنى * والى مدلى حداها)

وقد تشبه الخصيتين بالدجاجتين قال بعضهم يهجو شيخه بهذين البيتين

يارب زول غمنا يا ربنا * يارب اهلك شيخنا الادبا

(كانما خصيتاه اذ كبا * دجاجتا يلقطان حبا)

فالخصا بالضم والكسر اسم مشترك بين الذكر والخصيتين وكذلك بابدال الالف واوا كما تقدم ويكون من باب تسمية الشئ بما جاوره وخصيتين على وزن ضرطتين او شحتين

فيكون فيها الضرطة والسخة بيقين واشتقاقهما من الخص بضم الخاء المعجمة او من قرية تسمى الخصوص او من قولهم للكلب اخص مثلا ومصدرها خصا يخصو خصاء قال الشاعر

خصا يخصو مصادر خصيتين * خصاء صح في نظر الطنيني

انتهى الجواب عن هذه المباحث الفشروية والاشكالات الهبالية (قوله بخلبة ليف) اى ربطه قوية دائرة على بيضه مرتين بحبل مفتول من ليف النخل سمى بذلك لكونه ملتفا على اصول الجريد وسميت هذه الربطة بالخلبة لكونها تخلب على الشئ فلا ينفك منها الا بعسر وفي اصطلاح الرعيان انهم اذا ارادوا ربط شئ بمكنة يقولون اخلب عليه خلبة الوتد اى لف عليه الحبل مرتين واربطه ربطة قوية حتى لا ينفك منه وهي مشتقة من خلب الزرع او من مخلاب الطير او من البرق الخلب بضم الخاء المعجمة وتشديد اللام وهو الذي لا مطر فيه قال ابن العربي نفعنا الله به

كل الذي يرجو نوالك امطروا * ما كان برقك خلبا الا معي

ثم ان الناظم ذكر السبب الحامل لحدوث شيبه قبلا وانه فقال

ص (ومن نزلة الكشاف شابت عوارضي * وصار لقلبي لوعة ورجيف)

قوله (ومن نزلة) النزلة واحدة النزول وتطلق على الجماعة الكثيرة اذا نزلو في محل واستمروا فيه زمنا كما يقال نزلة بني فلان ونزلة العرب ونزلة الغوازي ومن هذا القرية المعروفة بالنزلة واما النزول فمعناه نزل الشئ من الاعلى الى الاسفل وضده من الصعود وهو الترقي من الادنى الى الاعلى يقال صعد الى اعلى الجبل ونزل الى ادنى الارض قال امرؤ القيس يصف فرسا شجاعا

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من على

وقوله (الكشاف) جمع كاشف واتصف بهذه الصفة لانه يكشف عن الاقليم المتولى عليه ويزيل ما فيه من المفاسد والظلم ويسد النهود ويمكن الجسور ويزيل اللصوص وكان هذا عادة كل كاشف تولى في قديم الزمان يسير سيرة حسنة ويمر على البلاد واذا اقبل على قرية بقرع الطبل فيخاف منه اهل البدع وارباب المفاسد ويتخلواها ربما خوفا منه وربما وقعوا في يده فيعاقبهم بما يستحقونه من قتل وحبس او ضرب او اخذ دراهم ثم ينزل على القرية اذا كان له عليها عادة بالنزول

وتأتى اليه مشايخها ويقفون بين يديه فى اشد ما يكون من الرعب والخوف
ويستخبرهم عن احوالهم ويسألهم عن ارباب المفاسد واصحاب البدع ويلزمهم
بالقبض عليهم اذا لم يكونوا فى القرية ثم بعد ذلك يشرعون له فى الاكل والشرب
والتقاديم على ما جرت به العادة واذا وقع فى قرية فتنة فيما بينهم او قتل او خروج
عن طاعة استاذهم او قائم مقام القرية هجم عليهم بأمر الوزير واخرب القرية
وقتل منهم من يستحق القتل وازال العصاة والجبابرة فعلى كل حال وجوده على
الاقليم رحمة وسيره كشف غمة ما لم يحصل منه ومن عسكره واتباعه الضرر
على الناس من نهب متاعهم واذيتهم وتكلفهم فى المآكل والمشرب فوق طاقتهم
والا فيكون هذا من باب الظلم وهو حرام ويجب رده لاربابه الا ان سمحت
نفوسهم بذلك فلا بأس وقوله الكشاف لم يكونوا غير واحد فهو على حذف مضاف
تقديره اى ومن تواتر نزول كاشف بعد كاشف مع ما يحصل لى منه من الرعب
والخوف من قرع الطبول ودكدكة الخيول وهيبته عند السير والنزول
ورجفان القلب من رؤية العسكر والمقدمين والبلاصة وخوفى من هذا الامر
ان ينالنى منه ضرر (شابت عوارضى) لضعفى عن مقابلة الكشاف وعجزى عن
شئ يأخذونه من دارى من جلة للمطبخ او غير ذلك فمن هنا تنزعج الاعضاء
وترجف الجوارح وينبت الشيب فى غير اوانه * والشيب كرامة من الله تعالى لعبده
اكرمه به واول من شاب ابراهيم الخليل عليه السلام شاب نصف لحيته فقال يارب
ما هذا فقال هذا وقار لك فى الدنيا ونور لك فى الآخرة فقال يارب زدنى
من هذا الوقار فاصبح وقد ابيضت لحيته كلها وفى الحديث ان الله يستحى ان
يعذب شيبة شابت فى الاسلام وللشيب فضائل كثيرة منها انه وقار للشخص
كما تقدم وهيبة له ويذكره قرب حمامه لانه نذير الموت قال بعضهم

اذا اسود جلد المرء وابيض شعره * وطال عليه ثوبه من امامه
وقارب عند المشى فى خطواته * هنالك بشره بقرب حمامه

وقال آخر واجاد   يبتسم الشيب بوجه الفتى * اوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكى على نفسه * من ضحك الشيب على دفنه) وفى هذين البيتين الطباق اللفظى كما لا يخفى

والشيب مذموم عند النساء قال هرون الرشيد لزوجته ما تحببن من الرجال فقالت من خده لخدى وايره كزندى قال فاذا التحا قالت يطرق الحدقة ويعجل بالنفقة قال فاذا شاب فقالت يصبر على الخنا او يبادر بالطلاق فهو عندهن مذموم * وصاحبه من انس الغانيات محروم * خصوصا اذا قل ماله وساء حاله قال بعضهم

سلونى عن حال النساء فاننى * خبير باحوال النساء طبيب
اذا ابيض شعر المرء او قل ماله * فليس له فى ودهن نصيب

فكيف بمن فيه النوعان الشيب والفقر فهو عندهن وجوده كالعدم * وقال القاضى الفاضل رحمه الله

تعجبت حين راح سعدى * من بعد نضو للخضاب حالى
قالت هذا الذى اراه * غبار طاحونة بدا لى ۞ فقلت لا تعجبى فهذا * غبار طاحونة الليالى

اى انها تكدرت لما رأت هذا الشيب المشبه لغبار الطاحونة قد لاح على وجهه وغير لحيته وتعجبت من حدوثه بسرعة وتعجبها منه يقتضى تكدر صفوها وطى بساط انسها فاجابها بقوله لا تعجبى من اسراع ظهوره فان عجائب الليالى واستنتاجها المصائب المشبهة عند دورانها بالطاحونة اظهرت هذا الغبار الذى ترينه فلا تلومى واصبرى على ما بليت به * وبعضهم شبه حدوث الشيب فى لحيته بالطائر المعروف بالنسر لبياضه وشبه بقيتها فى السواد بابن داية وهو الغراب الاسود فقال

ولما رايت النسر حز ابن داية * وعشش فى وكر فضاق له صدرى

ومنهم من شبه حدوثه بظهور الصبح واشتعاله فى السواد كاشتعال النار فى الحطب الغليظ اليابس قال ابن دريد رحمه الله فى اول قصيدته

يا ظبية اشبه شئ بالمها * راتعة بين العقيق واللوا ۞ اما ترى راسى حاكى لونه * طرة صبح تحت اذيال الدجا
واشتعل المبيض فى مسوده * مثل اشتعال النار فى جزل الغضا ۞ فكانما الليل البهيم حل فى * ارجائه ضوء صباح فانجلا

والتشبيه للشيب من هذا المعنى كثير وهو مشتق من الشيبة التى تباع عند العطار لبياضها ورقة عروقها واشتباكها كاشتباك الشعر بعضه ببعض ولهذا يقال راوا فى الشيبة نجاسة مثلا ومصدره شاب يشيب شيبا وذكر الشيب فى العارضين اولا يدل على انه كان من الاماثل والكرماء

لانّ اول ما يشيب من الكرام العارضان ومن اللئام العنفقة قال الشاعر

فشيب الكرام من العارضيـ * ـن وشيب اللئام من العنفقة
وشيب الرؤس بما فى النفو * س وشيب الصدور من الزندقة

وقصره المشيب فى عارضيه ليس على بابه وانما كان ابتداؤه فى عارضيه ثم جرى فى بقية لحيته بيقين فذكر الاصل والفرع تابع له * واما الحاقه تاء التانيث فى الفعل فهو جرى على لغة الريافة والناظم منهم وايضا لو قال شابا عارضىّ اوشابوا عوارضى لاختل الوزن فراعى لغته ووزن الكلام (مسئلة هبالية) لاىّ شئ قال ومن نزلة الكشاف ولم يقل ومن نزولهم لئلا يتوهم سامع بليد الطبع انها النزلة التى تعترى لانسان من حصول برد يحصل به فينزل فى رأسه ويتولد منها العطاس والاذى وغير ذلك ودواؤها ان تدهن الجبهة ببياض البيض ممزوجا بالمصطكى فانه يخفف ذلك وما الحكمة فى انه اتى بعد العارضين بالقلب وهو بعيد عنهما وليس بينه وبينهما مناسبة وكان حقه ان ياتى بالشاربين والعنفقة كقول الشاعر

شواربك والعنفقة * فى طيز كلبة مطلقة ❀ والحس خراها بفيه * ومزمزه بالملعقة

قلنا الجواب القشرى ان النزلة على وزن العجلة والنزول على وزن العجول والعجول جماعة فاكتفى بالاقل عن الاكثر وايضا الانثى الطف من الذكر فى الذات والصفات وان كان الذكر اشرف وايضا الفلاح عنده العجلة او البقرة اكثر نفعا من العجل والثور فيعلم من هذا ان الناظم كان يهوى الاناث دون الذكور بخلاف مذهبنا نحن معاشر الفساق فاننا على حد قول ابى نواس رحمه الله

عجبت لمن يزنى وفى الناس امرد * اليس ركوب الفحل فى الحرب اجود

واما ذكر القلب مع العارضين فانما هو تغاير فى اللفظ والمعنى واحد من حيثية ان الروح سارية فى الجسد كله فاذا اهتم القلب وتعب سرى ذلك فى الجسد ونشا الشيب منه فيكون على معنى ما قاربا الشئ يعطى حكمه او على حد قولهم شاب القلب فيكون شيبا معنويا فلا اعتراض فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال * والعارض مشتق من العرضية التى تلف على الراس

أو من عارضة الباب أو من العروض الذي يعتري الانسان من لمس الجن او من العارض الذي يأتي بالمطر أو من عارض الجبل قال بعضهم

قف بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض

أو انه سمي بذلك لتعرضه في الوجه ومصدره عرض يعرض عرضا فهو عارض وقوله (وصار) على وزن فار من الصيرورة او من صاري المركب او من الصرة التي تنقل في كل عام الى الحرمين (لقلبي) المراد به قلب الناظم لا قلب غيره كما لا يخفى على صاحب العقل الفشروي وقوله (لوعة) وهي شدة حرارة القلب وتلهفه من ألم العشق او الخوف او بعد المحبوب ونحوه كما قلت في معنى ذلك

آواه واحربا من لوعتي وكفى * اني كابد زفرات بأشجان

وقوله (ورجيف) على وزن رغيف اي رجفان لا يسكن ألمه ولا يهدأ تحركه من شدة ما نالني من رعب نزول الكشاف وخوفي منهم كما تقدم ومصدره رجف يرجف رجفا مثل غرف يغرف غرفا ثم ان الناظم شرع في ذكر مصيبة اخرى ابتلي بها هو واخوانه الفلاحون وهي أشد عليهم من الأمور المهمة فقال

ص *(ويوم يجي الديوان تبطل مفاصلي * واهتز على خوفي من التخويف)*

ش قوله (ويوم) بالتنوين (يجي) وقت قبض مال (الديوان) وهذا من باب واسأل القرية اي اهلها وهو ان النصراني اذا حضر الى القرية او الكفر وفرد المال على الفلاحين حكم الخوالي والقوانين التي جرت بها العادة وشرع في أخذها فيكثر الخوف والحبس والضرب لمن لا يقدر على غلاق المال فمن الفلاحين من يقترض الدراهم بزيادة أو يأخذ على زرعه الى أوان طلوعه بناقص عن بيعه في ذلك الزمن او يبيع بهيمته التي تحلب على عياله أو يأخذ مصاغ زوجته يرهنه أو يتصرف فيه بالبيع ولو قهرا عليها ويدفع الثمن للنصراني او لمن هو متولي قبض المال وان لم يجد شيئا ولا يرى من يعطيه وخشي الملتزم او المشد من خرابه من البلد أخذ ولده رهينة عنه حتى يغلق المال أو يأخذ أخاه ان لم يكن له ولد أو أحد من أقاربه او يوضع في الحبس للضرب والعقوبة حتى تنفذ فيه احكام الله تعالى ومنهم من ينجو بنفسه فيهرب تحت ليله

فلا يعود الى بلده قط ويترك اهله ووطنه من هم المال وضيق المعيشة كما قال بعضهم

قالت تسافر يا فتى * وتفارق الوجه الحسن
فأجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن
هم المعيشة فرقت * بين الاحبة والوطن

فلا بد على كل حال من تغليق المال ولو حصل من ذلك الهم والنكال كما في المثل الذي اشتهر وعم مال السلطان يخرج من بين الظفر واللحم وما دام على الفلاح شئ من المال فهو في هم شديد ويوم السداد عند الفلاح عيد والحاصل ان الفلاح على قسمين قسم ناج ناجب وقسم خائن خائب * فأما الأول فهو صاحب عقل وسياسه وحسن تصرف ورياسه وعقله رزين ملازم للصلاة والدين والزرع والغيط تارك للسندة جنب الحيط له على جماعته الحماسه متجنب الرذالة والخساسه يباشر الزرع ويقف عند الحصيد والقلع ولا يتكل على خولي ولا مرابع ولا يركن لنوار ولا مزارع بل يباشر الامور كلها ويعرف مرضها وعللها ويلازم المشد والاستاد ولا يسعى في خراب ولا فساد فان اخذ من معامل فلوس لا يصرفها في أمر معكوس. بل على مصالح الزرع والبهائم والأمر الذي عليه لازم وينوي السداد لصاحب الدين ويشفق على الفقير والمسكين ويفيق لانواره ويحفظ غيط جاره وينوي سداد المال ويتكل على العلي المتعال ويترك نفش الشوارب والجلوس على المصاطب يبارك له الديان ويسد مال السلطان ومن جاءه المعامل اوفاه وان طلب منه ثاني مرة اعطاه وترتاح اولاده ويرضى عنه استاده ويعيش في راحة ودين ويرضى عليه رب العالمين * وأما القسم الثاني لا عقل ولا معروف عريان منتوف لا صلاة ولا دين ولا طاعة لرب العالمين ولا ذوق ولا معرفه فائق للشر والمقرفه بالنهار في لعب المنقله وبالليل صاحب العتله لا يلازم الغيط يحب الاطعمة جنب الحيط بافش الشوارب قليل المكاسب عويل مهدار سفلاق فشار ان دخل في يده فلوس فرقها على الحشوزة والنبوس لا يلازم مشد ولا استاد دائما في العكس والفساد تيرانه جائعه وحبوله ضائعه لا يصرف الا شياط وعياط

وزرعته ما فيها الا الاضراط يصرف من غير قانون مشحوت منحوس مديون مفلوس مع استاده دائر في غيه وفساده لو ضربته مقارع او كسارات لا يخلى النط في الدور والحارات ان قال له استاده على الصواب ينوى على الرحيل والخراب دائما في مقت وكرب ولا يفيد فيه الحبس والضرب قنف معكوس محرك شر حرب البسوس لا يقدر على وفاء دين مكسور عليه الالف والالفين فتنة في البلد عمره في هم ونكد لا يوفي المعامل ولا له راى كامل المقت منسكب عليه وشبيه الشئ منجذب اليه فلا خير في حياته ولا يبكى عليه بعد مماته لانه طويل الكم فشار قليل الفرح في الدار عثرا كالخره لا دنيا ولا آخره كما قيل (فهذا الذى ان عاش لا يعتنى به * وان مات لم تحزن عليه الاقارب)

واول من وضع الدواوين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه واول ديوان عمل بمصر على يد سيدنا عمرو بن العاص لما فتح مصر ولم ينضبط على وتيرة واحدة وكان الخراج في زمانه يسيرا ولهذا لما فتحها صلحا او عنوة على ما قيل جمع منها اموالا كثيرة تفوق عن الحصر من كنوز وغيرها قال هشام بن رقية اللخمى ان عمرو بن العاص لما فتح مصر قال للقبط من كتم عنى كنزا فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من اهل الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فطلبه وساله فانكر فحبسه في السجن وجعل عمرو يسال عنه هل تسمعونه يسال عن احد فقالوا لا انما سمعناه يسال عن راهب من الطور فارسل عمرو الى بطرس واخذ خاتمه وكتب بالقبطية الى الراهب على لسان بطرس يحرضه على حفظ المال وعلى مكانه وذكر له ما شاء ان يذكره وجهز الكتاب مع قبطي وثق به فجاءه الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها مالكم تحت الفسقية الكبيرة فحبس عنها الماء ثم قلع البلاطة التي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا من الذهب الاحمر المضروب بسكة مصر فاخذ المال وضرب راس بطرس عند باب المسجد انتهى * وحكى ان المرحوم السلطان سليم لما اخذ مصر من المرحوم السلطان الغوري في سنة ٩٢٠ عشرين وتسعمائة جعل له قانونا ودونه بمصر منه انه لا يكتب شئ من مال الديوان على احد من الجند

لا عنده

وافق ذلك رأى مولانا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما ارسل نائبه عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه يأمره بذلك * ومنه ان الجند لا يسكنون في بيت الملك ومنه انه لا يتزوج بمصرية ومنه ان لا يقيم في مصر اكثر من سنة وبعدها يجهز الى مكان آخر ومنه ان الجندي لا يجمع بين الجمكية وجهات الاوقاف والمراد بالجندي المثبت في الديوان اصحاب الجوامك والعلوفات واول من جبى خراج مصر في الاسلام سيدنا عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه وكانت جبايته اثنى عشر الف الف دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبى عبد الله بن سعيد بن ابى سرح خراج مصر اربعة عشر الف الف دينار فقال ابن عفان لعمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما يا ابا عبد الله درت اللقحة باكثر من درها الاول فقال له سيدنا عمرو اضررتم بولدها * وهذا الذى جباه عمرو وعبد الله انما هو من الجماجم خاصة دون الخراج * وكان خراج مصر في زمن المأمون والمعتصم اذا بلغ النيل سبعة عشر ذراعا وعشرة اصابع اربعة آلاف الف ومائتى الف وسبعمائة وخمسين دينارا والمقبوض على الفدان ديناران ودينار ذلك الزمن عشرة انصاف * واعلم ان مصر كانت قبل الاسلام مائة وثلاثة وخمسين كورة في كل كورة مدينة وثلاثمائة وخمسة وستين قرية خرب منها ثمانية وستون كورة ثم تناقصت فجاء الاسلام وفيها اربعون كورة عامرة بجميع قراها لا ينقص منها شئ * ونقل الاستاذ السيوطي ان سيدنا عمر بن الخطاب كتب الى سيدنا عمرو بن العاص يقول له اياك ان تكتب شيئا من مال الديوان على احد من الجند الحذر الحذر كل الحذر والسلام انتهى * واطلاق الناظم لفظ المال المقبوض على الديوان لكونه آيلا اليه من باب تسمية الشئ بما يصير اليه وسمى ديوانا لاقامة الدين فيه باظهار الحق وانصاف الظالم من المظلوم او لحضور ما دون الملك فيه او لجمعه على اجناس مختلفة كما يقال للكتاب الجامع للقصائد والتواشيح ومقاطيع الاشعار اذا انشأه شخص ديوان فنزول الديوان في البلد على كل حال امر مهول على الفلاحين ومصيبة على المقلين والناظم رحمه الله كان من المفلسين المقلين

المنكسر من فى مال السلطان كما سيأتى فى قوله (ويا ذوب عمرى فى الخراج وهمو
وان الدهر والزمان مال عليه وصيره فى هذه الحالة كما تقدم فلهذا قال عن نفسه
انى اذا حضر الديوان او قرب حضوره داخلنى الخوف واعترانى الفزع
ودهمتنى الداهية الكبرى ولحقتنى طربة عظيمة لعدم شئ من الدراهم
اورده فى مال السلطان او لخوفى من العقوبة والحبس فبسبب ذلك (تبطل)
اى ترتخى وتسكن ويقل نفعها (مفاصلى) جمع مفصل وهو فرجة يسيرة بين
العظمين مستمسكة بالعروق فاذا سكنت تلك العروق وارتخت بطل
عملها وقل نفع ذلك العضو * وقد ذكر لفظ المفصل فى قول ابى نواس لما احتضر
لم يبق الا نفس هافت * ومقلة انسانها باهت ❁ (ومغرم تضرم احشاؤه * بالنار الا انه ساكت
ما فيه من عضو ولا مفصل * الا وفيه الم ثابت ❁ (رثا له الشامت مما به * يا ويح من يرثى له الشامت
فمن هذا نبه الناظم على هذا الامر الذى حصل له العجز عن دفع ما عليه من خراج
الارض ولكونه لم يمهله النصرانى ولا يرثى لحاله ولما كان يلزم من حدوث
بطلان مفاصله من شدة الخوف والطربة انطلاق البطن كما يقع غالبا
لبعض الناس قال (واهر على روحى) اى ذاتى لا الروح السارية فى الجسم
(من شدة الطربة وهم (التخويف) اى تخويف جماعة النصرانى او المشد او الخوف
الذى يصيبنى بمعنى ان الطبيعة تلين من اغصها هذا الهم وشدة تلك
الطربة الحاصلة فينزل الغائط لينا يشبه هراز الطين بعد ان كان اذا
ضربته فى الحائط ردّ فى وجهك من يبسه فيسيل على ذاتى وثيابى فلا اتمالك
دفعه لانه يتدفق بسرعة من شدة الخوف والهم * واحد الهراز على وزن الجراد
واحده الهرة من قولهم هر عليك الحمار او هرت على جنبك الكلبة او هر على ذقنك
الكلب مثلا ويقال هر التراب وهر الرمل اذا تراكم على بعضه وسال لنفسه
من الاعلى للادنى فانك اذا نظرت الى اكوام الرمل نظرت فيها الهرار
بيقين او هو مشتق من الهرة التى تصيد الفار وتسمى بلغة اهل الحجاز السنة
بضم الموحدة وبلغة اهل مصر القطة ومصدره هر يهر هرارا ثم ان الناظم نبه على انه لم
يسعه من هذا الامر بعد بطلان مفاصله وانطلاق بطنه من شدة خوفه الا الهروب مما دهمه والاختفا منه فقال

ص * (واهربْ حذا النسوانِ والتفّ بالعبا ❁ ويبقى ضراطي شبه طبل عنيف) *

ش قوله (واهربْ) اى انا لا احد غيري (حذا) اصله بالمدّ والذال المعجمة واستعملت بالدال المهملة جريًا على لغة الارياف وقصرها للضرورة وحذاء الشيء جانبه او مقابله وقوله (النسوان) اى عندهنّ او محاذيهنّ ويجمع على نساءٍ ونسوة مشتق من التأنّس او الأنس او المؤانسة لانّ آدم صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حوّاء آنس بها وسعى لها فمن هذا تجد الرجال تسعى الى النساء وتميل اليهنّ لانهنّ غاية المطلوب وريحان القلوب قيل مرّ بعضهم ٢ بامرأة جميلة فانشد بقول

إنّ النساء شياطين خُلِقن لنا * نعوذ بالله من شرّ الشياطين

فاجابته بقولها

انّ النساء رياحين خُلِقن لكم * وكلكم يشتهي شمّ الرياحين

والنسوان على وزن الجروان والنسوة على وزن القهوة او العجوة والنساء على وزن الكساء وقد يأتى فيهما الفساء ايضًا والمعنى انى اخشى على نفسي واخاف مما دهاني فامضى بسرعة وانا فى هذه الحالة واهربُ اى انطلق بسرعة الى النسوان واختفى بينهنّ او اجلس بجانبهنّ او مقابلهنّ كما فى المثل الهروب نصف الشطارة وقد هرب عنترة مع قوته وشجاعته وقال أعاير بهذا ولا أقتل فالشخص اذا خاف من ظالم او احد يؤذيه وتمكن من الخلاص من بين يديه بالهروب يجوز له ذلك قال الله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة * ومما نقل من الامثال جدع قصير انفه وقصير اسم رجل وهو قصير بن سعد اللخمي صاحب جذيمة الابرش الذى اول من اتخذ الشموع واوقدت بين يديه وكانت له اخت جميلة زوّجها العدىّ احد ندمائه حال سكره فلما افاق عدي هرب بعد ان حملت فاتت فتربّى عند خاله جذيمة الابرش واحبه حبًّا شديدًا ثم انّ جذيمة اغار على ابي الزبّاء فقتله واستولى على بلاده وهربت الزبّاء الى القسطنطينية فجيّشت جيوشًا وعادت له حتى استخلصت منه بلاد ابيها ثم انه ارسل لها يخطبها فاجابته فاستشار خواصه فمنعه قصير وقال هذه مكيدة فلم يقبل وذهب اليها بالاموال والجهاز فامرت عسكرها بان يتلقوه ويحيطوا به حتى يفردوه من عسكره ففعلوا فلما رأى قصير ذلك ركب فرس جذيمة

٢ هو على ما قيل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٥

منه بعد الاسم شمع

الأبرش وكانت تسبق الريح فهرب بها فقبضوا جذيمة وأدخلوه عليها فكشفت له عانتها وكانت تركتها سنة وقالت أجهاز عروس ترى فقال بل جهاز أمة بظرا فأمرت الجواري أن يفرشن له نطعا وأجلسوه عليه وفصدوه في جميع عروقه حتى فرغ دمه فمات ثم ان قصيرا سعى في اخذ ثاره بحيلة جدع أنفه واذنيه وذهب إليها مستجيرا من عمرو ابن اخت جذيمة الأبرش لانه تولى المملكة بعد خاله فقبلته واحبته وملكته ثم انها أرادت غزو عمرو فقال لها عندي من السلاح والاموال شئ كثير فجهزته ليأتيها بذلك فجاء لعمرو وقال له قد أصبت الفرصة وأعطاه ألفي رجل بسيوفهم في صناديق مملوءة ذهبا وسبق قصير فأخبرها بذلك فجلست في محل عال تنظر للجمال بأحمالها فلما دخلت الجمال فتح الصناديق وخرجت تلك الابطال بسيوفهم وكان في يدها خاتم مسموم فلحسته وقالت بيدي لا بيدك يا عمرو فصارت مثلا وكان ذلك قبل مبعث عيسى عليه السلام فان قيل لاي شئ اختار الناظم الهروب عند النساء دون الرجال مع أن النساء لا يقدرن على دفع الاذى والضرر ولا منع من يؤخذ من بينهن لضعفهن وعدم مقاتلتهن فما حكم ذلك قلنا الجواب من وجهين الأول لما دهمه هذا الامر واتاه الديوان على حين غفلة وارتخت مفاصله وحصلت له حالة الهم على روحه كما تقدم ولم يستطع النهوض ولا المسير الى أحد من الرجال يختفي عنده او الى محل بعيد عن القرية يتوارى فيه لشدة خوفه وكثرة هراره على نفسه وضراطه عليها ايضا اذ هو من لوازمه كما سيأتي ورأى هؤلاء النسوة قريبا منه او من محله فتوارى بينهن * الثاني يفهم منه انه كان ضعيف القلب جبانا لا يقدر على المخاصمة ولا المضاربة ولا على شئ من امور الرجال وخشي أن يمضي الى احد من الناس او من اقاربه فيدل عليه النصراني فيأخذه ويشوش عليه وينتقم منه لأن الفلاحين ليس لهم امان ولا عشرة حسنة مع بعضهم خصوصا الأقارب كما تقدم فكل شئ له من جنسه آفة كما قيل

ولكل شئ آفة من جنسه * حتى الحديد سطا عليه المبرد

وأيضا النسآء غير متهمين بهذا الأمر فاذا رآهن أحد قد اجتمعن فى محل لايشك أن بينهن رجل الا آن ظهرت له قرائن تدل عليه وربما منعه الحياء منهن عن التفتيش وقد توارى سيدنا حسان رضى الله عنه عند النسآء فى بعض الغزوات لجبنه وقلة شجاعته كما هو مذكور فى السير فاتضح الجواب * ثم انه لما كان هروبه عند النسآء يحتاج لشئ يواريه من الاعداء ويستره عن الاعين قال (والتف بالعبا) اى وقت جلوسى بين النسآء او بجانبهن او قبالهن التف بالعباء او ارقد بعد لى فيها لاطرد عنى الوهم بالتفافى بها فان الخائف اى شئ رآه توارى فيه سواء كان عباءة او ثوبا او شيئا يواريه عن الاعين بل ربما تزيا بزى النسآء واختفى من عدوه ونجاه الله تعالى منه كما اتفق ان بعض الملوك كان كثير الطلب لرجل من العصاة ليقتله فقيل له هو فى القرية الفلانية فارسل له بعض الامراء بطائفة من العسكر فدخلوا القرية واحاطوا بها فلما عرف الرجل انهم يريدون اخذه للملك تزيا بزى النسآء وخرج فى جمع منهن ينوح ويبكى ويصيح وهن ينحن معه فقال الامير ما بال هؤلاء النسوة سلوهن عن حالهن فاقبل جماعة وسألوهن فقلن مات لنا ميت فى القرية الفلانية ونريد التوجه اليه فخلى سبيلهن فذهبن والرجل المطلوب بينهن ولم يعرف الامير حاله الى ان جاوز العسكر ومضى الى حال سبيله ونجاه الله تعالى من ذلك الملك * ومثل هذه الواقعة ما اتفق لى انى كنت فى سفينة مسافرا من بلدى شربين لمصر فلما جاوزنا قرية تسمى مسيد الخضر واذا بغلام جميل الصورة عليه ملبوس حسن فى زى خدمة الامراء وهو يصيح على رئيس السفينة خذنى ويتذلل له ويتداخل عليه انه يأخذه وهو فى كرب عظيم فامتنع رئيس السفينة من اخذه وخشى ان يكون خلفه احد يفتش عليه او يأتى فى اثره وكان فى السفينة ثلاث من النسآء وفيهن امرأة كبيرة فقالت يا ريس غلام مكروب يسألك فى اخذه فلم لم تجب دعوته ولا ترحمه ادخل البر وخذه وانا اصنع له حيلة تواريه عمن يطلبه واخفيه بين بناتى ولا يعرفه احد فسمع الرئيس كلامها واخذ الغلام فلما صار فى السفينة

اخبر انه كان فى خدمة بعض الامرآء وانه استغفله وهرب ولا بد من مجيئه خلفه
فقالت له هذه المرأة اقلع ثيابك فقلعها فاخذتها واخفتها فى حوائجها والبسته
لبس النسآء واجلسته بجانبها فبينما نحن فى هذه الحالة واذا بامير راكب على فرس
وهو يركض بها ركضا شديدا وخلفه رجال ومماليك حتى صار قبالة السفينة
وقال للريس ادخل البر حتى افتشك فانه هرب لى غلام فى هذه الساعة ومعه الف دينار
سرقها فقالت له المرأة ادخل ولا تخف فدخل البر وصار كل من فى السفينة فى
خوف من هذا الحال فطلع الامير واعوانه وفتش السفينة والمرأة تقول
هنا شئ ما رأيناه قط وانما رأينا غلاما يجرى من بعيد الى الجهة الفلانية
فمنعه الحيآء وعدم الشك فطلع من المركب ولم يظفر بشئ واما الغلام
فانه مكث معنا فى المركب الى ان طلع مصر وذهب الى اهله سالما والناظم
لما رأى هذه العباءة اندرج فيها والتف بها واللف هو الاندراج فى الشئ
واللف به مرارا ويطلق على الاكل بلغة اهل الريف يقال فلان لف مترد عدس
او مترد بيسار بمعنى انه اكله ويقال داهية تلفك مثلا فالناظم اندرج فى
العباءة المذكورة ليوهم من رآه ان هذه عباءة ملتفة ولا يشك ان داخلها
احدا والعباءة كسآء عريض طويل يعمل من الصوف له خطوط مختلفة الالوان
يجعلها اهل الريف فراشا فى الصيف وغطاء فى الشتاء فهى مناسبة للفصلين
وهى افخر ما عندهم من الفراش والغطآء وقد ورد لفظ العباء فى قول سيدنا
الحسين رضى الله تعالى عنه نحن اصحاب العبا خمستنا * قد ملكنا شرقها والمغربين
والعباءة مشتقة من عب المآء لانها تعبه اذا القيت فيه او من عبوب البحر ايام النيل
او من ابو عبيه كنية لبعض الفراريج الصغار تكنيه نسآء الارياف بها وصدرها
عب يعب عبا وقوله (ويبقى) اى عند هذه الحالة التى انا فيها وهى انسهال الطبيعة
وسيلان المراد على نفسى من عدم الامن وشدة الخوف وانا ملفوف فى هذه العباءة ومندرج فيها
(ضراطى) اى صوت الريح المتلائم فى بطنى من اكل العدس والبيسار عند خروجه من ضربات
الاعضاء ورجفان القلب (شبه) اى يشبه صوت قرع (طبل) وهو جلد مركب
على خشب او نحاس تقرع عند المواكب والتمام الحرب له دوى شديد ودبيب زائد

وكله حلال الا الكوبة وهى طبلة صغيرة محصورة الرقبة وتسمى ايضا بالدرابكة وطبل الرق يستعمله ارباب الملاهى وكذلك الزمر كله حرام الا النفير وقوله (عنيف) اى شديد الضرب يقال فلان عنف فلانا بمعنى انه ضربه او ادبه والمعنى ان صوت هذا الريح الخارج من بطنه المسمى بالضراط يشبه صوت طبل يضربه رجل بقوة وشدة فالصفة راجعة للضارب لا لنفس المضروب او ان مراده بالطبل العنيف الكبير مثل النقارة ونحوها لكونه لا يعرف غيرها والحاصل من هذه العبارة ان الضراط فيها على اربعة اقسام الاول ضراط يخرج رقيقا ضعيف الصوت ممتدا بصوت ضعيف * الثانى ضراط يجول فى البطن بقرقرة ثم يخرج ريحا من غير صوت * الثالث ضراط يخرج ممتزجا بالغائط وصوته يشبه صوت قلة الماء عند امتلائها * الرابع ضراط يخرج بعنف وله صوت عال يفزع القلوب وهو الذى نبه عليه الناظم وصرح به ولكل قسم من هذه الاقسام الاربعة سبب يتولد منه فالاول سببه ارياح لطيفة تتولد فى بطن الانسان فتخرج على حسب حالها وضعفها من بين الاليتين بصوت رقيق بحسب لطفها ورقتها للطف المآكل قال الشاعر

خرج الضراط من الجيب برقة * ولطافة لوجود لطف المآكل

وهذا ينشأ من اصحاب الاجسام اللطيفة وارباب المآكل الخفيفة والثانى ضراط يجول فى البطن بقرقرة وربما وقف فى وسطها فلا يتحرك حتى يكاد يهلك صاحبه ثم ينتقل الى اركان البطن بقوة انتفاخ وعلو قرقرة فيتولد منه الضرر وهذا يسمى عند الاطباء ضراطا لا ينضج وسببه من المآكل الغليظة واذا نضج اسرع فى الخروج وقبل نضاجه اذا خرج منه شئ يكون فساء وفى هذه الحالة يكون خروج الضراط نادرا قال الشاعر (يخلط فى المأكول طول نهاره * وفى الليل تلقى بطنه يتقرقر) * كما اتفق ان رجلا اتى الى طبيب فقال احس فى بطنى معمعة وقرقرة فقال له اما المعمعة فلا اعرفها واما القرقرة فضراط لا ينضج فاذا كان الريح يجول فى البطن من غير قرقرة مع شدة وجع يقال له مغص يعالج باكل شئ من الشيح او الصعتر المغلى بالسكر فطورا وربما مكث يوما كاملا او ليلة كاملة

كما اتفق لابن الراوندى عفا الله عنه انه اصابه هذا المغص ليلة كاملة فبات يسأل الله تعالى ان يفرج عنه بفسوة تخرج منه فلم يتيسر له ذلك فخرج من الصباح يتوكأ على عصاه فسمع رجلا يقول اللهم ارزقنى الف دينار فقال له يا سقيع الذقن انا طول ليلى اطلب منه فسوة فلم يعطها لى يعطيك الف دينار وتركه ومضى ولهذا يقال مغصة قليلة الفسا (قال المسعودى فى مروج الذهب) فى ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ونعود الى مراتب الملوك ونسوق ما بقى من الممالك على البحر الحبشى الذى شرعنا فى وصف من عليه الى ان قال فى آخر ذلك وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم انهم لا يرون حبس الريح فى اجوافهم لانه داء يؤذى ولا يحتشمون من اظهاره فى سائر احوالهم وكذلك قال حكماؤهم ان حبسه داء يؤذى وان ارساله شفاء ينجى وان فى ذلك العلاج الاكبر وان فيه راحة لصاحب القولنج والمحصور وان فيه دواء للسقيم المطحول ولا يحتشمون الضرطة ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا وذكر هذا المخبر عن الهند ان السعال عندهم اقبح من الضراط وان الجشاء على وزن الفساء اقبح منه واستشهد هذا المخبر على صحة ما حكاه عن الهند باستشهاد القول فى ذلك بين كثير من الناس حتى ذكر ذلك عنهم فى السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك قوله

قد قال ذو العلم الفصيح الهندى * مقالة ينتج منها قصدى
لا تحبس الضرطة مهما حضرت * وخلها وافتح لها ما استفتحت
فان اذى الداء فى امساكها * والروح والراحة فى اخراجها
والقبح فى السعال والمخاط * والسوء فى الفساء لا الضراط
اما الجشاء ففساء صاعد * ونتنه عن الفساء زائد

وان الريح واحد فى الجوف وانما تختلف اسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب الصعداء يسمى جشاء وما يذهب الى اسفل يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال الصفعة فى مؤخر الرأس والقفا واحدة وانما اختلفت اسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين

وادم

وان الحيوان الناطق انما كثرت علله وتعددت امراضه كالقولنج واوجاع
المعدة وغير هذه العوارض بحبس الريح في جوفه وتركه اظهاره في حال هيجانه
وتفرق الطبيعة لدفعه واخراجه وان سائر الحيوان غير الناطق انما سلم مما
ذكرنا من الامراض في المعترضات من العاهات لسرعة خروج ما يعرض من الادواء
في اجوافها وعدم احتباسها وان الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين
كديمقراطيس وفيثاغورث وبقراط وجالينوس وغيرهم من حكماء الامم لم
يكونوا يرون حبس شئ من ذلك لعلمهم بما يتولد من آفاته وان ذلك يعلم
بالطبيعة ويدرك بضرورة العقل وانما استقبح ذلك اناس من اصحاب
الشرائع ومنعت منه الملوك ولم يجر ذلك في عاداتهم * وقال المسعودي
في مروج الذهب كان المعتصم يأنس بعلي بن الجنيد الاسكافي وكان عجيب الصورة
لطيف الحديث فيه سلاسة اهل السواد فقال المعتصم لمحمد بن حماد اذهب
بالغداة الى علي بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يزاملني فأتاه فقال ان امير المؤمنين
يأمرك ان تزامله فتهيأ لشرط مزاملة الخلفاء فقال علي بن الجنيد وكيف
أتهيأ أهيئ رأسا غير رأسي ام اشتري لحية غير لحيتي ام ازيد في قامتي انا متهيئ
قال لست تدري بعد ما شرط المزاملة الخلفاء ومعادلتهم فقال علي بن الجنيد
وكم هي هات ما عندك يا من تدري قال له ابن حماد وكان اديبا ظريفا شرط
المزاملة المؤانسة بالحديث والمذاكرة والمناقلة وان لا تبصق ولا تمخط
ولا تسعل ولا تتنحنح وان لا تتقدم الرئيس في الركوب اشفاقا عليه من الميل
وان تتقدمه في النزول فمتى لم يفعل المزامل هذا كان كالمثقلة الرصاص التي
تعدل بها القبة وان لا ينام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة
حال من هو معه وما هو راكبه لانهما اذا ناما جميعا فما حال من لا يشعر بمثله
فلما اكثر عليه من هذه الشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول اهل السواد آ
واحراه اذهب فقل له ما يزاملك الا من امه زانية فرجع ابن حماد وقال
للمعتصم ما قال فضحك المعتصم وقال جئني به فجاءه فقال يا علي أبعث اليك
تزاملني ولا تفعل فقال ان رسولك هذا الازعر جاءني بشروط حسبنا الشانئي

فقال لا تبصق ولا تفعل كذا وكذا وجعل يمطمط في كلامه ويفرقع في حكاية
ويشير بيديه ولا تسعل ولا تعطس ولا ولا وهذا لا يتم لي ولا اقدر عليه
فان رضيت ان ازاملك فاذا جاءني الفساء فسوف عليك وضرطت ايضا
واذا جاءك انت فافس او اضرط علي ولا ليس بيني وبينك عمل فضحك المعتصم
وذهب به الضحك كل مذهب وقال نعم زاملني على هذه الشروط قال نعم حبا
وكرامة فزامله على بغل فسارا ساعة وتوسطوا البر فقال علي يا امير المؤمنين
حضر ذلك المشروط فما ترى قال ذلك اليك اذا شئت قال نحضر ابن حماد
فامر المعتصم باحضاره فلما حضر قال له علي اقبل حتى اسارك فلما قرب منه
فسا وناوله فم كمه فقال ادخل رأسك في كمي فانظر ما هو فادخل رأسه
فشم رائحة الكنيف فقال لم ار شيئا ولكني لو اعلم ان جوف ثيابك كنيف
ما قربت منك والمعتصم قد غطى فمه بكمه وقد ذهب به الضحك كل مذهب
ثم جعل يفسو فساء متصلا وقال لابن حماد قلت لي لا تسعل ولا تبصق
ولا تمخط فلم افعل ولكني آخرا عليك قال فاتصل فساؤه بالمعتصم فصار
يخرج رأسه من العمارية ثم قال للمعتصم قد صحبت قدرا فيه خراء فقال المعتصم
وقد رفع صوته حين كثر عليه الضحك ويلك يا غلام الساعة اموت من الضحك
ثم انه اجازه بجائزة سنية والثالث ضراط يخرج ممتزجا مع الغائط
وسببه ان الارياح عند خروج الخارج تمتزج به وتتلاءم معه وتخرج هي
واياه عند قضاء الحاجة خصوصا مع لين الطبيعة فيظهر منها اصوات
متقطعة غير ممتدة كبقبقة قلة الماء عند امتلائها وهذا يحصل مع
نفخ البطن ولين الطبيعة من تناول المآكل المهضمة وكثرة نزولها بسرعة قال الشاعر

اذا ما خلا الانسان في بيت غائط * فلاحت بلا شك تسارع نفخته
فمن كان ذا عقل فيستر ضارطا * ومن كان ذا جهل ففي وسط الحنه

وقد يخرج الضراط له صوت رقيق يشبه صوت دندنة المردن ورنته وقت غزل النساء
وقد خرج من بعض الشعراء فلاموه فقال (ذي بنت بطني خرجت تعيط *
تدندن كالمردن في برمته) ومن يقل لي اكتم ضراطك * اجعل خراي على لحيته)

قوله اذا ما خلا الخ الذي احفظ
اذا اكل الانسان من خبز رز * تحركت الارياح
ويعقل فيستر [illegible]

فجعل البطن مثل الأم وجعل الضرطة فيها مثل البنت التي فارقت امها وصارت
تعيط وتدندن كالمردن لمفارقتها اياها فمن هذا يعلم انه معذور ومن لم
يعذره يكون جاهلاً بحاله ويكون خراه في لحيته (ويحكى انه دخل ابو الاسود
على معاوية فضرط بين يديه فضحك معاوية فقال يا امير المؤمنين لا تخبر
بها احداً فلما خرج من عنده دخل عمرو بن العاص فاخبره معاوية بما كان
من ابي الاسود فلما رآه عمرو قال له يا ابا الاسود ضرطت بين يدي امير المؤمنين
فلما دخل على معاوية قال له الم اسألك ان لا تخبر بها احداً فقال معاوية
ما علم بها احد غير عمرو فقال اياه الذي كنت احذر ولكن انت لا تصلح للخلافة
قال كيف فقال اذا لم تكن لك امانة على ضرطة فكيف تؤمن على دماء المسلمين
واموالهم فضحك معاوية ووصله * وقد يأتي الضراط على حين غفلة عند
حمل شيء ثقيل او وثبة فاحشة او تحرك للقيام بشدة ولكن لا يمتد له صوت
مثل غيره وهذا اخف ضرراً مما سبق * كما اتفق ان اعرابياً ضرط على حين غفلة فلاموه
فانشد يقول ضرطت فما احدثت في الناس بدعة * ولم يأت استي منكراً فاتوب
اذا كانت الاستات تضرط كلها * فليس علي في الضراط رقيب
واتى رجلان الى قاض فتقدم احدهما فتظلم من صاحبه وشكى قصته
فبينما هو يتكلم اذ ضرط فالتفت الى استه وقال لها اما ان اتكلم انا او انت
وحكى نفطويه عن حكيم بن عياش الكلبي انه اجتمع عند عبد الملك وفود
الناس من قريش والعرب فبينما هو في المجلس اذ دخل عليهم اعرابي وكان عبد الملك
يعجب به فسر عبد الملك وقال هذا يوم مسرور واجلسه الى جانبه ودعى بقوس
رمى عنها واعطاها من على يمينه فرمى عنها حتى اذا صارت الى الاعرابي
فلما نزع فيها بقوة ضرط الاعرابي فرمى بها مستحياً فقال عبد الملك ذهبنا
في الاعرابي وكنا نطمع في أذنه واني لأعلم انه لا يسكن ما به الا الطعام
فدعا بالمائدة وقال تقدم يا اعرابي لتضرط وانما اراد لتاكل فقال له الاعرابي
قد فعلت إنا لله وانا اليه راجعون لقد امتحنا هذا اليوم والله لاجعلنها مذكرة ٢
يا غلام ائتني بعشرة آلاف درهم فجاءه بها فاعطاها للاعرابي فلما صارت له

تسلى وانبسط ونسى ما صدر منه فانشد حكيم بن عياش الكلبى يقول

ويضرط ضارط من عبد قيس * فيحبوه الامين بها بدورا
فيالك ضرطة جرت كثيرا * ويالك ضرطة اغنت فقيرا
يود القوم لو ضرطوا جميعا * وكان حباؤهم منها عشيرا
ايقبل ضارط الفا بالف * فاضرط اصلح الله الاميرا

قال فتبسم عبد الله واجاز حكيم بن عياش بمثلها * وقيل اقبل الصغيرى على مجلس بعض الامراء واراد ان يتكلم فضرط فولى خجلا فانشد بعض من سمعه يقول

قل للصغيرى اذا ولى على عجل * من ضرطة اشبهت نايا على عود
فانما هى ريح لست تملكها * اذ انت لست سليمان بن داود

وهذا كله من باب الحلم والتستر وابداء العذر عن المجالس فى الحضرة اذا ضرط فيها قهرا عليه لما يعتريه من الخجل والضحك عليه ممن لا يعذره ولهذا يلغز فى الضرطة ويقال

ومولودة لم تعرف الطمث امها * وليس لها روح ولا تتحرك
تقهقه منها القوم من غير نظرة * وصاحبها من عارها ليس يضحك

واما اذا كان الضراط باختيار الشخص لا لعلة ولا لمرض فانه يكون من القباحة وسوء الادب والازدراء بالمجالس فى الحضرة فلا يليق بالضارط فيها ان يفعل ذلك ولو اراد به المزح مثلا فذكر فى كتاب نزهة الابصار فى اخبار ملوك الامصار انه خرج الرشيد الى الصيد وانفرد من عسكره والفضل بن الربيع معه راكب خلفه فاذا هو بشيخ راكب على حمار فنظر اليه فاذا هو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل اين تريد ايها الشيخ قال حائطا لى فقال هل لك ان ادلك على شئ تداوى به عينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما احوجنى الى ذلك فقال له الفضل خذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكماة فصره فى قشر جوزة واكتحل به فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكا الشيخ على قربوس سرجه وضرط ضرطة طويلة مزعجة ثم قال هذه اجرة وصفك وان نفعنا الكحل زدناك فضحك الرشيد حتى كاد ان يسقط عن دابته (ويحكى ان هارون الرشيد وجعفر مرا ببغداد فوجدا رجلا بعينيه احمرار فقال الرشيد

بجعفر ماهذا يا جعفر قال هذا رمّال فقال لابدّ من اختباره فتوجّه اليه جعفر فقال ما صنعتك فقال ما ترى من الاصطلابات والادوية فقال لم لا تداوى عينيك قال داويتهما فلم يفد فقال اصف لك دواء ينفعك فقال قل قال خذ ثلاثة اواق من عروق الهواء وثلاثة اواق من منقوع الماء ودقهما فى هون من الثلج واكتحل بهما فقال ذلك الرمّال حامرة آنفا * ثم اتى اليه الخليفة وقال له ماذا تصنع فقال ما ترى فقال بى امراض اخبرك بها فقال له قل قال بشعر ذقنى مغص وما آكله من الطيبات ينزل من اسفل خبيثا وبباطنى ظلمة فقال اما ما بلحيتك من المغص فعليك بالموسى واما ما تاكله من الطيبات فينزل خبيثا فكله خبيثا ينزل خبيثا واما ما تراه من الظلمة بباطنك فعلّق على باب صرمك قنديلا لاجل ما ينوّر على استك وبطنك * وقد شاهدنا فى بلاد الارياف ان الشخص اذا ضرط فى مجلس على حين غفلة يحصل له منهم غاية الاذية والضرر ويلزمونه بطعام يفعله لهم وربما جعلوا له علامة فى الحائط التى يجلس بجانبها من جص او جير حتى يراها كل احد ويعرف انه ضرط بهذا المكان وربما خرج من القرية بهذا السبب من كثرة ما يلومونه على ما فعل وكل هذا من كثافة طباعهم وسوء اخلاقهم وقلة معذرتهم للضارط وعدم تسترهم عليه فعلى كل حال ان الضارط من غير اختيار معذور وخصوصا اذا كان كتم الريح يشوّش عليه وكان فى مجلس فلا بأس بضراطه فيه وينبغى مسامحته لهذه العلة * ورأيت فى بعض الكتب ان سبب ما لقب حاتم نفعنا الله به بالاصم ان امرأة جاءت اليه تسأله عن حاجة فلما تكلمت خرج منها ريح بصوت فخجلت وسكتت فقال لها حاتم اعلى صوتك بالكلام فانى رجل اصم وكان كلامه لها من باب التستر عليها ففرحت المرأة وظنت انه لم يسمع منها الضراط فاشتهر بذلك رضى الله عنه * واتفق لى انى كنت اهوى غلاما جميل الذات لطيف الصفات فصيح اللسان رطب البنان بديع الجمال رخيم الدلال وانا مشغوف بجماله راغب فى وصاله وكنت اترقب ان اخلو به ساعة من الزمان وان يجمعنى السعد واياه فى مكان

إلى ان صدفته في روضة بالمشموم طابقه ونخيلها باسقه وطيورها بالتغريد
ناطقه يرفل في ثياب العز والامداد وكل صدفة خير من ميعاد فبادينه
بالسلام وابديت له الغرام وسألته الجلوس فاجاب وما احلى اجتماع
الاحباب فلما استقر بنا الجلوس واردت ان اتملى بقده المأنوس بين
هاتيك الرياض الزاهر والروائح العاطر واحظى بحديثه العذب الرائق
وبنطقه الشهي الفائق اذا اقبل علينا جماعة من ارباب الذوات الكثيفه
والطباع العنيفه وجلسوا من غير طلب وخاضوا في الحديث من غير ادب
فخجل الغلام منهم واطرق واعتراه الوهم والحنق واراد ان يتحرك للنفاد
فخرج منه صوت من غير اختيار فضحكوا عليه وقاموا منصرفين وعليه
بالقول لائمين فنظر الي بطرف كحيل ووجه جميل وقال ما تقول في لوم
هؤلاء الارذال فانشدت اقول بارتجال (لاموا الحبيب وما دروا * قصد الحبيب بما فعل
لما ازدرى جلاسه * ورأى بهم ذاك الثقل) (ورأى التفوه معهم * بلطيف لفظ كالعسل
فيه الخسارة اذهم * اهل الكثافة والملل) (ناداهم من استه * بلطيف صوت قد حصل
كيما يناسب حالهم * ومقامهم ذاك الاقل) (فتنفروا عن مجلس * حاوي الغزال مع الغزل
يا حبذا من ضرطة * فيها ذهاب للعلل) (رقت وراق محلها * من العواذل والعذل
والحمد لله على * ذهابهم قد رحل) (فاضرط وغن وانبسط * واشطح وطب يا ذا البطل
في روضة يا حسنها * بها السرور قد وصل) (فكلما ترضى به * فالعبد عنه ما عدل
لكن بحق المصطفى * غيري فلا تأخذ بدل) فتبسم عن ثغر كأنه عقود الجمان
ومال علي بقد كأنه غصن البان وقال لا وحق من فلق الحبه وغرس في فؤادك
شجر المحبه لا اكون في يميني حانث ولم يدخل بيننا مدى الدهر ثالث ولم ازل
واياه على هذا الحال حتى لحق بذي الجلال * ومن اللطائف ان السلطان
قانصوه الغوري مر يوما في شوارع مصر مختفيا هو والوزير فسمع رجلا
من ارباب الدخول يقول لآخر مثله تفتخر علي يا فلان وانا اقدر اصور النعمان
من طيزي فقال الملك لوزيره علي بهذا الرجل فاحضره بين يديه فاخبره
الملك بما سمع منه وقال له ليس الخبر كالعيان لا بد من فعل ما التزمت به

فقال له تعفونى يا ملك فان الرجل فى المخاصمة يقول ما شاء قال لا بد من
صدق مقالتك والا قتلتك فقال تعطينى الامان قال لك ذلك فقال
يكون فى محل خال قال نعم فتحول الملك الى قاعة الجلوس واحضره وطاب معه
فى الكلام وقال له افعل ما بدا لك وكان السلطان الغورى له دراية بهذا
الفن والف فيه بعض رسائل فقال له اى نغمة تريد فقال الحجاز مثلا
فحرك اليه وصنعها ولم يزل يفعل نغمة بعد اخرى حتى اتى على جميع النغمات
ونهزاتها ولم يترك شيئا يلام عليه فتعجب منه الملك وقال له مثلك لا يكون
الا رئيس مصر فى هذا الفن ثم انه اجازه بالف دينار وجعله رئيسا على
ارباب الدخول كلهم ويقال انه جد اولاد العنتر المشهورين الآن * وما حكى
انه حضر بعض الخياطين عند بعض الامرآء ليفصل له قباء فاخذ يفصل
والامير ينظر فلم يتهيأ له ان يسرق شيئا فضرط الخياط فضحك الامير حتى استلقى
على قفاه فسرق الخياط من الثوب ما اراد فجلس الامير وقال يا خياط اضرط اخرى
فقال الخياط لا لئلا يضيق القباء * وقد اجتمعت برجل يقال له ماضى
الضراط كان على غاية من الدين والورع واللطافة والدخول وكان يحفظ
القرآن حفظا جيدا وكان ضراطه مصنوعا يفعله بابطه وكان يفعل به
اى نغمة كان ويعمل منه اشغالا ونحو ذلك وكان بهذه المثابة اعجوبة لكل
من رآه وسمعه يضحك الجماد وكان مشهورا عند الامرآء مقبولا عند العظماء
عفا الله عنه * (فائدة فشروية) سمعتها من بعض اهل الخلاعة وهو ان ابليس
لعنه الله يضرط فى كل يوم خمس ضرطات يفرقها على خمسة انفار اولهم من يركب
زوجته ويزورها اضرحة الاولياء والمقابر والثانى من راى اثنين يتسارا
وادخل نفسه بينهما وهذا يسمى عويل المصاحبة والثالث من راى اثنين يتضاربا
وادخل نفسه بينهما فيقع غالب الضرب عليه كما فى المثل ما ينوب المخلص الا
تقطيع الثياب والرابع من يمشى فى الطريق ويلتفت من غير حاجة والخامس
مجبوس الزوجة وقس على امثالهم * ويحكى انه كان لفتى من قريش جارية
فى ايام ثروته فعلمها كل الفنون حتى صارت بارعة اهل زمانها

فقعد به الدهر فباعها الى الحجاج بالكوفة فوقعت منه بمنزلة عظيمة فقدم عليه فتى من اولاد عمه من ثقيف فانزله بمنزله فدخل عليه ذات يوم والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج لها فعلم انها شغفت به فوهبها له فاخذها ودعا له وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت وصار لا يدرى الى اين ذهبت وبلغ الخبر الحجاج فنادى برئت الذمة ممن رأى وصيفة صفتها كذا وكذا فلم يلبث قليلا حتى أوتى بها فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندى من احب الناس فاخترت ابن عمى شابا حسن الوجه بعد ما رأيتك تسارقيه النظر فعلمت انك شغفت به حبا فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت يا سيدى اسمع قصتى ثم اصنع ما انت صانع فقال تكلمى فقالت كنت للفتى القرشى فقعد به الدهر فاتى بى الى الكوفة قاصدا اليك لتشترينى حتى اذا قربنا منها دنى منى فواقعنى فسمع هدير الاسد فوثب قائما واتى الاسد وقتله ثم اتى الى وما برد ما عنده من الانعاظ وقضى حاجته وان ابن عمك هذا لما قام الى وواقعنى سقطت فأرة من السقف فضرط وغشى عليه فرشيت عليه الماء وهو لا يفيق فخفت موته فيتهمنى فهربت خوفا منك فما ملك الحجاج نفسه من الضحك وقال ويحك اكتمى هذا ولا تعلمى به احدا فقالت على ان لا تهبنى اليه ثانيا * فان قيل ان الضراط صوت وقد عرفوا الصوت بانه هوى منضغط بين قالع ومقلوع او قارع ومقروع وليس هنا قارع ولا مقروع انما هو يخرج من الاست عند انفتاح الاليين وتحركهما فما الحكم قلنا الجواب ان يقال ان هذا لا يتاتى الا على التعريف الثانى وهو ان الصوت هواء يتموج بتصادم جسمين فاتضح الجواب * فان قيل ان فى قول الناظم ويبقى ضراطى شبه طبل عنيف اشكال من حيث انه اذا كان ضراطه يشبه صوت الطبل الشديد يكون كل من سمعه اقبل عليه وعرفه وظهر حاله واستدل بهذه الحالة عليه النصرانى وغيره فلا فائدة فى اختفائه بين النساء ولا فى اندراجه فى العباءة فما الحكم قلنا الجواب ان الناظم ما ذكر حصول الضراط له بهذه الصفة الا بعد لفه فى العباءة

فهو وان كان قويا وله صوت عال فلقوة اندراجه ولفه في العباءة لسمع منه الضراط كصوت الطبل وهذا مثل رجل محبوس في جب عميق مثلا ومعه طبل يقرعه فلا يسمع منه الا القليل وان كان ضربه شديدا فيكون سماعه قاصرا على نفسه او على من يكون واقفا على باب الجب او قريبا منه فالعباءة حكم الجب وهي اضيق لاندراجها ولفها عليه ولو كان الضراط فيها قويا لا يظهر حسه من الخارج الا ضعيفا او انه من باب الغلو في الشيء كما قال الصفي الحلي في بديعيته   عزيز جار لو الليل استجار به * من الصبح لعاش الناس في الظلم او يقال ان هذا الضراط وان سمع منه بالصفة التي ذكرها لا يتوهم انه رجل مخنث بل ربما يظن انه رجل او امراة يقضي حاجة فلا يكون فيه مظنة للتهمة فعلى كل حال لا اشكال في كلامه فاتضح الجواب   قلت ولم ار من صرح بهذه العبارة وجعل الضراط فيها على هذه الاقسام وعرفه بهذه التعاريف غيري * ثم ان الناظم نبه على ان عمره قد انقضى وزمانه قد مضى فيما لا طائل تحته ولا فائدة فيه لشدة فقره وقلة كسبه فقال

ص (ويا ذوب عمري في الخراج وهمه * تقضى ولالي في الحصاد سعيف) *

ش قوله (ويا ذوب) الواو عاطفة بحسب ما قبلها والياء للنداء وذوب هذه لفظة لها اشتقاقات فشروية ومعاني مختلفة * فاما ان تكون مشتقة من دأب الانسان وهو شانه وحاله الذي هو مهتم به والمعنى انكم تعلمون يا اخوان ان دأبي طول عمري مع ما حصل لي من الهموم سابقا في حساب وفكر وتعب شديد مما علي من الخراج وما ينشا من همه اي خراج الارض وهو المال المكتتب على تحت زرع الارض وما يخرج منها في كل عام فلا يفي بما علي من المال لزيادته وقلة الزرع ولضعفي وشدة فقري وقلة من يسعفني في الزرع والقلع فلهذا تقضى عمري وانا في هذا الحال الى آخره * او انه من الدب ليلا على الولد الامرد اذا رقد بين جماعة ولم يتمكن منه الفاسق فيصبر عليه حتى ينام ويدب عليه على حين غفلة فما يشعر الا والاير قد دخل غالبه او كله فيخشع خوف احد يتحرك او خشية الفتنة حتى يقضي الفاسق مراده وربما عاتبه الامرد عتابا

لطيفًا او شتمه شتمًا خفيفًا فيقول له قدّر الله وانا عبدك مثلًا واني هلكت في حبّك الى ان تقضي القضيّة على احسن حال قال بعضهم مواليًا

دبّيت ليلًا على من للملاحه حاز * بقيت راكب على ظهره وشبه الباز
لمّا انتبه من منامه قال من دا افاز * بوصلنا قلت اعمى حبس بالعكاز

وما الطف قول بعضهم

وما حرّ قلبي باخفانه * رشًا ما دري قدر ما قدرما ❀ واضرم نار الاسا في الحشا * ولم يشتك ضرّ ما ضرّما
وسلّم قلبي الى صدّه * فيا ليته سلّ ما سلّما ❀ وقد كان قدّم احسانه * ولكنه قدّ ما قدّما
وقد هدّ بنيان صبري به * وما واحد هدّ ما هدّما ❀ وحرّم ما حلّ من وصله * وفي مهجتي حرّ ما حرّما
وقد عزّ ممّن احبّ الوفا * وما احد عزّ ما عزّما ❀ عجبت لفيض دمعي به * اذا ما جرى او همى او هما
فسلّمت امري به للقضا * وحزت به اجر ما اجرما ❀ وقد رقم الحسن في خدّه * فلله رقّ ما رقّما

وقال آخر

شكوت الى الحبيب انين قلبي * اذا جنّ الظلام فقال انا
فقلت له اظنّك غير راضٍ * بما كابدت فيه فقال انا
فقلت له اترضى انّ قلبي * باثقال الغرام فقال انّا
فقلت له اتحكم مثل هذا * على اهل الغرام فقال إنّا

إعلم انّ الأولى فعل امر من الانين والثانيه بمعنى نعم والثالثة مركّبة من إن الشرطية وانّا فعل ماضٍ والرابعة انّ واسمها وقال آخر

جلّ الذي اطلع شمس الضحى * مشرقةً في جنح ليل بهيم
وقدّر الخال على خدّه * ذلك تقدير العزيز العليم ❀ بدر ظننّا وجهه جنّة * فمسّنا منه عذاب اليم
ينفر كالريم الا فانظروا * الى بخيل وهو عندي كريم ❀ لمّا انحنى جا وانثنى * يهزّ للعشاق قدًّا قويم
عجبت من فرط دلال وقد * بدا الى المعوجّ والمستقيم ❀ داوى حنيني يا طبيب الهوى * وخلّني انّي بحالي عليم
مخصره واهٍ واردافه * ثقيلة واللحظ منه سقيم وقال آخر

صيّرني في كلّ وادٍ اهيم * من خطّ قلبي منه هاء وميم ❀ فتًى يشبه ريم الفلا * يا طول شوقي من بخيل كريم
لم آنس من وحشته ليلة * خلّتني ارعى دجاها البهيم ❀ نظرت حتى بها نظرةً * فقال حسبي انّي سقيم
شوقًا لمن لست على حبّه * بصابر لكنّ قلبي كليم ❀ لا اسمع اللوم على حبّه * أعوذ بالله السميع العليم
في شرعه وحكم الهوى * دمع نزوح وعذاب مقيم ❀ وثابت الودّ ربيع الحشا * يأتي الى بقلب سليم

يادوغمة تجنى بالحاظه * فيجتنى حلو الرضال النعيم * كن كيف شئت وعن مهجتى * فلا تسأل عن صخا الجحيم
والمعنى انى اكون على حين غفلة فيدب على هم الخراج وتعبه والحسابة فيه فيمنعنى
الراحة فى معاشى والسرور فى اوقاتى وهكذا طول زمانى كما يدب الفاسق على
الامرد فما يشعر الا وقد علا فوق ظهره ونال مقصوده كما تقدم * او انه من دبيب
سم العقرب يعنى ان الحساب فى هذا الامر فى الليل والنهار يتولد منه غم يسرى
على القلب ويدب فيه دبيب سم العقرب فى سائر الجسد * او انه مشتق من الدب
بضم الدال وهو حيوان غليظ الجسم غزير الشعر بليد الطبع ليس فى الحيوان
ابلد طبعا منه الا ان عنده قوة ادراك عن غيره كما فى المثل بلادة الدب غلبت
فطانة القرد وعجيبة منه انه اذا رأى جماعة يريدون صيده يلصق شعره على
صمغ الشجر فيمتزج الصمغ بشعره ثم يتمرغ على الرمل حتى يصير شعره يابسا
كالحجر فلا يؤثر فيه ضرب النشاب ولا غيره ويكون وقاية له ففى التبلد
فى الامور ضرب من الراحة واختبار للعقول قال الشاعر

تبالد تزن عقل الرجال ويظهروا * اليك امورا انت منها بخابر

والمعنى ان كثرة الهم من حساب المال وهم الخراج صيرتنى فى حالة تشبه
بلادة الدب وعدم حركته فى السعى لعدم المكاسب وقلة البركة فى الزرع
وشدة الفقر وتواتر الطلب على فى كل ساعة فانا محروم من لذات الدنيا
ولم يفدنى ما انا فيه شئ قال بعضهم (اصبحت لا شغل ولا عطلة *
فريدا من صفقة خاسره) وما مثل الا روغاياته * انى لا دنيا ولا آخره)
فلا ارى فى الزرع بركة فى ابتدائه لقلة التقاوى وضعفى عن اصلاح الارض
لان الارض لا يقوم بزرعها الا الفلاح القوى المتيسر خصوصا لما زاد
عليها الآن من المظالم وزيادة الخراج والعوائد المكتتبة على الفلاحين
والمغارم فالزرع وان ورد ان فيه تسعة اعشار البركة لا يفى بهذا القدر
من كثرة الظلم واما فى الزمن المتقدم فلم يكن عليه عوائد ولا كلف ولا مغارم
ولا شئ مما هو موجود الآن بل كان الشخص يزرع الارض وكان خراجها
شيئا يسيرا ولا يعرف وجبة ولا غرامة ولا شيأ من ذلك قط وكانت البركة حاصلة بزيادة

والارض كلها عامرة بالزرع والناس في غاية الخير وسعة الرزق والكسب *

ومما روي انه اعترض رجل المأمون فقال انا رجل من العرب فقال له ليس بعجيب فقال اريد الحج فقال الطريق امامك قال ليس لي نفقة قال قد سقط عنك الفرض قال قد جئتك مستجدا لا مستفتيا فضحك وبرّه بجائزة *

ومن النوادر ان الاصمعي مرّ بحي من احياء العرب فوجد صبيا يلعب مع الصبيان في الصحراء ويتكلم بالفصاحة فقال له الاصمعي اين اباك فنظر الصبي اليه شذرا ولم يجبه فقال له اين ابيك فلم يجبه فقال له اين ابوك فقال له فاء الى الفيفاء لطلب الفيء فاذا فاء الفيء فاء *

ولما دخل المأمون مصر وسار في قراها كان يبنى له في كل قرية تكية يضرب عليها سرادق والعساكر من حوله وكان يقيم يوما وليلة فمرّ بقرية يقال لها طا النمل فلم يدخلها لحقارتها فلما جاوزها خرجت اليه امرأة عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهي تصيح فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقف لها وبين يديه التراجمة من كل جنس فذكروا له ان القبطية قالت امير المؤمنين نزل في كل ضيعة وترك ضيعتي ولم ينزل بها والقبط تعايرني بذلك وانا اسأل امير المؤمنين ان يشرفني بحلوله في ضيعتي ليكون لي الشرف ولعقبي ولا يشمت الاعداء بي وبكت بكاء كثيرا فرق لها المأمون وثنى عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وقال له كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفواكه والعلوفة وغير ذلك مما جرت به العادة قال كذا وكذا فاحضرت امه جميع ما ذكر وزيادة وكان مع المأمون اخوه المعتصم وولد العباس واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضي داود فاحضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ثم احضرت هي للمأمون من فاخر الطعام واللذيذ شيئا كثيرا حتى انه تعجب من ذلك فلما اصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها عشرة وصائف مع كل وصيفة طبق مغطى فلما عاين المأمون ذلك ورآها قال قد جاءتكم القبطية بهدية الريف فلما وضعت ذلك بين يديه

وكشفت الاطباق فاذا هى ملآنة ذهبا فاستحسن ذلك وامرها باعادته الى بيتها فقالت لا والله هذا هدية لك يا امير المؤمنين فتأمل الذهب فاذا هو ضرب عام واحد كله فقال هذا عجب ربما يعجز بيت مال الناس عن مثل ذلك فقالت يا امير المؤمنين لا تكسر قلوبنا وتحقرنا فقال ان فى بعض ما صنعته لكفاية ولا يجب التثقيل على احد فردى مالك عليك بارك الله لك فيه فاخذت قطعة من الارض وقالت يا امير المؤمنين هذا واشارت الى الذهب من هذا واشارت الى الطينة التى تناولتها من الارض ثم من عدلك وانصافك يا امير المؤمنين وعندى من هذا شئ كثير فامر به واخذه منها واعطاها عدة ضياع واعطاها من قريتها طا النمل مائتى فدان بغير خراج وارتحل متعجبا من كبر مروءتها وسعة حالها فانظر الى كثرة ما كانت الارض فى الزمن الماضى تعطى زراعها من الخير والبركة وسعة الرزق وكله من عدم المظالم وكثرة العدل وقلة الحوادث * واول من احدث بمصر مالا سوى الخراج احمد بن المدبر لما ولى خراج مصر فانه كان من دهاة الناس ابتدع بدعا كثيرة منها انه حجر على الاطرون بعد ما كان مباحا لجميع الناس وقرر على البهائم مالا وسماه المراعى وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصائد فانقسم من حينئذ مال مصر الى خراجى وهلالى وعرف المال الهلالى بالجديد * وقال سيدى ابو بكر الطرطوشى دخلت على الافضل بن امير الجيوش وهو ملك مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد على السلام نحو ما سلمت ردا جميلا واكرمنى اكراما جزيلا وامرنى بالدخول الى مجلسه والجلوس فيه فجلست طويلا وابتدرت قائلا ايها الملك ان الله سبحانه وتعالى قد احلك محلا شامخا وانزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه واشركك فى حكمه ولم يرض ان يكون امر احد فوق امرك فلا ترضى ان يكون احد اولى بالشكر منك وان الله تعالى قد الزم الورى طاعتك فلا يكون احد اطوع لله منك وليس الشكر باللسان انما هو بالفعال والاحسان * واعلم ان هذا الذى اصبحت فيه من الملك

انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه النعم فان الله سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير* واعلم ايها الملك ان الله تعالى اتى الدنيا بحذافيرها سليمان عليه الصلاة والسلام فسخر له الانس والجن والشياطين والوحوش والطير والبهائم وسخر الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم واغث الملهوف اعانك الله على نصر المظلوم وجعلك غوثا للملهوف وامانا للخائف* قال رضي الله عنه ثم اتممت المجلس بان قلت قد رحت شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت لي الاقامة فيها غير هذه المملكة اي مصر ثم انشد يقول (الناس اكيس من يحمدوا رجلا * حتى يروا آثار احسان) وقوله (ولا لي في لحصادها سعيف) اي ولا ارى من يسعفني في حصاد الزرع عند انتهائه ولا من يعاونني على تحميله على الجمال ونزوله في الجرن ودرسه ودراوته وحصاد الزرع هو ضمه بآلة من حديد او قلعه من اصله اذا بلغ الاستواء ويبس حبه وطاب سنبله ونشف وآل الى السقوط فيعجلون عليه بالحصاد وقد شبه الآدمي بالزرع فانه في ابتدائه يكون خضرا نضرا زاهيا كذلك الشخص في حال نشأته وصباه اذا كبر وترعرع يكون على هذه الصفة فاذا طاب وآن اوان حصاده انتهى زمانه وكذلك الآدمي اذا صار كهلا ودهمه الشيب آن اوان انقضاء عمره فان الشيب نذير الموت ولهذا يقال للرجل اذا دهمه الشيب طاب الزرع اي قرب موته ودنا حصاده ويطلق الزرع على الحسي والمعنوي فالحسي ما تقدم ذكره والمعنوي مثل فعل الخير مثلا يقال زرع فلان الجميل اي فعله مع غيره قال الشاعر

(ازرع جميلا ولو في غير موضعه * ما خاب قط جميل اينما زرعا
ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذي زرعا)

ومن الحكم من فرش رقد ومن زرع حصد وكل زارع يحصد ما زرعه من خير او شر قال الشاعر

غدا توفى النفوس ما كسبت * ويحصد الزارعون ما زرعوا * ان احسنوا احسنوا لانفسهم * وان اساؤا فبئس ما صنعوا

قيل لما ظلم احمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها ونفعنا بها وبركاتها يشكون اليها من ظلمه وجوره قالت متى يركب قالوا في غد فكتبت له رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا احمد يا ابن طولون فلما رآها ترجل فناولته الرقعة من يدها فقرأها واذا فيها مكتوب ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب اوجعتموها وكبود جوعتموها واجساد اعريتموها فمحال ان يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فعدل لوقته رحمه الله ثم ان الناظم نبه على مصيبة اخرى من انواع الظلم ابتلي بها هو وغيره من اخوانه الفلاحين والبطالين وغيرهم فقال

ص (ويوم يجي العونه على الناس في البلد * تخبيني في الفرن ام وطيف)

ش قوله (ويوم) بالتنوين وعدمه في هذا البيت (يجي العونه) وهو اوان حفر الشواقي وضم الزرع وحفر القني مما يحتاج اليه في هذا المعنى والعونه انما تكون في بلاد الملتزمين التي فيها الاوسية وهو ان غالب الملتزمين اذا اخذ قرية او كفرا من كفور الريف يزرع فيها او في الكفر جانبا من الارض والبقية يعطيها للفلاحين بخراج معلوم ويسمى هذا الجانب الذي يزرعه زرع الاوسية فيرسل ثيرانا واخشابا ومحاريث وما يحتاج اليه ويجعل له على ذلك وكيلا ومحلا معدا لاخشابه وبهائمه ويقال لها دار الاوسية ويوكل من يصرف على البهائم وغيرها بحساب وضبط فاذا احتاج الامر لشيل الطين من الآبار او لحفر القني او ضم الزرع امر المشد بالقرية او الكفر رجلا يقال له الغفير فينادي العونه يا فلاحين العونه يا بطالين فيخرجون عند صبيحة النهار جميعهم ويسرحون للحفر او لكل ما يأمرهم به كل يوم من غير اجرة الى ان يفرغ الحفر والضم وكل من تراخى او تكاسل عن الشروع اخذه المشد وعاقبه وغرمه

دراهم معلومة وبعض البلاد تكون العونة فيها على رجال معروفين بالبيوت مثلا فيقولون يخرج من بيت فلان شخص واحد ومن بيت فلان شخصان بحسب ما تقرر عليهم قديما وحديثا فلا ينفك من عليه العونة منها وان مات جعلوها على ولده وهكذا فهى داهية كبرى على الفلاحين ومصيبة عظمى على البطالين * ولله الحمد اراح الله قريتنا منها انما هى فراديط معلومة على الفلاحين لا يعرف الملتزم الا خراجها يأخذ فى كل سنة على التمام والكمال وان كان عليهم بعض عوائد ومظالم فليست كبلاد الاوسية لانهم دائما فى تعب وكدر وغرامة وسخرهم زائد والناظم كان مقيما ببلاد الاوسية فلهذا ذكر انه اذا حضرت العونة (على الناس فى البلد) اى بلد الناظم والناس هم المخصوصون بها لا كل سكان القرية ولعل الناظم كان ممن يسرح للعونة لقلة زرعه وشدة فقره وانه متى غاب ساعة عن عياله من غير كسب احتاجوا الى ذلك فلا يقدر ان يترك العونة ويذهب لشغل يكتسب منه فلهذا قال (تخبينى) اى تخفينى عن اعين الناس حتى لا يرانى احد ولا يسمع بى (فى الفرن) اى فرنه الكائن فى دارها المعد لخبز العيش ودمس القطير وطبخ البيسار والفول المدمس ونحو ذلك (ام وطيف) اصله وطيفة وذكره بلفظ المذكر لضرورة النظم وهو مشتق من الطيف وهو الخيال السارى مناما قال الشاعر

سرى طيف سعدى طارقا يستفزنى * سحيرا وصحبى بالفلاة رقود
فلما انتبهنا للخيال الذى سرى * ارى الدار قفرا والمزار بعيد

او من الطوفان او من اطواف الجلة التى تفعلها نساء الارياف فانها كانت كثيرة الشغل فى لزق الجلة وعملها اطوافا فمن هذا كنوها ام وطيف * وانما اسمها على ما قيل زوبعة وقيل خطيطة او معيكة وهى ام الناظم او زوجته او اخته * وسميت العونة عونة لاشتقاقها من المعاونة لانها جماعة تخرج لمعاونة بعضها بعضا فى شغل الملتزم ونحوه او انها اسم للجماعة المتعاونين على الشئ ولهذا يقال ناكوا فلانا الليلة عونة اى تعاونوا كلهم على نيكه دفعة واحدة فى الزريبة او الشونة ويعايرون بها الامرد ويقولون له انت

ياخوريا بقره عونتك منه دائما اى مائة نفس او انها من الماعون اسم للزلعة
الكبيرة ومصدرها عون يعون تعوينا او عان يعين اعانة قال الشاعر

فعون تعوينا وعان اعانة * وكل له معنى صحيحا وقد ورد

فان قيل ان كلام الناظم يشعر انه اذا اختفى فى الفرن يتركونه ولم يشعر به احد وهذا بخلاف ما تقدم من ان العونة لابد من الشروح اليها وخصوصا اذا كانت مقررة على الشخص من قديم الزمان او من زمن اجداده كما تقدم فما الجواب قلنا الجواب ان الناظم لما مال عليه الزمان وبقى من ضعفاء الناس وفقرائهم صار وجوده كالعدم ولا يفتكره احد وانما اراد الاختفاء خوفا من اقاربه ان يتسلطوا عليه جماعة الملتزم يؤذونه او يشوشون عليه وهذا القول يدل على ان العونة لم تكن مقررة عليه لانه كان فى ابتداء الزمان شيخ الكفر ومتصرفا فيه او انه اعتراه الكبر وصار شيخا عاجزا فاذا حضر وقت العونة اختفى فى الفرن تسترا على نفسه حتى لا يراه احد كما يقال فى المثل البعد عن الشر غنيمة وعين لا تنظر قلب لا يحزن فاتجه الجواب عن هذا الاشكال ولما فرغ الناظم من شكواه من القمل والعترة والنمل والصيبان وعداوة اقاربه وما ناله من هم الوجبة والمزاج والعونة ونحو ذلك شرع فى تمنى جملة من المآكل او رؤيتها لشدة ما هو فيه من عدم ذلك وكثرة فقره وانه لا يعرف هذا الطعام ولا يراه الا عند الناس فتمنى ان الدهر يغلط معه ويرى ذلك او يملكه ولو يسيرا قبل انقضاء عمره وابتدا بالكشك لانه افخر ماكول اهل الريف فقال

ص * (ولا هدنى من بعد هاده وهاده ❀ سوى الكشك لما يستحق غريف) *

ش قوله (ولا هدنى) اى هد حيلى وقوتى ماخوذ من هد الحائط واصله الهدم بزيادة الميم حذفت منه جريا على اللغة الريفية او انه من الاكتفاء كقول الشاعر

مليكة الحسن جودى باللقا كرما * لمغرم قلبه قد ذاب فيك اذى
افسدت قلبى فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

وقيل هد وهد مجموع هدهد بضم الهاء فيكون اسما مركبا من فعلين والهدهد طائر معروف ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام

وتفقد الطير فقال مالي لا ارى الهدهد أم كان من الغائبين لانه كان رسول الطير وكان يدله على الماء لانه يرى الماء تحت الارض بخاصية جعلها الله تعالى فيه وسئل ابن عباس رضي الله عنهما ما الحكمة في ان الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ ويقع فيه فقال رضي الله عنه اذا جاء القضاء عمي البصر * أو أنه مشتق من الهدية لمقاربة اللفظ وفي الحديث تهادوا تحابوا * ويقال اصل المحبة الهديه واصل العداوة الشكيه واصل البغضة الاسيه فالهدية لها موقع في النفس ولو كانت شيأ يسيرا * وفي المثل هدية الاحبا على ورق السداب وقال بعضهم

جاءت سليمان يوم العرض قنبرة * تهدى اليه جرادا كان في فيها
وانشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار هاديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا وما فيها

او أنه من الهذيان بالذال المعجمة وهو الصحيح ومصدرها هذ يهذ هذا او هدم يهدم هدما على اللغتين من قولهم هذك الله هدا او هدمك هدما بمعنى انه يضعف قواك ويبطل حركتك كما يبطل نفع الحائط اذا هدم ونحو قوله (من بعد هاده وهاده) بالهاء والالف والدال المهملة والهاء المربوطة فتكون كلمة محبوكة الطرفين اولها مثل آخرها اذا وقفت عليها واصلها هذا اسم اشارة الا ان السنة اهل الريف غيرتها والمعنى ان هذا هدني واضعف قواي من بعد ما تقدم اولا وهو اكل النمل والصيبان والقمل والعترة ونحو والذي أتى عقبه وهو الضرر من الاقارب وهم للنزاع والوجبة والخوف من نزول الكشاف والعونة وطلب مال السلطان والطرد في الغيط وغير ذلك مما تقدم ذكره على حد قول بعضهم (هم الفلاحين وكل ساعة في نقصا * ما انفك من هم الوجبه لما يجي مال السلطا

فالفلاح اذا كان فقيرا تجده دائما معرضا للهلاك من ضرب وحبس وعدم لذة المآكل والمشارب ولا راحة له ابدا الا ان غلق مال السلطان واما اذا بقي عليه شيء يسير فانه دائما في افكار آناء الليل واطراف النهار وطرد وتعب وهم ونصب الا ان اعطاه الله تعالى البركة في الزرع فانه يأتي من القليل كثير بحسب نيته وقت البذر في الارض وقصده ذلك الوقت انه ينتفع به هو وغيره

كأكل الطيور والدواب ونحو ذلك مع الاتكال على الله عز وجل في طلوعه وحفظه من الآفات فان الله يبارك له فيه مع مزيد الثواب لما روي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه مر بجماعة جالسين من غير شغل ولا اكتساب يسألون الناس فقال من انتم قالوا نحن المتوكلون فقال لستم كذلك انما المتوكل من وضع الحبة بين الماء والطين اذهبوا فاكتسبوا فالزارع اقوى توكلا من غيره ان لاحظ ما تقدم ذكره وقت البذر (فائدة) يستحب عند بذر الحب في الارض ان يصلي ركعتين ثم يقول الهي انا عبد ضعيف اليك سلمت هذا البذر فبارك لي فيه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى يحفظ الزرع من الآفات ذكره الامام الزاهد قال بعضهم اربعة لا يستجاب لهم دعاء رجل جلس في بيته ودعا الله ان يغنيه يقول الله له الم آمرك بالسعي * ورجل انفق ماله في معصية الله تعالى او بناء فافتقر ودعا الله ان يغنيه يقول الله له الم آمرك بالاقتصاد الم تسمع قولي والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * ورجل دفع ماله لرجل بغير بينة ثم طالبه فانكره يقول يا رب خلصني منه يقول الله له الم آمرك بالاستشهاد عليه * ورجل له امرأة سيئة الخلق يقول يا رب خلصني منها يقول الله له الم اجعل امرها بيدك اما سمعت كلامي الطلاق مرتان انتهى * ولكن نحمد الله الذي اراحنا من الفلاحة وهمها ولم تكن لآبائنا ولا اجدادنا فنحن على حد قول البهلول رحمه الله تعالى

اذا ركب الملوك على الجياد * وقد شدوا البنود على الفصاد
ركبت قصيبتي ولبست مسحي * وسرت كسيرهم في كل وادي
فلا الاجناد تطلبني بمال * ولا الديوان يغلط في عدادي

فالفلاحة على كل حال بلية اعاذنا الله والمحبين منها * وقوله (سوى الكشك) وهو في اصله مركب من البر واللبن غليظ محرك للامراض قال الشاعر الكشك ريح غليظ * محرك للسواكن * الاصل در وبر * نعم الجدود ولكن اي ولكن بئسما خلفوا ففيه اكتفاء وصفته ان يؤخذ البر وهو القمح ويغسل غسلا جيدا ويغمر بالماء ويوضع على النار ويوقد عليه حتى يلين ويغلظ الحب ويصير مصلوقا ثم يجفف في الشمس ويدش ويوضع في اناء

ويصب عليه اللبن والمش الحصير ويحرك ثم يترك اياما ثم يحرك ويوضع عليه اللبن وهكذا حتى يتخمر ويأخذ قوامه وتفوح له رائحة الحموضة ويصير على غاية من جودة الطعم ثم يزاد من اللبن لاجل خفة حموضته ثم يقرص اقراصا صغارا ويوضع فى الشمس الى ان يجف فيؤخذ ويخزن لوقت الطبخ وهذه صفة كشك بلاد البحر وهو الاجود والاحسن فى المأكول * واما كشك الكفور وبلاد الملق الذى ذكره الناظم فلا اراك الله مكروها فانهم يصنعونه بالمش الحصير وقليل من اللبن ولهذا يوجد كثير الحموضة حريف الطعم غليظ الطبع عن غيره محرك للضرورات وهو الذى يضرب لونه الى سمرة وكلما كان ابيض نقيا قليل الحموضة كان جيدا وكذلك كشك الصعيد فانه يشبه كشك الكفور فى عدم الجودة الا انهم يجعلونه مثل البنادق الكبار وفيه نوع جيد لكثرة لبنه وحسن نظافته * واما كيفية طبخه فعلى اقسام بحسب البلاد التى يعمل فيها فاهل بلاد البحر يطبخونه بالارز واللحم السمين تارة وبالدجاج او بشئ من اصناف الطيور المأكولة أخرى او يجعلونه بالارز فقط ويصيرونه ثخينا واهالى المنزلة ودمياط يطبخونه بالسمك البورى السمين واكلته بدمياط مرارا وابناء الترك يجعلونه رقيقا مائعا بقليل من الارز بحيث يشرب بالملعقة ويقلون له بالخضرة والادهان والسمن ويطبخونه باللحم الضانى السمين فيكون له لذة عظيمة فى المأكل وتعتدل طبيعته خصوصا مع لحوم الضأن والدجاج والارز ونحوه * واما القسم الردئ المحرك للسكون المذكور فى الشعر المتقدم فهو كشك اهل الكفور وبلاد الملق فانهم يتساهلون عند الطبخ فى غسله وتصفيته ويضعونه فى بوشة او قدرة او دست على النار ويضيفون اليه بعضا من الفول المدشوش ويقيدون عليه بالنار الى ان يأخذ قوامه ينزل لونه ويخرطون له بصلة ويضعون عليه قليلا من الشيرج ويقلون له بذلك ويغرفونه فى متارد او شوالى فخار ويفتون فيه خبز الاذرة او الشعير ويأكل الشخص منهم متردا او متردين بالمضغ واللهط ويسرح الى الغيط الى وقت المساء فيجد ما بقى منه قد جمد وظهرت فيه

فصوص الفول فيلهط منه الى ان يكتفى وهذا يسمى عندهم هراش العجائز وهو أعز مأكول عندهم وغالبهم يصنعونه فى اعراسهم كما سبق بيانه فى الجزء الاول من هذا الشرح ولا يعرفون طبخه بالارز ولا اللحم فان الارز لا يوجد عندهم الا نادرا واللحم لا يأكلونه الا من العام الى العام كما سيأتى بيانه * ونوع آخر من هذا القسم يطبخونه من غير فول بل مجرد كشك من غير وضع شئ من التقالى عليه يسمى عندهم نيرب وهذا وما قبله يولد الارياح ويحرك السواكن ويضر بالمعدة لزيادة الفول فيه لانه غليظ الطبع وكذلك القمح لانه حار رطب والمش للحصير بارد رطب والفول غليظ ثقيل فيتولد الضرر من مجموع هؤلاء الاربعة * وللكشك منافع قبل طبخه منها انه اذا اذيب بالماء وشربه المحرور نفعه وسكن التهاب معدته واذا توعك الجمل من الم الحر يسقى منه يزول ما به ولهذا يستعمله المسافرون اذا آذاهم الحر وحصل لهم الضرر منه كالحجاج وغيرهم وينفع من الضرب بالسياط طلاء وله منافع أخرى مذكورة فى كتب الطب * واما اهل الصعيد فانهم يطبخونه من غير تصفية فيكون مثل النخالة المطبوخة بالخل لا غير فهذا لا فائدة فيه وليس له طعم ولا لذة لان نفعه لا يكون الا بعد تصفيته لكن غالب مأكولهم الويكة والملوخية كما شاهدناه فى بلادهم * قيل أتى رجل من اهل الصعيد من نواحى قنا وقوص الى مصر ليشترى له جارية للخدمة فرأى جارية تباع بأغلى ثمن لمعرفتها بانواع الطعام فوقف عليها وسألها هل تحسنى الطعام مثل ما يقولون فنظرت اليه وقالت له من اى البلاد انت قال من الصعيد فقالت انت لا تحتاج الى طعام فاخر فان مأكول اهل الصعيد فى كل سنة ستة اشهر ويكه وستة اشهر ملوخيه فلا يحتاجون الى طعام فاخر غير هذا قال فتركها ومضى متعجبا (مسئلة هبالية) ما معنى اسم الكشك وما اشتقاقه وما معنى اسم النوع المطبوخ منه هراش العجائز والنوع الآخر المسمى بالنيرب وما معنى قول الناظم انه هد حيله عند مشاهدته وفر غرفه وشم رائحته (الجواب الفشروى) ان لفظة كشك هذه من الالفاظ المقلوبة التى تقرأ طردا وعكسا ومثلها كعك وشاش وباب ومثلها سر فلا كبا بك الفرس

وقلع مركب ببكر معلق * وحسك تتزوج بعجوز تنكسح * وقد ورد ذلك في
القرآن العظيم في قوله تعالى وربك فكبر كل في فلك * وغير القرآن
مثل كمالك تحت كلامك وعلق تحت قلع * ومن النظم قول الحريري

اس ارملا اذا عرا * وراع اذا المرء آسا ✿ اسل جناب غاشم * مشاغب ان جلسا

وايضا ان الكشك اذا قلبوه يكون باطنه مثل ظاهره واول الكشكة مثل آخرها
فكان فيه بعض مناسبة من هذا المعنى * او انه عند وضعه يكش ويضمر
من حرارتها * او انه من قول بعضهم اكل فلان الكشك عند فلان بمعنى
انه اكل اكلا كثيرا حتى انتفخت بطنه وصارت مثل ماجور الكشك ٣ *
او من الكشك بضم الكاف والشين وهو محل خارج من البناء المرتفع مركب
على الاخشاب تجعله الاكابر للجلوس او ان الكشكة لما صارت مدورة
كانت تشبه الكس بالسين المهملة وهو الفرج ثم انهم غيروا السين المهملة
بالشين المعجمة لقبح اللفظ واضافوا الى الكلمة كافا وقالوا كشك
ومصدره كشك يكشك تكشيكا * واما تسمية النوع منه بهراش العجائز
فالمراش في الاصل النطاح يقال مهارشة التيوس ونقار الديوك ونسب
الى العجائز لانهن في الغالب يطبخنه بشهوة ويتهارشن عنده مهارشة تضيق
منها النفوس ويظهر منها الهم والعكوس وناهيك بعجائز اهل هذه البلدة
اي مصر فانهن قسم من غيلة الجان فلاجل مهارشتهن على هذا المأكول سمي
بهذا الاسم او انه من باب عرش المعدة * واما تسمية النوع الآخر نيرب
فلعله من النيروب على وزن الديلوب او انه نسب الى رجل اسمه نيرب على
وزن ارنب حيوان يحل اكله فخشوا الالتباس في اللفظ فقالوا نيرب او انه
فعل في زمن النيروز فقالوا اولا نيروز فالتبس الامر في اسمه واسم الزمن
فابدلوا الزاي الذي في آخره بالباء الموحدة وقالوا نيرب * وقول الناظم
انه هد حيله وقد يشاهده ورآه وشم رائحته انما هو من عدم ملكه له وقلة
طبخه عنده وانما كان رؤيته له عند الجيران فهذا اذا رآه قد قرب للاكل تحسر وتأسف
وخصوصا (اذا استحق غرفه) اي لما ينتهي طبخه ويريدون غرفه وتفوح رائحته عند غرفه

٣ او من قولهم للكلب كشكش اذا ارادوا ان
يلقوا له شيئا ياكله ينادوه بهذا اللفظ صح

وأصله

واصلها يستحق التعريف بآلة التعريف لكن حذفها وزاد اليا المثناة من تحت لاجل النظم وغريف على وزن كنيف وهى نقرة معدة للخرآء فيها فعند مشاهدة لهذه الحالة وشم الرائحة يتهد حيله لان همة الشخص طول عمره بطنه وفرجه كما قال ابن عروس

في ديوانه

الناس في اتنين تاهو * والاجواد شاعت ثناها ۞ ماضرني غير بطني * واللي مدلي حداها

(وقال بعضهم مواليا) يادنية الشوم طول عمري وانا اشتد
في هم دي البطن اللي ماتريح حد * اضال ابكي واجي بعد العشا اتمد * اقوم في الصبح القي ما بنيتو انهد

فمن هذا لم يقنع الناظم لانه لا يقضي مراده ولا هو من قسم النحل يعيش بالشم بل من الادميين وخصوصا من اهالي كفور اهل الريف يفطر الشخص منهم على متردا ومتردين من الكشك او البيسار او الفول المدمس كما سياتي فلا لوم عليه في هد حيله (يحكى) انه ركب المامون وخرج الى البر وكان راكبا خلفه بختيشوع الحكيم فقابله عليان المجنون فقال له يا بختيشوع جس بطني فجس بطنه وقال له ما تشتكي يا عليان فقال اشتكي استي فقال له بختيشوع خذ لك عود اراك ودسه وراك فهو صالح لذلك فرفع عليان فخذه وضرط ضرطة مزعجة وقال له خذ ذا بذاك ونحن نجرب دواك فان عافانا الله زدناك حمدناه وزدناك فخجل بختيشوع وضحك المامون حتى استلقى على قربوص سرجه

* ويذكر هذا المعنى تذكرت ما اتفق لبعض الاطباء انه جلس في بعض الاسواق ينظر في امراض الناس فاتى اليه رجل لطيف الذات من ابناء النعم وذوي الرفاهية وجلس بين يديه ومد يده اليه وقال له انظر ما بي فجس نبطه وقال له ما اكلت اليوم فقال يسيرا من الفول الحار على الفطور فقال له خذ لك يسيرا من الزبيب والسنامكي ويسيرا من السكر واستعمل ذلك فان فيه الشفاء ثم قام من عنده واذا برجل من اهل الريف كانه في الشكل هبل او سارية فوق الجبل اقبل على ذلك الطبيب وهو ينفخ نفخ الدبيب وقال له انظر ما بي من المرض بلطف فانا احس في بطني بضعف وقدم له يدا كانها خشبة وساعدا كانه حطبة فجس الطبيب يده وقال له ما الذي وما اكلت اليوم في فطورك وغداك فقال له انا احكي لك وحق تربة ابو طبله

وتربة معيكه بن ابو جعران انا لما قمت من النوم لقيتا فراقى ام معيكه
حاطا بوشة بيسا كبير وكنت اسحب العيش ولهطت منها مترد متردين
قبل ثلاثه فقال الطبيب وغير ذلك فقال ورحت لجارتنا ام دعموم لقيت
عندها فول مدمس كلت منه مترد متردين قبل ثلاثه قال الطبيب نعم وغير ذلك
فقال ورحت الغيط وعند الحاج عنطوز غيط فول كلت شمال شمالين
قبل ثلاثه ورحت من الغيط عند مشد الكفر فلقيت عنده كشك لهطت
منه مترد متردين قبل ثلاثه ورايت عندنا عرس في الحارة وعزموني فدخلت
عندهم طبخوا طبيخ كتير كلت من ذاك الطعام مترد متردين قبل ثلاثه
ورايت عندنا خيارا اصفر كلت كوم كومين قبل ثلاثه وجيتك تنظر حالى
فانى يا حسن في بطنى ضعف * فقال له الطبيب خذ لك من الزبيب
قنطار قنطارين قبل ثلاثه ومن السنامكى قنطار قنطارين قبل ثلاثه ومن
السكر قنطار قنطارين قبل ثلاثه فقال له انا سمعتك بتوصف للى جالك
قبلى شئ قليل من السنامكى والسكر والزبيب وبتوصف لى قناطير فقال له
يا اخس الفلاحين وهل يلحلح هذه الاكلات الا هذه القناطير وهذه الشربات
ثم اخذ خرجه على كتفه وحلف انه لا يجلس بقية يومه في السوق من اجل هذا
الفلاح فانجه المقال عن معنى هذه الاحوال وانفضحت العبارات عن
هذه الخرافات * ثم ان الناظم لما فرغ من ذكر هذا الطعام تشوق الى
شئ اغلظ منه لانه مستعمل عند اهل الريف في غالب ماكولهم فقال

ص * (ولا شاقنى الا المدمس وريحتو ❀ على من جتو جفنه بنص رغيف)

ش قوله (ولا شاقنى) من الشوق وهو رقة القلب وميله للمحبوب قال
سيدى عمر بن الفارض (ولولاكم ما شاقنى ذكر منزل) وشاق على وزن قاق وهو
صوت الاوز ومصدره شاق يشوق شوقا مثل فاق يفوق فوقا والمعنى
انه يقول ما كثر شوقى وزاد هيامى الى شئ من جميع الماكولات (الا المدمس)
ماخوذ من الدمس لكونه يدمس في النار كما سياتى ومصدره دمس يدمس
تدميسا فهو دامس ومدموس وهو نوعان ريفى وحضرى وان كان

الاصل واحدًا وهو الفول لان الشئ يشرف بشرف الاماكن تارة وبالصناعة
الجيدة اخرى * فاما الحضرى وهو ما يباع فى مصر وغيرها من المدن
فانهم يأخذون الفول النقى الابيض ويتركون منه الردئ ويضعونه
فى قدر كبار واسعة البطون ضيقة الافواه بقدر ما تسع يد الرجل عند
ما يتناول منها ثم يصبون عليه ما يغمره من الماء الحلو الرائق ويسدون
فم القدر بشئ من الليف النظيف او اناء طاهر سدًّا محكمًا ويدمسونه
فى نار قوية خالية عن الادخنة والروائح الكريهة مثل جورة الفرن او نحوها
ويتعهدونه بالسقى كلما نشف ليلة كاملة حتى يطيب ويعتدل وتذكو رائحته
ويصير فى غاية من حسن الاستواء يشبه فى لونه الذهب وفى استوائه العجوة
مثلًا بحيث كل من رآه يشتهيه فاذا ارادوا اكله اشترى الشخص ما يكفيه
واضاف اليه السمن البقرى او الزيت الطيب او قشطة اللبن واحضر الخبز
الابيض النظيف وربما كان مصحوبًا بالكراث الاخضر والليمون او الخل
فمن هذا يصير غذاءً جيدًا تكتسب منه الاعضاء وتمتلئ به المعدة ويحصل
قليل من الصّعتر خصوصًا اذا شرب القهوة بعد ذلك فيكتفى الشخص به
عن غيره من الصباح الى المساء * واما النوع الريفى وهو مدمس اهل الريف
الذى اشتاقه الناظم فلا اراك الله مكروهًا ان كنت ما ذقت الحرا فكل منه
فانهم يأخذون الفول ان كان جيدًا او رديئًا على سائر اوصافه وربما
اخذته زوجة الفلاح من مدود البقرة او الثور ونحت ما عليه من آثار
التبن ووضعته فى اناء يقال له البوشة وغمرته بماء كدر متغير الرائحة
من ماء البرك او من مقاطع النيل التى تبقى ببلادهم وتسد فم البوشة بساس
الكتان او بخرقة فيها الدناسة وتضعها فى فحماة الفرن الملآنة من الدمس
والجلة وربما وضعت ذلك عليها ايضًا وتسد عليها باب الحماة المذكورة
الى الصباح ثم انها تخرجها وقد امتزج الفول بروائح الزبل والجلة وذلك
الماء المتغير واسودّ وصار مثل زبل الغنم وظهرت له رائحة كريهة ثم تأتى
بالمترد وتكب البوشة وتفرغ الفول فيه فيجلس الشخص منهم مثل الكلب الكاسر

وتأتيه بخبز الأذرة اليابس اوخبز الشعير ويقطع ويبلع حتى تمتلئ بطنه فاذا اكلت منه فكانك تاكل من زبل الغنم مثلاً ومنهم من ياكله بالكراث او البصل وربما اضافوا عليه شيئاً من القمح او الحمص والاكابر منهم يجعلون عليه شيئاً يسيراً من الزيت الحار ومنهم من لايكون عنده خبز فيستف منه عند الصباح من غير صلاة ولاغسل وجه الى ان يكتفي ثم يشرب فوقه الماء حتى يصير كالزق المنفوخ ويسحب النبوت ويخرج مثل النعوت فهذا مدمم مشوم وصفة ماكولهم اراحنا الله من ذلك وقوله (وريحتو) اصله ورائحته حذفت الهمزة للضرورة او جرياً على اللغة الريفية اى شاقنى رائحته الممتزجة بالروائح المتقدمة للذتها عندى اذا اشتهيتها فاشتاق اليها والى الاكل من الفول ولكن لا اجد ذلك لشدة فقرى والريحة مشتقة من الريح او من الروائح او من ابو رياح الذى تلعب به الصبيان او من الراح وهو من اسماء الخمرة قال الشاعر

فالراح كالريح ان مرت على عطر * تزكو وتخبث ان مرت على الجيف

او من قولهم موالياً (ايش قلت ياصاحبي في رايحه جيه * من تحت حيطا وهيا ميتة حيه * وقاعده واقفه على الارض مرمية * وجايزه راقده فوق حيط مبنيه) وهي المعدية على حد قول بعضهم (المعديه رايحه جيه * تنسحب بالخيط * يا ابو جبه * الا انا زلبيت)

ثم ان الناظم لما ذكر اشتياقه الى المدمس ورائحته وان من لازم ذلك الاكل منه لان النظر والشم لايقوم مقام الاكل والمضغ فتمنى ذلك وقال (على) هذا من حروف الجر الا انه وقع هنا فعلاً والمعنى علا وارتفع قدر (من جتو جفنه) او على جسمه وقوى جنانه وشبع جوفه واشتهر بالقوة بعد الجوع قال الشاعر

* علا زيدنا يوم اللقا راس زيدكم * بابيض ماضي الشفرتين يماني

او يكون حرف الجر على بابه ويكون المعنى على كل حال ان من جاءته اى حصلت له جفنة ملآنة من هذا الفول المدمس ولو كانت هدية او صدقة وحصل له معها (نص رغيف) حذفت الفاء من نصف جرياً على اللغة الريفية كقولهم نص فضه او من قبيل الاكتفاء او من جهة الترخيم كقوله (افاطم مهلاً بعد هذا التدلل) فيكون يومه ابرك الايام واسرها ان حصل له هذا الامر وطلبه نصف رغيف

وَلَمْ يَطلب رغيفا كاملاً فيه اشارة الى انّ الفول المدمس حامى الطبيعة
فلا يحتاج الى خبز كثير فيكون نصف رغيف كافٍ له مع كثرة الاكل
من نفس الفول من غير خبز مثلاً او من باب سدّ الجوع * وللجفنة اناء كبير
معد لوضع الطعام * قال بعضهم يصف قوما بكثرة الاكل واتساع البطن
(كل جلف بطنه خابيه * واذا صحفته كانت خابيه) وفى نسخة اخرى بالحاء
المهملة اى حفنة من الفول المدمس والحفنة ملء كفّ الانسان مع انضمام
الاصابع بعضها لبعض لكنها بالجيم المعجمة اولى وبين جفنة وحفنة
الجناس المصحف وهى مشتقة من جفن العين لكونها حافظة للطعام
كما ان الجفن حافظ للعين ولما وضع فيها من الكحل وغيره فيسرى فى اجفانها
وتطبق عليه وتحفظه حتى تؤثر فى قوة النظر وكمال حسن الخلقة بذلك *
قال الشاعر * اقول لمقلتيه حين نامت * وكحل العين فى الاجفان سارى
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار) ومصدره جفن يجفن جفنة
ثمّ انّ الناظم تمنّى مأكولا آخر من غالب مأكول قريته اغلظ طبعا من المدمس فقال

ص * (على من رأى البيسا فى الجرن جالو ❀ ويدعس ولو كان بالقلب ضعيف)

ش قوله (على) تقدّم معناه فى البيت الذى قبله (من رأى) رؤية بصرية
(البيسار) وهو نوعين ريفىّ وحضرىّ كما تقدّم فى غيره فالريفىّ مركب
من شيئين الملوخية الناشفة والفول المدشوش لا غير وكيفية طبخه
عند اهل الريف انهم يضعوا فى البوشة الملوخية الناشفة وشيئا من الفول
المدشوش ويغمرونه بالماء ويضعون البوشة فى الفرن الى قرب الاستواء
فيخرجونها ويفركونها بالمفراك الى ان يأخذ منها قوامه وينهرى الفول وتفوح
رائحته فيعيدونها فى الفرن يسيرا اذا احتاج الحال الى ذلك ويزيدونها
ماءً اذا لزمها حتى يستوى ثم يقلون له بشئ يسير من الشيرج او الزيت الحار
بالبصل ويغرفونه فى شالية او مترد ويفتون فيه الخبز الشعير او فطير
الاذرة حتى يصير مثل الكرس ويأكلونه بالبصل الاخضر او الناشف فيأكل
الشخص منهم المترد الفتّ او المتردين فى الغداء والمتردين فى العشاء

ويسحب بتونه وحدوته خلف قفاه ويسرح بالبهائم او للضم او للمحرث
وهذا غالب ماكولهم خصوصا فى رمضان وقت الفطور والسحور حتى يصير
الشخص منهم كأنه زق منفوخ كما تقدم ثم ينام على الفرن بالجلة والوحل على رجليه
هو وزوجته وهما من غير صلاة ولا عبادة فتخرج الروائح فى بطونهما وتخرج من
بينهما مثل الزوابع فيكون هذا بخورهما طول ليلتهما فلا يقوم الشخص منهم
الا وجبته قد فاحت رائحتها من كثرة الفساء فيها والضراط وان جامع
زوجته تلك الليلة فيكون حظهم ضراط وعياط وفساء وشياط فهذا
حالهم فى الاكل والنكاح نعوذ بالله من طباع الفلاح * واما النوع الحضرى
فما الذه واشهاه وما اطيبه واهناه وهو ان الشخص من اكابر مصر او غيرها
من المدن التى تجلب اليها الملوخية او تزرع فيها اذا اشتهى فعلها فعلى اصناف
منهم من يأخذها ناشفة نقية من العيدان قريبة العهد من زمن تنشيفها
او ربما نشفها فى بيته ويسلمها لمن يتعاطى طبخها من زوجة او خادم فتضعها
فى دست نحاس مبيض او طنجرة رومية عليها غطاء محكم وتضع عليها الماء
العذب الزلال الرائق ويقاد عليها بالحطب الرومى حتى تأخذ قوامها فى
الاستواء ثم تفركها فركا نظيفا ثم تقلى لها بالثوم الشامى او البلدى ممزوجا
بالسمن البقرى وتضيف اليه دهن الية وتلقى عليها شيئا من البهارات كالفلفل
وما اشبهه وشيئا من الكمون لدفع ضررها ومنهم من يضيف اليها شيئا يسيرا
من الفول المدشوش ولكن يزيد فى الدهن والسمن حتى يستهلك طعم الفول
ويغلب طعم الدهن والسمن والبهارات ونحو ذلك ومنهم من يجعل مكان
الفول صغار الكباب من لحم الضان ويسمى هذا النوع بجمع الحبائب والاصحاب
ونوع آخر وهو انها اى الملوخية تؤخذ وهى خضراء نضرة بنت يومها وتخرط
خرطا جيدا وبعض ابناء الترك يفعلها من غير خرط فيصير لها لذة عظيمة
وبعضهم يحشيها باللحم ويسمى هذا النوع ملين الطبائع لما فيه من البرودة
ولطافة المأكل وسرعة الانهضام وحصول الخفة فى الجسد * ونوع آخر
وهو الذ واشهى مما تقدم واقوى نفعا واعظم ماكولا وهو اخذ الملوخية

وهى صغيرة فى ابتداء طلوعها وخرطها جيدًا وطبخها بالفراريج والأرز
مع كثرة الأدهان أو باللحم الضأن وأهل مصر يرغبون فى هذا النوع ويفعلونه
كثيرًا حتى أن الشخص منهم ينفق على طعام الملوخية فى ابتداء أمرها جملة
من الدراهم ويدعو أعز أصحابه يأكل منها وتكون عندهم ألذ من طعام الأعياد
ويتحدثون بهذه النعمة ويقولون عزمنى فلان وأطعمنى الليلة ملوخية الجديدة
بركة السنة وربما أكلوها بالخبز النظيف المقطف المقمر المخبوز بالحبة السوداء
أو الشمر فيفتون فيها حتى تتشرب بتلك الدسومات العظيمة وروائح تلك اللحوم
السمينة وهذا من جودة رأيهم وزكاء عقولهم وحبهم فى الشىء عند ابتداء طلوعه
كما يقال (كل جديد له لذة وكل قديم له هجران) ويقرب من هذا المعنى قول ابن عروس فى ديوانه
أول زمانك يعزوك * غالى وقع فى يد غانى * وان دبت باشاش يرموك * واللى جرى لك جرى لى
فان الشىء فى ابتداء طلوعه له لذة عظيمة وفرحة عند العيال * ونوع آخر
يسمى بورانى وهو أنه تقطف أوراق الملوخية ثم يقلونها بالسمن ثم يفعلون
بها كما مر ولهذا ذكر سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله به أنه يستحب
الأكل من الشىء عند ابتدائه أى ابتداء طلوعه مثل الخضراوات وغيرها من الفواكه
فان نفعه فى ابتدائه أكثر من نفعه فى انتهائه وأهل مصر على هذا القدم
يسعون فى أخذ الشىء فى ابتدائه ولا يكترثون به فى انتهائه فجزاهم الله خيرًا
عن مروءتهم وأدام سرورهم بنسائهم وطيب معاشرتهم وأعاذنا الله من
الريف وجهله وغلظ مأكوله وطباع أهله (سؤال) ما الحكمة فى تسمية
الملوخية بالفول بيسارًا وما الحكمة فى تسميتها ملوخية وما اشتقاقهما
معنى ذلك (الجواب الفشروى) على وجهين الأول أن الذى اخترع البيسار
فى الأصل كان أبوه فلاحًا يزرع الملوخيا وكان بينه وبين ولده مشاحنة
فذهب ذلك الرجل إلى غيط أبيه المذكور وسرق شيئًا من تلك الملوخية
وأتى به إلى زوجته فقالت ما تريد بهذا فقال لها قصدى أصنعه طعامًا
ثم أخذ ورقها ووضعه فى بوشة وجعلها على النار فجاء ولده الصغير
وألقى فى البوشة شيئًا من الفول المدشوش أخذه من مدود الحمارة

فامتزجت الملوخية بالفول ثم اخذ البوشة بعد استواء ما فيها وغرفه في
مترد وجلس ياكل منها فدخل ابوه وقال له ما هذا الشيء الاخضر فدلس عليه
القول وقال له هذا حشيش جئنا به من الغيط ثم بان الامر انه سرق الملوخية
من غيط ابيه فتضارب هو واياه وحلف ابوه انه لا يمكث في البلد وركب
حماره وسار الى بلد اخرى فصار ابنه ينادي ابي سار ابي سار فحذفوا الالف
من ابي وجعلوا هذا اللفظ المركب من اسم وفعل علما على هذا الطعام وقالوا
بيسار * وافادني بعض اخواننا رحمه الله تعالى وجها آخر وهو انه لما وضع فيها
الفول نادى لسان حاله ببيسار اي سار طعمي بهذا الفول طيبا والوجه الثاني انه مركب
من البسار او من البيسار من قولهم في معنى ذلك (سعيده كامزاره * وتحب طبيخ البيسار) *
واما الملوخيا فقد عرفها ابن سودون رحمه الله تعالى بهذا اللفظ الموضوع عليها
في ديوانه بقوله في هذا المعنى (ابو قردان زرع فدان ملوخيا وباذنجان) ان
هذا الاسم نبات اخضر نضر واصله يا ملوخي فاخروا حرف النداء وابو قردان
اول من سماها بذلك على ما قيل وسبب ذلك انه لما زرعه في فدانه وصلح
للطبخ ملخ منه شيئا وتركه في مكانه وذهب لبعض شانه فجاء بعض اولاده
واخذه فلما رجع لم يجده فناداه بحذف حرف النداء لظن قربه منه وقال
ملوخي فلم يجبه بشيء فاتى بحرف النداء وقبل ان يقول ملوخي اتاه ولده واعلمه
باخذه فادخل على قوله ملوخي ياء وادغمت الياء في الياء فصار ملوخيا انتهى
وتلقب بالخضيرة وتكنى بام الادهان وام الافراح وليس في الاطعمة
الطف منها ولا اكثر نفعا وقد صنف بعض العلماء في منافعها كتابا جليلا *
* واما نهي الحاكم بامر الله عنها فقيل لسيدنا معاوية رضي الله عنه لانها كانت احب
الاطعمة اليه خصوصا عند ابتداء طلوعها * وقوله (في الجرن) وهو محل درس
الفول والقمح ويطلق على الحجر المنقور الذي يدق فيه بن القهوة يقال جرن
اليوم فلان زرعه بمعنى انه نقله من الغيط ووضعه في هذا المحل على بعضه
كالكرم وصار ياخذ من حواليه شيئا بعد شيء ويدرسه بالنورج وهذا الماخوذ
يقال له عند الفلاح رميه * وقيل اصل الجرن الجرم بالميم بدل النون *

مأخوذ من جرم اللحم وهو أخذه بالسكين من على العظم ابدلت الميم نونا لقربها في المخرج والمناسبة لهذا المعنى ان النورج يجرم القمح او الفول او ما القى اليه من الحبوب ويخلصه مثل ما تخلص السكين اللحم من عظمه ويطلق هذا اللفظ على الجرم الذي يعمل من الخوص * وقوله (جالو) بالتخفيف اي جاء اليه والضمير راجع للبيسار اي على من رأى البيسار جاء اليه وهو في الجرن يدرس القمح وهو راكب النورج او وهو يحرث مثلا لانه يكون في هذه الحالة في غاية التعب والجوع ولهذا قال (ويدعس) اي يأكل بحرفة وعجلة من غير تأنى في المضغ والبلع والدعس لفظة ريفية استعملت بهذا المعنى ومصدرها دعس يدعس دعسا فهو داعس لان الاكل المطلوب تصغير اللقمة وتطويل المضغة وفي المثل صغر لقمتك وطول مضغتك يبارك الله لك في اكلتك * (مشلة هبالية) وهي ان الناظم نسب المجيء للبيسار وهو طعام والطعام لا يمكن مجيئه بنفسه ولا يتأتى ذلك فما الحكم (الجواب الفشرى) ان هذا على تقدير حذف مضاف اي جاء به رجل حامله حتى اوصله كما يقال جاءتنا السفينة مثلا اي جاء بها الملاح وكما تقول جاء في مترد لبن وطاجن مش وصحن عدس او كشك مثلا فعلى هذا لا اشكال في كلام الناظم وقوله (ولو كان) اي هذا المتمني لهذا الطعام الذي هو الناظم بمرض (القلنج ضعيف) واصله قولنج بضم القاف وجزم الواو اي سقيم والقولنج ريح يابسة تمنع البخارات تجري في الاعضاء فتكتب الانسان عند هيجانها وتمنعه الشم حتى تكاد تخرج روحه فمنها حار ومنها بارد فعلامة الحار هيجان العلة عند ملاقاة الحرارة الشديدة والانتباه من النوم وعلاجه اكل الصبر الاخضر على الريق دائما فانه يقطع هذه العلة من الجوف ويحللها وعلامة البارد هيجان العلة عند ملاقاة البرد الشديد والغيم والامطار والارياح الباردة ونحو ذلك وعلاجه ان يأخذ صبر سقطرى وحب الرشاد وفلفل وزنجبيل يابس اجزاء متساوية وقدر الجميع سكرا ابيض ويدقه دقا جيدا حتى يصير ناعما ويعمله سفوفا يفطر عليه على الريق وعند هيجان العلة فهو نافع *

ويجتنب صاحب هذه العلة الحارة اكل الاشياء الحارة وصاحب العلة البارده اكل الاشياء الباردة وخصوصا عند هيجان العلة فانه نافع ان شاء الله تعالى والمعنى ان الناظم لشدة فقره وجوعه وعدم شئ يصنع به هذا الطعام تمنى مجيئه اليه ويشبع منه ولو كان مبتليا بمرض القولنج ولو كان فى اكله زيادة ضرر عليه اذ هو من الاطعمة الرديئة الغليظة خصوصا اذا استعمله صاحب هذا المرض فانه يؤذيه اذية بالغة • فان قيل لاى شئ ذكر الناظم هذا المرض دون غيره وما سبب معرفته له مع انه من اهل الريف وما اشتقاق اسمه فالجواب القشروى انه انما ذكر هذا المرض لكونه ارياحا منعقدة فيكون من باب المبالغة فى الشئ والبيسار يضر صاحب الارياح ضررا بالغا خصوصا اذا اكل بالبصل الاخضر او الناشف فيمتلئ البطن ارياحا ويكثر فيها الفساء والضراط فيكون مرضا على مرض فتمنى ذلك لشدة جوعه ولو كان يحصل له هذا الامر او يموت فى الحال واما سبب معرفته له فلعله سمعه من بعض الاطباء وهو يصفه او سمعه من غيرهم واما اشتقاق اسمه فلعله من القوق او القويقة وهى طائر قدر الحمامة كبير الرأس ويقال لها البومة تاوى المكان الخرب وفى المثل اتبع البوم يوديك الخراب وقد يشبه الشيب ببياضها كما يشبه سواد الشعر بالغراب الاسود ومن هذا المعنى قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه

ايا بومة قد عششت فوق هامتى * على الرأس منى حين طار غرابها
رايت ذهاب العمر منى فزرتنى * وماواك من كل الديار خرابها

وبذكر البومة التى تاوى الخراب تذكرت ما اتفق لبعض الملوك انه ظلم رعيته ظلما فاحشا وكان له وزير فشكى الناس اليه وتضرروا من ظلمه فاراد ان يحتال عليه ويمنعه عن الظلم ويرشده الى العدل فخرج هو واياه يوما يريد التنزه خارج المدينة الى ان مرا على اماكن خربة فسمع الملك ذكر بومة يصيح على بومة فقال للوزير ما احسن صياح هذا الطائر على هذه البومة فقال الوزير يا ملك اتدرى ما يقول لها فقال لا وهل تعرف يا وزير لغة الطيور قال نعم فقال الملك ما يقول لها فقال يا ملك هذا عاشق لها وهو مشغوف بحبها

ويقول لها يا سيدة الطيور وبهجة الاحباب مرادى وصالك والتقرب اليك فى الحلال فقالت له لا تقدر على صداقى ولو اشغفك حبى واشتياقى فقال لها وما صداقك فقالت عشر مدائن خراب فقال لها ابشرى فان دام ملكنا هذا على حالته مع الرعية الى آخر العام خذى لك مائة مدينة خراب ففطن الملك لكلام الوزير وعلم انه فى غفلة عن الرعية وانهم فى ظلم وبليه وانه نصحه وارشده للعدل على لسان الطير فقال له جزاك الله خيرا ثم انه اظهر العدل فى الرعية وازال عنهم ما هم فيه من المظالم وعدل من وقته وساعته وارتاح الناس من تغيير حالته * ثم ان الناظم اشار الى مأكول آخر يصنع فى الريف وغيره فقال

ص * (على من قشع جفنه بليله ملانه ❀ ولو كانت بلا قلقاس يا دنديف) *

ش قوله (على من قشع) اى نظر بلغة الرياقة يقال قشعتك اى رأيتك وقشعت المحل الفلانى اى رأيته ويطلق على ميل الشئ يقال قشع السحاب اى مال وانكشف الى محل آخر * ومن العجائب ان شخصا سمع هذه اللفظة من طائر فى بعض البساتين نواحى الشام وذلك انه دخل يوما يتفرج فى بستان ويأكل مما اسقطته الاشجار من الفواكه فسمع قائلا يقول شفتك قشعتك روح فخرج هاربا وظن ان صاحب البستان يصيح عليه فلقيه رجل وهو خارج من البستان فقال له ما اعجلك فقال سمعت انسانا يقول لى كذا وكذا قال فضحك الرجل وقال له ارجع وكل ما تشتهيه ولا تخش من احد هذا طائر وليس بانسان وهذه لغته يخوف بها من يدخل البستان فعجب الرجل ودخل واكل حتى اكتفى ومضى الى حال سبيله * وقد سمعت وانا متوجه الى الحج فى البحر من الصعيد على بندر القصير سنة خمس وسبعين والف طائرا فى غيطة يقول طاب دقيق البر سبحان القديم الازل وسمعه كل من فى السفينة وذكر الحلبى فى السيرة النبوية ان غرابا كان يحفظ سورة السجدة فاذا سجد قال سجد لك سوادى وامن بك فؤادى * ومن العجائب انه اهدى لبعض الملوك طائر له اربعة اجنحة على شكل ظريف فاذا جاء وقت صلاة الفجر ذكر الله تعالى بلسان فصيح ثم يقف على راس الملك ويقول الصلاة خير من النوم مرتين ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويسكت

ومثل هذا كثير فسبحان الله القادر على كل شئ وان من شئ الا يسبح بحمده وقوله
(جفنه) تقدم معناها (بليله) اسم للقمح المصلوق المضاف اليه بعض الحمص وهذا
يباع ايضا ببلاد المدن وله لذة ولذته من اضافة الملح والحمص عليه فانه يعدل
طبعه والحمص ازكى الطعام كما ذكره بعض المفسرين فى تفسير سورة الكهف
واما البليلة المذكورة فى النظم فان اهل الريف يصنعونها طعاما وهو
انهم يضعون القمح فى البوشة الفخار وربما اضافوا عليه ما تيسر من الحمص
ويغمرونه بالماء ويجعلونه فى النار الى ان يستوى فيأخذونه ويأكلونه
بخبز الاذرة او الشعير وياكلون منه من غير خبز لانهم يجعلونه يابسا يقطع
منه الشخص بالكف ويبلع ويقلّون له بالبصل وشئ من الشيرج والاكابر
منهم يجعلون فيه بعض قلقاس وتسمى بليلة لبلها بالماء فى حال صلقها
او لرخاوتها وطراوتها ولهذا يقال للرجل الهائف المرخى الاكمام البارد
القلب بليلة لعدم اكتسابه وقلة بركته وبليلة على وزن هبيلة او عويلة
ومصدرها بل يبل بلا وقوله (ملانه) راجع للجفنة (ولو كانت) البليلة
التى هى الجفنة (بلا قلقاس) اى فلا حاجة له به انما مراده شئ يسد الجوعة
يقال له طعام والقلقاس من ماكولات فصل الشتاء وهو الذ ما يوكل
فى هذا الفصل لانه حار يابس مناسب لبرودة الزمن خصوصا فى ابتداء
ظهوره اذا اكل باللحم الضانى واضيف اليه السمن مع الخضراوات ونحو
ذلك فانه يعتدل ويصير له لذة عظيمة فى المأكل وتذهب حرارته
ويعتدل طبعه واجوده الروس الاتانى وكذلك الصوابع وهى الرفيعة
التى تشبه اصابع الآدمى لان ذلك كله سريع الاستواء واردأه الاحمر
لكونه بطئ المضغ بطئ الاستواء واذا اكل القلقاس مشويا منع الم الكبد
وسكن ضربان البواسير واكله نيئا ليس فيه فائدة ولا منفعة (فائدة)
اربع قافات تستعمل فى فصل الشتاء وهى القلقاس والقشطة والقصب
والقسطل وسمى قلقاسا لاشتقاقه من القلقسة لانه يشبه الطين المقلقس
اى اليابس لانه اذا قلع من ارضه يكون مثل قطع الطين المقلقس وهو مركب من فعلين

ماضٍ وأمرٍ قال بعضهم (فان سألوك عن قلبي وما قاسا * فقل قاسا وقل قاما) (فاشنه في اخرى) قيل لما ادعى فرعون الالوهية لاموه وقالوا له الاله لا يبول ولا يتغوط فاصطنع الموز وصار يأكله فصار لا يتغوط الا نادرا وما ذاك الا انه اخذ القلقاس وهو صغير من ارضه فصار يفلق القلقاسة ويملأها سكرا ويعيدها في الطين بحكمة دبرها فامتزجت الحلاوة بالقلقاس فنشأ منه الموز وصار على هذا الشكل ولهذا ترى اوراقه قريبة الشبه من ورق القلقاس في العرض الا انه اطول الشكل عنه هكذا في بعض كتب الحكمة وقوله (يا دنديف) اصله يا دندوف على وزن يا بعبوص قلبت الواو ياء لضرورة النظم والدندوف هو الذي يدندف من غير فائدة يقال فلان يدندف اي فلا فائدة في ذهابه وايابه ولا بركة في سعيه وكسبه او انه علم على شخص من اهل قرية الناظم كما هو معدود من اسمائهم وهو مشتق من الدندفة او من احمد الدنفه او من ندف القطن * ثم ان الناظم تشوق الى قصعة ملآنة من اي طعام كان فقال

ص * (على من جتو قصعه وهوّ بحرت * ويقعد يجرّف للحنك تجريف) *

ش قوله (على من جتو) اصله جاءته (قصعه) اي جاء بها واحد من الناس لا هي بنفسها كما تقدم فالضمير راجع الى المحذوف والقصعة اناء من الخشب مدور معد للطعام وغيره واما الذي على شكل الحوض فيقال له منسف وسميت قصعة لان الشخص اذا جلس يأكل منها يقصع ظهره اي ينحني ويأكل فيكون من باب تسمية الشيء باسم صفة الآكل منه او من قصع القمل والبراغيث وقوله (وهوّ) بضم الهاء وتشديد الواو لضرورة النظم او جريا على لغة الريف وقوله (بحرت) على وزن بيضرط فيها بيقين اي في وقت الحرث من اي طعام كان من عدس او بيسار او غير ذلك (ويقعد) فعله جيعانا تعبانا مما قاساه من مشقة الحرث وغيره (ويجرّف) على وزن يخرف او يغرف اي يكون كفه حكم المجرفة التي تجرف الشيء (للحنك) من التحنيك على وزن التحكيك او التدكيك ويطلق على الفك الاعلى والفك الاسفل من الانسان ويطلق على الفم والفاه ايضا يقال فتح فمه او فتح فاه قال صاحب البديعية رحمه الله تعالى (فمي يحدث عن سري فما نطقت * سرائر القلب الا من حديث فمي)

وقوله (تجريف) اصله بالألف لانه مصدر وسكن لاجل الروى اى يجرف الحنك الذى هو فمه تجريفا زائدا متتابعا بسرعة وعجلة حتى يكتفى ويشبع الشبع المفرط لما ناله من الم الجوع الشديد وشدة التعب المزيد وكثرة المشقة فيقضى مراده وينشرح صدره ويقوى جنانه على الحرث وغيره * ثم ان الناظم اشتهى مأكولا آخر خارجا عن الطعام المطبوخ من مأكول اهل الريف فقال

ص *(على من دعس بالعزم فى المش بالبصل ۞ ولوكا بالكرات كان ضريف)*

ش قوله (على من دعس) تقدم معناه (بالعزم) اى بالقوة والشدة لان العزم على الشئ هو الاقدام عليه بجراءة وشدة يقال فلان صاحب عزم شديد اى قوة زائدة (فى المش) اى مش الجبن القريش الازرق الذى مضى عليه زمان مستطيل حتى صار يقطع ذنب الفار من شدة حرارته وقوة ملوحته لان هذا غالب مأكول اهل الريف فى الغداء وربما اكلوه فى العشاء ايضا فيأتى الشخص منهم بالمترد للمش والخبز الشعير اليابس والبصل الاخضر او الناشف وياكل حتى تدمع عيناه من حرارة ذلك المش ورائحة ذلك البصل ويشرب عليه الماء ويسرح الغيط او يحرث او يدرس والاكابر منهم تضع عليه شيئا يسيرا من الزيت الحار وتعصر عليه الليمون خصوصا (بالبصل) المخروط فانه الذ من اكله بغيره وبعضهم ياكله بالكرات ابو شوشه فيكون اقوى فى جمع الارياح خصوصا اذا كان فى دويرة ضيقة فان الفساء يتراكم فيها حتى يملأها من اولها الى آخرها * والمش على اقسام مش حصير وتقدم معناه ومش بخيره وهو المستعمل فى بلاد المدن وله فكاهة ولذة ويقال له مش جبن حصير ومش جبن قريش وهو مش الريافة المتقدم ذكره ويقال مش جبن النور والمش على وزن الوش بلغة الريافة فان الشخص اذا شتم آخر يقول له (دم اهدم وشك) مثلا وهو مشتق من المشش وهو داء يعترى الخيل والحمير يقال (جاك المشش) اى ابلاك الله به * والاول الذى هو المش الحصير ينفع من الجرب شربا والثانى ينفع من السدد ويقوى المعدة والثالث ليس به نفع بل هو محض ضرر لا غير * او انه مشتق من المشى لانه اذا صب على الارض صار يمشى عليها

اى يسيح فيها * والبصل حار يابس وقيل رطب يقطع البلغم الا انه يضر الشقيقة وصداع الرأس ويولد ارياحا ويظلم البصر وكثرة اكله تورث النسيان وتفسد العقل * واما منافعه فانه يطرد الوباء وينفع من تغيير المياه ويفتق الشهوة ويهيج الباه ويزيد فى المنى ويحسن اللون واذا سحق وعجن بالعسل ووضع على الكلف الغليظ والقوابى والبهق الاسود نفع من ذلك واذا دق ناعما وطلى به موضع الشعر نفع داء الثعلب وهو معط شعر الرأس والاكتحال بمائه يذهب الغشاوة ويصلحه الخل واللبن اذا اكل به (ولو كان بالكرات كان ضريف) اى لانه حار لين يهيج المعدة والدم الا انه مثل البصل فى ظلمة البصر وتولد الارياح كما تقدم لكنه يشد العصب وينفع البواسير ويصلحه الاكل بالشيرج واكل البصل والثوم والكراث نيئا مكروه لداخل المسجد ان لم تزل رائحته * (فائدة) رأيت فى بعض الكتب ان جميع البقول نزلت فى مائدة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام الا الكراث * واما بصل العنصل فله خواص جيدة مذكورة فى الطب ومن العجائب ان الذئب اذا وطئه مات لوقته ولهذا ان الثعلب اذا خاف على نفسه من الذئب يأتى بالبصلة منه ويضعها على باب جحره فاذا رآها الذئب او شمها هرب ولم يأت اليه فتكون وقاية له فسبحان من الهمه هذه الحكمة وقوله (ضريف) اصله ظريف بالظاء المشالة لا بالضاد المعجمة اتى بهذا اللفظ جريا على اللغة الريفية اى كافيه الظرافة بمعنى انه يكون اخف ضررا من البصل وان كان اقوى ارياحا فانه اعظم شهوة والذ اكلا فلا بأس به اذا حضر فيكون هو المراد ثم ان الناظم اشتهى شيأ من الاشربة

فقال ص * (على من شرب مترد ملآن مطنبر ❀ من اللبن الحامض يرف رفيف) *

ش قوله (على من شرب) الشرب هو مجاوزة الماء وغيره من المائعات الفم الى داخل الجوف فهو كالاكل قال الله تعالى فكلوا واشربوا وقال تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم لا ما وضعه الانسان فى فمه واخرجه كالدخان المستعمل الآن فلا يسمى شربا حقيقة بل من باب المجاز وقوله (مترد) وهو اناء من فخار احمر اصغر من الشالية وهو غالبا اوانى الريافة خصوصا فى اعراسهم واصله مركب من فعلين مات ورد

لانه لما عمل فى ابتدائه وكسر عملوا بدله فقالوا ردّ بعدما مات ثم حذفوا الالف وجعلوها علماً وقالوا مترد وهو على وزن مقعد لا مسند فتمنى اللبن الذى داخله لا نفس المترد لانه ظرف لما حواه فلا يتصور شرب المترد بعينه وقيل سمى بهذا الاسم لتردد للخبز فيه ووضع الطعام عليه فيكون من باب تسمية الظرف بمعنى المظروف او انه عمل ببلدية تسمى ماتريد التى ينسب اليها الشيخ الماتريدى نفعنا الله به وقوله (ملآن) اى غير ناقص حتى يكون فيه القناعة من جهة الشبع والروية لان الناقص ربما استقله الانسان ولم يقنع برؤيته فتمنى ان يكون ملآناً وقوله (مطنبر) على وزن مزنبر او مطرطر يقال كبش مزنبر وزب مطرطر اى عالى عن حوافيه لشدة حموضته ويبسه يقال فلان بطنه مطنبر اى منفوخ ومات واطنبر اى انتفخ كما يقال ادم تطنبر بطنك مثلاً اى تموت وتنتفخ ويقال الشد الحجازى المعمول بالحرير الاصفر والابيض شد مطنبر وعلى قياسه الشد البلدى ولعله وصف بهذا اللفظ لكونه اذا لفه الانسان على رأسه صار كبيراً عالياً مطنبراً كما يعلو اللبن الحامض عن حوافى المترد وهو مشتق من الطنبرة وهى التحنيك بلاولا الصغا قال الشاعر

اذا كنت آلاتى وطنعكرى فى * طنبر مرقه وآعبر بالمشنوف

واصل هذا الكلام ان شخصاً من الفساق اخذ ولداً واراد ان يعمل له فرلق العار فذكه فمات الولد وشنق الرجل فقيل له كلام كثير لم يحضرنى منه غير هذا المطلع او انه من الطنبورة على وزن العصفورة قال الشاعر

ايا عصفورة البستان كم ذا تبشتى * بايك وزحلك ما فى الارض شىء

وقوله (من اللبن الحامض) قيده بالحموضة لعدم وصوله الى اللبن الحليب فلاجل هذا قال اشتهيه ولو كان حامضاً لان غيره بعيد على وخصوصاً اذا كان فى شدة الحر فان شربه يسكن عطشه ويروى فؤاده اذا كانت حموضته معتدلة فانه بارد رطب واما اذا خرج عن الحد فى الحموضة فيضر وكلام الناظم يدل على انه انما اشتهى ما خرج عن حد الحموضة بدليل قوله الآتى برفق رفيف واجود الالبان لبن البقر لانه موافق لسائر الطبائع والادواء

وقوله (يرف رفيف) اى صار من الحموضة الشديدة يرف كما يرف جناح الطائر بمعنى انه تسمع له غليان وبقبقة تحاكى رف الجناح ويرف على وزن يسف او يلف ورفيف مصدر حذفت منه الالف كما سبق فى نظائره وهو مشتق من رف الخشب الذى يعمل فى البيوت او من الرفرافة التى يعملونها قبل رمضان او اخر شعبان من الدجاج او من الاوز وغير ذلك * ثم ان الناظم تمنى شيأ آخر تستعمله اهل القرى القريبة من البحر الملح او من البحائر المالحة ونحوها فقال

س * (على من جتو ام الخلول لدارو ❀ ويعزم على اهل البلد ويضيف) *

ش فوله (على من جتو) اى جاءته بواسطة وحضرت اليه ام الخلول وهى حيوان يتكون من داخل المحار الصغير الذى يشبه اللؤلؤ يوجد على ساحل البحر الملح او جوانب البحائر المالحة وله سرعة الحركة فاذا مسه انسان سكن وصار كالحجر حتى يفارقه وهذا الحيوان منطبق عليه محارتان صغيرتان ولونه ابيض ثخين يشبه لون المنى او المخاط فيأخذونه وينزعونه من هذه المحائر او القواقع ويضعون عليه الملح والخل او الليمون وياكلونه وربما اخرجوه وهو طرى ولوثوه بالملح واكلوه وهذا اقبح انواع اكله واردأها واخبثها نعوذ بالله منه ولله الحمد والمنة على عدم الاكل منها والطبائع السليمة تمجه وتأباه وتعافه الانفس واما طبائع اهل الريف فلا تطالبنا بها فانها خبيثة ولا تطلب الا الخبيث وله عندهم لذة عظيمة وموقع فى نفوسهم الذميمة فمن له طبع سليم لا يمكن ان ياكل منه ولا يراه لان رؤيته تورث القرف فضلا عن اكله وكنيته بام الخلول لتوابل الملح والخل والليمون عليه عند الاكل وقوله (لدارو) اى دار الناظم بمعنى انه لا يتعب فى مجيئها بصيد ولا شراء بل يصبح يراها فى داره أتى بها على سبيل الهدية او الصدقة وقوله (ويعزم على اهل البلد) اى يجمعهم لهذا المأكول النفيس الذى يشبه عفش الكلاب ويضيفهم فى داره اى يكرمهم به يقال فلان عزم على فلان اى عزم فى نيته وجزم فى يقينه انه يأخذه ويكرمه او عزمه بمعنى اذن له ان يأتى الى داره ويكرمه بطعام او غيره (ويضيف) معطوف على يعزم وهل هو مغاير له

لان العزم خلاف الضيافة فيكون قد عزم بالنية اولا على ان هذا الشخص لابد من حضوره وانه ينضاف اليه اى يتبعه الى المحل الذى يريد اكرامه فيه او المعنى واحد فيكون من اضافة الشئ الى مرادفه ومصدر ضاف يضيف ضيافة او ضيوفا وسمى الضيف ضيفا لانه ينضاف الى من يكرمه بمعنى انه يكون هو واياه حكم الكلام المضاف لا ينفك عنه حتى يدخل عليه التنوين فيفصله عن الاضافة قال الشاعر

كانى تنوين وانت اضافة * فحيث ترانى لا تحل مكانيا

فانجلى المعنى الغشر وهى من البحث الهباء * ثم ان الناظم انتقل من تمنيه الى شئ آخر يقرب فى الخيانة من ام الخلول فقال

ص * (انا ان شفت عند يوم طاجن مشكشك * فهذاك يوم البسط والتقصيف) *

ش قوله (انا) يعنى ابو شادوف لا غيرى (ان شفت) الشوف ضد العمى او من الشيافة بمعنى رايت (عند يوم) فى المنزل او فى المحل الذى انا فيه او الغيط او الجرن مثلا (طاجن) اسم لاناء فخار مدور واسع الجوف يطبخ فيه السمك والارز واللحم والطير وغير ذلك ويستعمل فى سائر البلاد لكن لا يكون استواء الطعام فيه الا فى الفرن وهو مشتق من التطجين او من الطجانة او من وطء الجن لان لفظ طاجن من الالفاظ المعميات بمعنى ان انسانا وطئ جنا اى داس جماعة من الجن فيكون تركيبه من جملة فعل وفاعل ومفعول والفاعل محذوف تقديره انت اى طا انت جنا ومثله طافية اى طائفة من الناس وقسم آخر من المعميات غير ما تقدم كقول بعضهم فى اسم جماد خذ فارغ واملاه ماء * ومن النظم قولى فى اسم شحاتة

(سلب الناس دلالا * والف من بعد شح
فلث تدرى ته كمالا * تم معناك بشرح)

ولم ار فى المعميات ارق من قول بعضهم فى اسم احمد

وراكعة فى ظل باب تعلقت * بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

وقوله (مشكشك) على وزن محكحك اسم للطعام الذى تمنى رؤيته والاكل منه وهو جلود الفسيخ ياكلون لحمه وياخذون جلوده فيغسلونها بالماء ويضعونها فى طاجن ويخرطون عليها بصلا ويضيفون عليها شيئا يسيرا من الزيت الحار ويدخلونها الفرن حتى تستوى وياكلونها بالخبز وربما وضعوا عليها شيئا من الكسب المذاب بالماء يجعلونه بدل الطحينة وهذا له موقع عظيم عندهم وعند نسائهم

كأنه خاروف شوى ولهذا قال (فهداك) بالدال المعجمة جريًا على اللغة الريفية كقول بعضهم فى هذا المعنى مواليا

لك وردتين على الخدين يا هاداك * واللى بلانى بعشقك آه لو ابلاك * وحق من سبحت لو فى السما الاملاك * لو مالى كل يوم آخين ما اسلاك

وقوله (يوم) اى فهذا اليوم الذى يأتينى فيه الطاجن المشكشك هو يوم (البسط) ضد القبض اى بسط النفس وانشراح الصدر لحصول المنى وتيسير المطلوب وحصول المرغوب فيه وسد الجوعة وسرور اهل المنزل او الجماعة الحاضرين معى وقت مجيئه الى قال الشاعر

ان من اطيب اوقاتى * حين اكون مبسوطا بذاتى

(والتقصيف) عطف على البسط مشتق من القصافة يقال فلان اليوم قصيف بتشديد الصاد المهملة اى مسرور فرح ماش مشية الخيلاء متحزم بسير وسكين راخى اطراف البردة تنجر على الارض او انه لبس اليوم قميصا جديدا او ارخى فوقه البردة وهو اليوم قصيف الكفر بمعنى انه ما هناك احد فى الكفر اشلب منه ولا اعيق او انه مشتق من قصف العود وهو كسره او من قولهم قصفه تجيك او فلان جتو قصفه مثلا * (مسئلة هبالية) * لاى شىء سمى هذا الطعام مشكشكا وما معنى هذا الكلام وهذا اللفظ وما مناسبته بجلود الفسيخ (الجواب الغشروى) ان يقال ان هذا الطعام لما كان يشبه فى طعمه المش والكشك اذا خلطا معا ركبوا اسمه من مجموع الاسمين مع تغيير الحركات وقالوا مشكشك او انه مأخوذ من شكشكته المراة له بعود او بالملعقة عند قرب استوائه لتختبر حاله او من قولهم شكشكه بالابرة او انه من اللفظ المقلوب وهو شم كشك فيكون الذى اصطنعه اولا لما طبخه شمه فقال ما شم هذا فقال بعضهم شم كشكا اى شم طعاما رائحته فى الحموضة كرائحة الكشك ثم انهم قدموا الميم على الشين المعجمة وجعلوه علما وقالوا مشكشك بفتح الشين الاولى وكسر الثانية وجزم الكافين فاتجه المقال عن هذا الهبال * ثم ان الناظم اشتهى شيئا اخر من الخضر او يطبخ ويؤكل عندنا او انه وهو اطيب ماكول اهل الريف فقال

ص (متى انضر للخبيز فى الدار عندنا * واندف منها بالعويش نديف) *

ش قوله (متى) اى اجزم وانوى انى متى (انضر) بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية

وَبالظاء المشالة على اللغة الفصحى اى أنظر بعينى لا بأذنى ولا بفمى لان النظر خاص بالعين قال الشاعر (عينى نظرت وآفتى من عينى * ما يقتلنى الا سواد العين) (الخبيز) بضم الخاء المعجمة وتشديد الموحدة وتجمع الخبيز على خبوز وخبابز وخبازين وخبازات وهكذا من هذه الجموع الفشروية وثانيه خبيزة وهى المرادة بقول الناظم لرجوع الضمير اليها كما سيأتى فى قوله واندف منها وهى مشتقة من الخبز لان ورقها فى التدوير يشبه اقراص الخبز وهى تنبت فى أطراف الزرع من كثرة الامطار وفى الاراضى المنخفضة وغيرها واجودها ما كان ساقه طويلاً وورقه عريضاً شديد الخضرة وهو النابت فى جوانب الزرع او النابت بالبزر واردأها القصيرة الساق المائل ورقها الى الزرقة وهى البعيدة عن الزرع والماء وهى التى تطلع وتنبت فى المقابر وفى منخفض الارض المسبخة وهى باردة رطبة تلين الطبيعة وتفتح السدد وتسكن الحرارات وهى قريبة فى اللطف من طعام الملوخية اذا عملت بالشروط الآتية ثم ان اهل الريف يأخذون ورقها ويخرطونه مثل الملوخية ويضعون عليه الكزبرة الخضراء ويقلون لها بالبصل والشيرج ويفتون فيها الخبز الشعير ويأكلونها وهى غالب طعامهم مدة اقامتها عندهم ولا يكلفونها شيئاً ما عدا البصل والشيرج وشئ يسير من الكزبرة كما تقدم فهى غالب مأكولهم فى زمن الشتاء كما تقدم واهل بلاد البحر يطبخونها بالاوز والدجاج وغيره واهل المدن يطبخونها باللحم الضانى والدجاج ويضيفون عليها الادهان والسمن البقرى والحرارات ونحو ذلك فلا تؤكل الا بهذه الكيفية فتكون بهذا الحكم خفيفة لذيذة الطعم واما فعل اهل الريافة لها كما تقدم فوجوده كالعدم وكذلك اهل بلاد البحر فانهم ولو عملوها بالدجاج لا يضيفون لها سمناً ولا دسماً الا الارز والشيرج لا غيره وعلى كل حال فهى ارق من طعام الريافة المتقدم ذكره والذما كولها فى بلاد المدن لانهم يكلفونها فيصير لها فى المأكل لذة ولها خفة فى الهضم ومنفعة عظيمة وقالوا فى الطعام كله (كلف تجد) * قيل لما نزل السلطان قايتباى بدمياط

واجتمع بالعينى الذى بنى العينية وهى مسجد على سمة مساجد الملوك فعمل للسلطان ضيافة عظيمة وخصه بصحن من الذهب فيه دجاجتان ووضعهما بين يديه فاكل السلطان منهما فلم ير طول عمره الذ طعما منهما فقال له من صنع لك هاتين الدجاجتين فقال له جارية عندى فقال له هل من سلو عنها فقال هى ومولاها فى خدمة الملك فاهداها له فلما اتى بها الى مصر امرها ان تصنع له دجاجتين ففعلت فلم يقعا الموقع ولم يجد لهما لذة مثل اللتين اكلهما فى دمياط فعاتبها الملك فقالت له يا سيدى الذى صنع لك الدجاجتين طبخهما فى اناء من ذهب وكان ماؤهما ماء الورد والخلاف والحطب من العود القمارى وحشاهما بحارات كثيرة مع المسك والعنبر الخام وغرفهما فى صحن من الذهب فمن هذا حصل هذا فتعجب الملك رحمه الله تعالى وقوله (فى الدار عندنا) اى فى دار الناظم لا غيره لانه هو الذى تمنا ولهذا قال عندنا اى فى محلنا لا محل غيرنا لاجل ان تاكل منه العيال ويسروا بوجوده وسميت الدار دارا لتدويرها بالطوب الاحمر والحجر النحت وغيره وهذه صفة دور المدن واما دور بلاد الارياف فانها تبنى بالكرس وربما يكون فيها الوحل والجلة ايضا اولان الشخص يدور ويرجع اليها او انها مشتقة من لعب الدارة التى يلعبها اولاد الريافة بعد الغروب يقعد ولد منهم على قرافيصه ويقعد ولد آخر يجعل ظهره فى ظهره وتدور الاولاد حولهما يضربونهما فاذا امسك واحد منهما ولدا اجلسه مكانه فيتعلمون من ذلك خفة الايدى وسرعة الضرب والمشى ونحوه وقوله (واندف منها) اى من الخبيز ومعناه يأخذ منها بسرعة ويحشى فى بطنه فصار يشبه نداف القطن اذا اخذه بالقوس وحشاه فى الطراحة ومن هذا يقال فلان الليلة ندف مترددين من العدس ومرة البيسار اى اكلهما بسرعة او انه مشتق من احمد الدنف من شطار مصر الذين تقدموا وسيرته مشهورة عند المخرفين وقوله (بالعويش) تصغير عيش سمى بذلك لان به قيام المعيشة كما قال الشاعر

لا تركنن الى الثياب الفاخره * واذكر عظاما كيف تمسى ناخره

وإذا رأيت زخارف الدنيا فقل * لهم ان العيش عيش الآخره) ولذلك قال الامام الشافعى رضى الله عنه فيما حكاه الذهبى فى ميزانه والدميرى فى حياة حيوانه

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة * وليتنا لا نرى ممن نرى احدا
ان الكلاب لتهدى فى مرابضها * والناس ليس بهاد شرهم ابدا
فانجو بنفسك واستأنس بوحدتها * تبقى سعيدا اذا ما عشت منفردا

وقال آخر يكفى الذين تقدموا شرفا على * من بعدهم يمشى على الغبراء
انى لاحيى اذا امر بذكرهم * واموت من نظرى الى الاحياء

او انه مشتق من عش الطائر لتدويره مثل تدوير العيش * واما تسميته خبزا فهو من التخبيز وهو التنضيج بالنار يقال فلان ضرب فلانا حتى خبز اضلاعه اى صار الضرب فوقها مثل نضج للخبز او كسرها كما ان الخبز آيل للتكسير مثلا او يكون خبز اضلاعه بمعنى فكها من بعضها البعض وقوله (نديف) على وزن نتيف وهو الذى ينتف ذقنه لاجل الخنات او كان به مرض الابنة اعاذنا الله منها فانها داء يغلى فى الدبر بحرقة كغلى الدود فى العفن قال الشاعر

فانه مرض كالنار مشعلة * يغلى كغلى كبار الدود فى العفن

واكبر دوائها ما ذكره الشعرانى نفعنا الله به ان يحتقن بماء الفسيخ السائل منه مرارا فانه يبرأ باذن الله تعالى واصله ندفا فصغر لاجل الروى اى اندف من الخبز ندفا كثيرا حتى اشبع شبعا مفرطا بعد جوع بقية اليوم او بقية الليلة * ثم انتقل من الخبز الى الباقلا الخضر فقال ص * (متى انصر الفول المشيوى بفرننا * ولفو بقشرو والعروق لفيف) *

ش قوله (متى انصر) بعينى كما تقدم فى البيت الذى قبله (الفول) الاخضر اذا اتى به من الغيط ووضع فى الفرن وصار مشويا والمطلوب ان يكون هذا الفول (المشيوى) تصغير مشوى على وزن عطيوى او خريوى وخريوى فيما يقبل التصغير والوزن (بفرننا) لا بفرن غيرنا (ولفو) اصله والفه بالهمز تركه لضرورة النظم من اللف وهو حشو الفم وسرعة البلع والمضغ من غير تأمل ولا تفتيش فى الماكول ولهذا قال (بقشرو) اى اكله من غير نزع قشره من فرحى به ومن شدة الجوع (والعروق) معطوف على القشر اى والفه عروقه ايضا (لفيف) اى لفا زائدا بحرقة قوية وشهوة بهيمية حتى اكتفى منه

ولا انظر الى خشونته بلعه لكونه بالقشر والعروق على حاله ولا افعل كما يفعله غيري من انه يخرجه من الفرن ويضع عليه الملح ويبقيه حتى يبرد ويقشره منه ويأكل فانا لشدة اشتياقي اليه وكثرة الجوع والقل والعترة الفه بجميع ما عليه

(فائدة) الفول الاخضر قبل شيه بارد رطب وقيل بارد يابس ويعدله الاكل بالملح والصعتر وانفع اكله حارا او مشويا نزعه من قشوره جميعها واكله بالسكر وفي بعض كتب الطب من اكل الباقلا اربعين يوما واصابه مرض الجذام فلا يلومن الا نفسه ومتى اكلت المرأة الباقلا اربعين يوما لم تحبل ابدا وقد عدوه من موانع الحمل * ثم انه اشتهى شيئا مما يخبز وتمنى حصوله فقال

ص *(متى انضر ان طحن الطحين وجبتو ٭ وبطط لى منو فطير رهيف)*

ش قوله (متى انضر) تقدم معناه (ان طحن) احد الطحانين (الطحين) الذي وضعته في الطاحون ورحت اليه ورايته (وجبتو) اي جبته بعد ان اعطيت الطحان اجرته الى منزلي (وبطط) على وزن وضرط وربط فيهما بقين المناسبة وهو مشتق من البط وهو طير يربى في الدور ويشبه الاوز الا انه صغير عنه وارجله قصيرة جدا او من البطبطة او من البطة التي يوضع فيها السمن وغيره او هو من الهلفطة لاكلام (مسئلة هبالية) * لاي شئ سمي مجموع القمح طحين وهل هذا اللفظ صفة او علم عليه (قلنا الجواب القشروي) انه كان اولا قمحا لاكلام ثم طرا عليه الطحن فنقله من حالة الى حالة اخرى فيكون من تسمية الشئ بما طرا عليه من الوصف الذي قام به ونقله من حال الى حال فكان اولا معروفا بالقمح فلما دارت عليه الطاحون وطحنته اندرس اسمه الاول وصار طحينا فكذلك الانسان لما دارت عليه المنية خفي اسمه وصار ميتا وطحنته الارض ومضى امره الى ان يبعث فاتجه الجواب عن هذه الابحاث القشروية وفي بعض نسخ المتن ان طحنت الطحين باثبات التاء المثناة من فوق فيكون هو الذي طحنه بنفسه وهذا هو الاولى لان اهل الريف يجعلون في الدار او الكفر طاحونة مشتركة بينهم وان كان عند الرجل منهم طحين ياخذ ثوره ويعلقه ويطحن عليه واما بلاد البحر فانهم يطحنون بالاجرة وطواحينهم كلها بالخيل

حكم بلاد المدن ولا يفعل ما تقدم الا ببلاد الكفور والقرى الصغيرة ولا شك ان الناظم منهم كما تقدم فى ذكر قريته فلهذا قال ان طحنت الطحين وجبتو وبطط اى عجن بالماء او شئ من اللبن وياخذ القطعة العجين واضعها على خرقة او ردة النخال او قرص جلة مثلا واخبطها بالكف حتى ترق ونأخذ غيرها فيتحصل لى (منو) اى من هذا العجين (فطير) مشتق من الفطور لكونهم يفطرون به او من الفطرة او من عيد الفطر (رهيف) صفة للفطير اى طرى رقيق وفى كلامه اكتفاء فانه ذكر الفطير وكيفية عمله ولم يذكر اكله فيفهم من الكلام انه لما بطط الفطير خبزه فى الفرن او فى الجونة التى يصنعونها فى الزريبة ويحطون عليها الزبل وفى بعض الاحيان الجلة ايضا وياكل منه حتى اكتفى ثم ان الناظم انتهى ما كولاته

فقال ص * (ايا ما طيب الجلبان والعدس اذ استوى * وشرشن بصل حلو وميت رغيف)

ش قوله (ايا ما طيب) فى الطعم واللذة (الجلبان) على وزن الجذبان او الغرفان مشتق من جلبة النبوت او ان الذى زرعه سقاه فى الاصل على ثور جلبا او من جلبة العبد والجلبان نبات يزرع حبه يشبه حب الملوخية وله قرون صغار مثل قرون الملوخية مشتبك فى بعضه البعض مثل البرسيم يزرعه اهل الريف وياكلونه مثل الفول الاخضر وربما طبخوه بالعدس واكلوه كما قال الناظم ويزرعونه كثيرا وتاكل منه البهائم ايضا وقوله (والعدس) معطوف عليه اى وما اطيب العدس معه والعدس معروف لا يحتاج الى بيان (اذ استوى) فانه لا يؤكل نيئا بخلاف الجلبان بل يؤكل مطبوخا وهو بارد يابس ثقيل يشبه الدخن فى فعله ويمسك اطلاق البطن ومرقه انفع من حبه واكله يرق القلب * وفى زهر الاكمام ان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام شكا الى الله تعالى قسوة قلوب قوم فاوحى الله اليه ان مرهم باكلوا العدس فانه يرقق قلوبهم * وفى الحديث عليكم بالعدس فانه يرق القلب ويكثر الدمعة وقد بارك فيه سبعون نبيا * والاكثار من اكله يخاف منه الضرر * وفى القاموس الاكثار منه يورث الجذام ويضر بالعصب ويولد الاخلاط السوداوية * وقال بعض الاطباء يعدله السلق الاخضر وطعاما على نوعين مدشوش وهو اخف من غيره وغير مدشوش ويسمى عدسا بحبته

وآها

وأهل الريف يصنعونه فى البوشة الفخار ويحطونه فى محماة الفرن او فى الفرن ويغمرونه بالماء حتى يستوى ويفركونه بالمغارف ويقلونه له بما تيسر من الشيرج او الزيت الحار والبصل مثل البيسار* واما اهل المدن فانهم يطبخونه طبخا جيدا ويضعون عليه دهن اللية والسمن الخالص والحرارات خصوصا ابناء الترك فانهم يكثرون فيه الادهان وربما فعلوه باللحم الضان ولهذا يأتون به فى رأس السماط فهو عندهم له موقع عظيم وربما عملوه بالقلقاس اذا كان مدشوشا وهو الذ واطيب* وبلاد البحر يطبخونه بالارز تخينا يدشونه ويضيفون عليه الارز ويسمونه بغلية بفتح الموحدة وسكون الغين المعجمة وكسر اللام وتشديد الياء المثناة تحت وسكون الهاء المربوطة فى آخره وهذا النوع ثقيل جدا يشبه البسلة فى ثقلها وربما اكلوه بالعسل من غير خبز وكذلك البسلة يصنعونها ايضا بالارز وكل هذا يولد الارياح ويضر بالمعدة خصوصا البسلة فانها اشد فى الضرر وبعضهم استطرد حرف الياء فى اسمها وفى وصفين منها فقال* بسلة باردة يابسة* ثم استطرد حرف التاء فى مضرتها فقال* تعشى تفسى تنسى* فيكون لف ونشر مرتب ومعناه بسلة تعشى باردة تفسى يابسة ثم قال (وشرش بصل) اسم للحزمة المربوطة منه التى تملأ الكف فانه يقال لها شرش بصل ويطلق على اول خروج الفساء ايضا فهو لفظ مشترك بين الفساء وشرش البصل ولهذا يقال فى الحيتك شرش مثلا وهو من الالفاظ التى تقرأ طردا وعكسا اولها مثل آخرها وقوله (حوله) اى حول العدس بعد وضعه مغرفا فى المترد او الشالية ويكون البصل موضوعا حوله كما جرت به العادة فى بلاد الارياف وغيرها انهم يضعوا البصل حول العدس والبيسار والمش وغير ذلك ويأخذ الرجل منهم بصلة يقطم منها مثل الخيارة واما اهل المدن فيقشرونه ويفلقون البصلة اربع فلقات ويضعونها حول السفرة ولكل شئ مناسبة واذا اعصر ماء البصل ذهبت حرارته واعتدل فى الاكل وقوله (وميت رغيف) اصله مائة سهله لضرورة النظم اى من خبز الشعير وذكر هذا العدد لاجل ما يشفى غليله من الاكل او ربما يعزم

على احد بالأكل مثلاً او يأتيه احد ضيف على غفلة فتكون المائة رغيف فيها المحتمل للأكل منها كما تقدم والتفرقة وكذلك الشرش البصل وهي الحزمة التي تملأ الكف تكون الأخرى تكفيه للاكل منها ولتفرقتها ان شاركه احد * ثم ان الناظم استطرد شيئاً آخر واشتهى حصوله فقال

ص *(يا محسن الخبز المقمر على الندى ❀ وفوقو من الشرسوف حلب نضيف)*

ش قوله (يا) ناس ما (احسن) اى ما اظرف والطف والذ ماكول (الخبز) الطيف الابيض (المقمر) بالنار لا بالشمس (على الندى) اى على الفطور عند نزول الندى وهو الماء اللطيف الذى ينزل وقت الصبح الى نزول الشمس سمي بذلك لانه يندي الارض اى يبلها بللاً خفيفاً وفيه منافع كثيرة للزرع وغيره وفيه بركة عميمة ويشبه به السخاء والكرم يقال فلان كفه ندى ويقال فلان ماعنده ندى مثلاً والندى قرين الجود قال بعضهم يمدح السلطان زيداً والي مكة المشرفة رحمه الله تعالى

سألت الندى والجود من عهد آدم * لقد عشتما دهراً وقد متما أحيانا
فقالا نعم متنا زماناً وعندما * أتى زيد والي كعبة الله أحيانا

قال بعضهم واختلفوا فى الماء النازل وقت السحر على الزرع فقال قوم لا تجوز الطهارة منه لانه ليس من جنس المياه بل هو نفس دابة فى البحر تتنفس وقت السحر فهو ملحق بالعرق حكاه صاحب كتاب الملتقطات من الحنفية ويشهد لهذا القول ان المجرب بين ذكر وان هذا الماء اذا اجتمع فى وقت السحر ونملت منه بيضة وقد فرغ ما فيها وسدت بشمعة او غيرها ووضعت فى الحمام متى احست بالحرارة صعدت الى السماء وهذا السمو والارتفاع ليس من طبع المياه وانما طبعها الانخفاض فى الارض ويشهد لهذا ايضاً ان الندى ليس بماء ثلج ولا برد ولا مطر والله تعالى اعلم * قال صاحب كتاب الملتقطات ومنهم من جوز الطهارة به لانه ماء وانه لم يتحقق مجيئه من نفس تلك الدابة انتهى * وكان من جملة محاظي الرشيد جارية فصيحة تقرأ القرآن وكان له خادم اسمه طل وكانت تألفه فامتحنها الرشيد بان قال لها والله لم تذكري هذا الخادم قط

فقالت

فكانت اذا قرأت الآية الشريفة لم تذكر الطل امتثالاً للامر فلما تحقق منها
ذلك فسح لها فى مخاطبته والآية الشريفة قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل
انتهى * فالفطور فى هذا الوقت على الخبز المقمر فيه منفعة عظيمة * وفى كلام الحكماء
الكسرة اليابسة مرهم البدن * ورأيت فى بعض كتب الطب ان المعدة
يعلوها شئ يشبه الشعر فاذا افطر الانسان على الكسرة اليابسة نزلت على
هذا الشعر حكم الموسى فتحلقه فعلى كل حال الفطور على الخبز اليابس المقمر انفع
من غيره (و) خصوصًا اذا كان (فوقو) اى فوق الخبز المقمر بعد تكسيره ووضعه
فى الاناء (من السرسوب) على وزن الجعبوب وهو اللبن يوضع فيه شئ يسير
من اللبن الذى ينزل عقب ولادة البهيمة ويسمونه مسمارًا يأخذونه ويضعونه
فى طاجن فخار احمر ويضعون عليه شيئا من الملح لاصلاحه ومكثه لحاجتهم فاذا
ارادوا السرسوب يضعون اللبن فى الدست ويصبون عليه من هذا اللبن
الذى يسمونه المسمار ويفورونه على النار فيقال له المفور ويقال له سرسوب
ويفتون فيه الخبز المقمر مع العجوة وياكلونه وله لذة عظيمة ويجعلونه ايضا
فى طاجن ويضعونه فى الفرن بعد وضع المسمار فيجمد ويسمونه لبة بخفض اللام
والباء الموحدة وياكلونه وله لذة عظيمة وافضل الالبان لبن النعاج واجودها
لبن البقر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالبان البقر فان لبنها شفاء وسمنها دواء ولحمها
داء واجودها ما شرب من تحت الضرع كما حلب واذا خلط بالسكر خصب
البدن وصفى اللون ولين الطبيعة وزاد قوة فى الباه وسمى اللباء لباء لانه
مشتق من اللب او من اللبوة او من قولهم (لبتك واحد بفرقله) مثلا او من
لب الجدى الصغير امه اذا اراد شربها قال الشاعر

فانت كالجدى لما ان يلب وكالبحر المطوق اسراعا الى اللبن

قوله (حلب) اى قدر حلب وهو اسم لما يملأ المحلب والمحلبة او انه مشتق
من حلب الرجل بيده فيكون اسما لما حلب من البهيمة والمعنى ان يكون فوق
هذا الخبز ما يعمه من لبن السرسوب المحلوب حلبا (نضيف) اصله نظيفا
ذكره بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية وسكنه لضرورة النظم اى ليس فيه شئ

يدنسه من اثر جلة او غبار يلحقه ونحو ذلك كما انهم اذا تعاطوا الحلب لا يتحاشون عن مسك جلة وغيرها من انواع النجاسات بل ربما لطخوا درة البقرة او الجاموسة بجلة فتحلب اللبن سريعًا فطلب الناظم ان يكون هذا السرسوب طيبًا نظيفًا خاليًا من هذه الامور وان كان معفوًا عنها ثم بيّن كيفية الاكل منه فقال

ص — *(واقعد على ركبه ونصّ وشمّر ❁ عن الكف بايدى ما اخاف مخيف)*

ش — قوله (واقعد) متأهبًا للاكل من هذا الخبز بالسرسوب تأهب الجيعان الشديد الشهوة لهذا المأكول (على ركبه ونصّ) وهى قعدة القوى الشديد الذى يريد دائمًا الاكل الكثير او الذى عنده شره فى الطعام مثلا واما جلسة الادب فانها بخلاف ذلك بان يجلس الانسان على الركبتين ولا يلتفت يمينًا ولا يسارًا ويأكل مما يليه ولا يمد يديه الى طعام بعيد عنه مدًّا عنيفًا كما اتفق ان شخصًا قال لآخر وهما فى وليمة يأكلان يا فلان اقدم لك هذا الصحن فقال انا ايدى تجيب من مكة ومدّ يديه بعنف فضرط فقال له الرجل بلغ البياض فى مكة كام الكورجه فخجل وقام من غير اكل وللاكل آداب مذكورة فى بعض الكتب وقوله (وشمّر) من التشمير وهو رفع كمه (عن الكف) اى كفه يقال شمّر ذيله بمعنى رفعه عن النجاسة وشمّر عن ذكره اى اراد عطفه يبول فيها والتشمير المعنوى هو الكف عن الذنوب قال الشاعر

شمّر فانك ماضى العزم شمّير * ولا يهولك اهوال وتكدير

لكن مراد الناظم التشمير الحسى وهو رفع الاكمام ووضع الشمار الذى تصنعه اولاد الارياف من الصوف ويضعونه فى اكتافهم يرفعون به اكمامهم وله هداب مائل على كفل الولد الامرد وفيه لهم نوع من الجمال وهو عندهم امر عظيم حتى ان بعض الاولاد يعمله ويجعل فيه من الحرير الاصفر والاحمر والاخضر والاسود حتى يرغب العاشق فيه وغالب اولاد الطبالة يجعلونه حكم اعقصة النساء ويجعلون له عقدًا اصغارًا فى روس الهداديب ويزينوه بها وقوله (بايدى) اصلها بيدى لا بيد غيرى فلا احتاج الى احد غيرى يشمّر لى بل انا اتعاطى تشميره بنفسى لاجل خلو يدى عن شئ يمنعها من تناول الطعام

وهذا يدل على ان كمه كان طويلاً حتى احتاج لتشميره او ان مراده بالتشمير رفع يده وخفضها فى حالة الاكل بسرعة وقوة من غير التفات لاحد ولهذا قال (ما اخاف) اى واكل من هذا الشرشوب ما اخاف من احد يأتينى او يمنعنى عنه (مخيف) اصله مخيفاً اى مخوفاً يمنعنى عن شهوتى بل لا ابالى اذا حصل لى وظفرت به من احد ابداً ولا يعترينى خوف ولا فزع حتى اكتفى واشبع منه الشبع المفرط ولا اخشى من تهمة ولا غيرها * ثم انه اشتاق لمأكول آخر الذى مأكول اهل الريف فقال

ص * (على من قشع روحو حذا الرز باللبن ❁ ويقطع ويبلع من تقيل وخفيف) *

ش قوله (على من قشع روحو) اى على من نظر روحه اى ذاته لا ذات غيره (حذا الرز باللبن) اى حذاء بالذال المعجمة اى محاذيه بمعنى انه جالس بجانبه والارز باللبن طعام لذيذ وهو غالب مأكول بلاد البحر لكثرته عندهم وكثرة الارز ايضاً وهو حار رطب ينفع من احتراق المعدة وما الذه واطيبه اذا وضع عليه السمن البقرى فى وقت نزوله من على النار ويؤكل بالعجوة الا انه بالسمن اطيب واشهى للاكل وكلما كان لبنه كثيراً كان جيداً وكلما قل ارزه كان اجود وارداه الكثير من خلط الماء والارز كما تفعله اهل الارياف فانهم يجعلونه ثخيناً جداً يقطعون منه اللقمة مثل ما يقطع الشخص من الطين اليابس * واما ابناء الترك فانهم يصنعون اللبن الخالص من غير ماء ويجعلون فيه شيأ يسيراً من الارز حكم الشرب ولهذا يشربونه بالملاعق فيصير حلواً لذيذاً وهذا النوع اجود طعامه واطيبه * وطبيخ اللبن على كل حال اطيب من العدس والبيسار وما شابههما قال الشاعر

طبيخ اللبن احسن من الى بكزبره * والعدس والبيسار يجيبو الحوادز

(واما النوع الذى تمناه الناظم فهو الذى تقدم ذكره وهو الثخين الذى يشبه الطين فى يبسه لانه المشهور عنده وفى بلاده * واما بلاد البحر فيفعلونه حالة وسطى لا ثخين ولا مائع الا انهم فى الغالب يصنعون عليه شيأ من الماء واما الناظم فلا يعرف الا الذى فى بلده ولهذا قال (ويقطع) والقطع لا يكون الا من الطعام اليابس اى يقطع بكفه وقوله (ويبلع)

من البلع وهو مجاوزة الاكل من الحلق يقال فلان بلع الحوت بمعنى انه دخل
جوفه ووصل الى بطنه ومنه سميت البلاعة لانها تبلع الماء فى جوفها
والقطع هو فصل الشئ من الشئ وبعده عنه يقال فلان قطع فلانا مدة
بمعنى انه هجره او بعد عنه وقوله (من تقيل) اى من قطع وافية عن اللقمة
المعتادة بحيث تكون اللقمة ملء الكف وتدمع العين من كبرها * كما
ذكرت ذلك فى خطبة كنت الفتها سابقا فى الماكولات وهى هذه

الحمد لله مستحق الحمد على التحقيق الذى وفق بين الفرج والضيق وامر بالحج
الى بيته العتيق وجعل السمن البقرى للعسل النحل رفيق * احمده حمد من عنده
من الجوع دسيسه واغاثه الله بقصعة من البسيسه بالفطير الرقيق فملأ منها
بطنه واحسن بالله ظنه ونام على راحة من الله وتوفيق واشكره شكر عبد
تقلع عن الحوامض والمش العتيق * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة تنجى قائلها من الضيق واشهد ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله
الناطق بالصدق والموصوف بالحق والتحقيق * اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد
وعلى آله واصحابه اهل الكشف والتحقيق وسلم تسليما كثيرا * ايها الناس
مالى اراكم عن الزردة بالعسل النحل غافلون وعن الارز المفلفل باللحم الضانى تاركون
وعن المقلاوة فى الصوانى معرضون وعن الاوز السمين والدجاج المحمر
لاهون فما هذا يا اخوانى الا حال المفلسون وافعال الفقراء المقلون
فجدوا رحمكم الله فى تحصيل الدراهم لتغتنموا المآكل النفيسه والمطاعم اللذيذة
وقد قال الامام على رضى الله عنه لذة الدنيا ثلاث اكل اللحم وركوب اللحم وادخال اللحم
فى اللحم فمن انعم الله عليه فليشكر ومن حرمه فليصبر وعليكم بالارز باللبن
فانه طعام جيد حسن وصباحه ابرك الصباح خصوصا عند الفلاح اذا
جاء وحلب بقرته واتت زوجته بالدست وعلقته وصبت فيه اللبن وقادت
عليه وحركته بالارز الابيض وطبخته وفى الصحون غرفته فجاء الشيخ الكبير
وقعد وثنى ركبته * فعند ذلك يا اخوانى صفت الاوانى ولا يذكر انسان
بانسان فلا ترى الا ايدى تقطع واحنكة تبلع وزراديم تفرقع وحلوق تفرقع

والعين من كبر اللقمة تدمع والبطن لا تشبع بل تزيد أقنعا لا وهي تقول جل ربنا وتعالى فاذا سبقك اخوك بلقمه فبادر بجدع رقبته بلكمه واغتنموا رحمكم الله تعالى هذه الموعظه ودعوا اكل المغلظه كالعدس والبيسار والمدمس والفول الحار والبسلة والكشك بالفول وجبن النور المعمول فانها تورث الارياح وليس في اكلها صلاح وعليكم بالاطعمة الفاخره كاللحم الضاني فانه سيد طعام الدنيا والاخره وعليكم بالشراب البارد ففيه حديث وارد واحمدوا الله انما الاغنياء المتنعمون واصبروا انما الفقراء المقلون نسأل الله ان يمن علينا وعليكم بالاطعمة الفاخره ويرزقنا واياكم الراحة في الدنيا والاخره وان يجعلنا واياكم من الآكلين المتنعمين وينجينا واياكم من موارد الجيعانين المقلين وان يغفر لنا ولكم ولجميع المسلمين آمين * فاستغفروه يستغفر لكم يا فوز المستغفرين *

روى عن سهلب بن مهلب عن زنطاح بن النطاح بن قليل الافراح انه قال كان رجل من العرب قام من منامه ولذيذ احلامه واكل في فطوره فصيلا ابن عامين وصبر الى ضحوة النهار فاكل اربعين دجاجة محشية باللحم الضاني محمرة بالسمن البقري وشرب زقين من خمر ونام في الشمس فمات ولقي الله سبحانه سكران ريان *

الحمد لله مزيل الحزن ومزين الارز باللبن واشهد ان اللحم الضاني سيد الاطعمة ومصلح للبدن واعلموا ان القشطة لا تترك وان المهلبية احسن وابرك فتهيأوا لاكلكم وشربكم واعلموا انكم غدا بين يدي الله موقوفون وباعمالكم محاسبون وعلى رب العزة تعرضون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون *

اللهم وارض عن الاربعة الاعيان الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن التين والزيتون والخوخ والرمان وارض اللهم عن الستة الباقين من العشرة الاطعمة المفتخره الماوردية والمهلبيه والشعريه بالزغاليل المربيه والارز المفلفل باللحم الضاني المحشي المحمر والكنافة المتلة بالسمن والعسل النحل واللوز والسكر والقطايف الغارقة بالسمن والعسل والقرع المحشي باللحم والبصل والبقلاوة الموصوفه وخرفان القيمة المعلوفه والقرمزية والبخني السمين متعنا الله واياكم بهم اجمعين *

اللهم وادم النصر والتأييد والثبات واجمع الشمل بعد الشتات ببقاء السلطان السكر النبات ابن القناني من اصله القصب الملواني اللهم وايده بارماح القصب وبسائط الرطب وبعناقيد العنب واجمعنا عليه من اول النهار وفي وسطه وآخره وانصره وانصر عساكره في الدنيا ننتفع به يارب العالمين اللهم واهلك الثلاثة الفجار العدس والبسلة والبيسار * عباد الله من اراد خلع القبول ان تفاض عليه فليأكل الموز بالسكر بين والديه وتفكهوا قبل الطعام واقتدوا بسنة خير الانام ولا تضاربوا ولا تخابطوا وكونوا عباد الله اخوانا * ان الله يأمركم باكل الحلال مما تشتهي العقول وينهاكم عن اكل الحرام ولو من اطيب الماكول والبغلة ترفصكم لعلكم تنقلبون او تندقلجون * وقوله (وخفيف) اى ويأكل اللقمة او اللقم من صغيرها وكبيرها ليحصل التعادل ولا يغتر بقول القائل كلوا اكلة من عاش عاش بخيره * ومن مات يلقى الله وهو بطين فينبغي للانسان ان يجعل البطن ثلاثة اثلاث ثلث للاكل وثلث للشرب وثلث للنفس فلا يفرط في الاكل ولا يفرط في الجوع قال صاحب البردة رحمه الله تعالى

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم

وما احسن ما جمعه بعضهم في قوله

ارطاب توت لقد طابت رطوبتها * كبرق ثغر حبيب وهو مخمور
في بابه اقبل الرمان منعقدًا * مثل اليواقيت منظوم ومنثور
ميز بعقلك تلقى الموز في خجل * مصفر الوجه لما جاءها نور
سل من كبيهك عن الاسماك هل صلحت * تنبيك عن حوتها بالشحم مبزور
هل ماء طوبة لم اروت لواقحه * مثل الزلال فلا تحتاج تأخير
كل اللحوم اذا طابت رعيتها * وهل يطيب سوى في الرعي امشير
في برمهات ترى الالبان نافعة * سمن الكنادير في ذا الشهر مشهور
برمودة الزهر قد جاءت مبشرة * سلطانة الورد كل منه مأمور
بشنس تشهد ان النحل جانبه * والشهد يقضي وما في امره زور
مشمش بؤنة لم يلق الحوا ابدا * مسكين ذاك قليل الجهد معذور

وأصبح التين فوق الغصن ناعيه * كأنه في أبيب جاء مشهور
عنقود مشرى نعم فاغنم فكاهنه * فعن قليل تراه وهو معصور
هذى مطايب مافيها ونبته * والكل في هذه الابيات مذكور

ثم ان الناظم انتقل الى نوع من الادم قد تمناه فقال

ص * (على من ملا قحفه جبينه طرية ❀ وراح ورا الجاموس يرعى البنف) *

ش قوله (على من ملا قحفه) القحف شئ طويل يعمل من الصوف او الشعر يلبس على الرأس له زى وله هندام تستعمله الفقراء وغالب الخلابيص ويلبسون شيئا يقال له الطرطور ويلقون عليه القحف لكونه واسعا من جهة الرأس وضيقا من أعلاه قصير عن الطرطور وكان استعمال ذلك في سابق الزمان كثيرا واستعمال اللبد على اصناف شئ يشبه القحف وشئ يشبه البرانيط والذين يلبسونه يقال لهم صلحاء متصوفون ثم ظهرت القواويق القطيفة وصار لها بهجة ورونق وانس وظرف فبطل لبس اللبد وغيرها وصار لا يلبسها الا بعض الفقراء المتصوفين المتقشفين ولهذا يقال إخفا يا فلان خفوة اللبد ومن هذا قيل في تركها كلام كثير مثل قولهم (يالبد مالك في السوق يالبد قلة خازوق) وسمي قحفا لقحافته ويبسه ولهذا يشبه به الرجل السيئ الخلق فيقال هذا قحف اى سيئ الطبائع قال الشاعر في المعنى (ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه فهل رأيتم في الورى * قحفا رقيق الحاشيه) وهو مشتق من قحف الحوت او ان الرجل الذي صنعه اولا كان من قحافة قرية معروفة موقوفة على سيدي احمد البدوي نفعنا الله به دنيا وأخرى وقوله (جبينه) تصغير جبنه على وزن أبنه وهي واحدة الجبن (طرية) اى عملت في وقتها اى وقت نزولها من على الحصير التي يعملون فيها الجبن فاشتهى ان الله تعالى يمن عليه بملء قحفه جبنا طريا ولو كان هدية او صدقة تصدق به عليه احدا وسرقة فان الرزق ما ينتفع به ولو حراما قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى (الرزق ما ينفع لو محرما) وقال ابو نواس رحمه الله تعالى (يقول لي العذول ولم يشرع * دعها لك الحرام وكن قنوعا ❀ اذا انا لم اجد ما لا حلالا * ولم آكل حراما مت جوعا)

م ٣٠ شا

فان قيل لاى شئ تمنى الناظم ملء قحفه من الجبن مع ان القحف لا يعد لشيل الجبن فيه خصوصا وقد قال جبينه طرية فاذا وضعه فى قحفه يحصل له ضرر من وجهين الاول ان يصير لقحفه التقذير من جهة الجبن والثانى ماء الجبن يبل قحفه ويشوش عليه **قلنا** الجواب القشرى من وجوه اما انه تمنى شيأ من الجبن بحيث لو وضع فى قحفه لملاه لكون قحفه طويلا كبيرا حتى يكفيه للأدْم بقية الجمعة او الشهر لكونه مفتقرا لذلك ومحتاجا اليه بخلاف ما اذا اتاه شئ يسير لا يكفيه ولا يقوم باولاده او ان الكلام على حقيقته لان اهل الريف اذا اعطاهم احد شيأ من مأكول او غيره يأخذونه فى اطراف بردهم واورديتهم وفى اكمامهم وعلى شدودهم التى على رؤسهم وكانوا فى الزمان السابق يضعون الشئ فى قحوفهم فانهم فى الغالب كانوا يضعونها على رؤسهم من غير شئ يلفونه حولها فكان الشخص منهم اذا اخذ شيأ من السوق ولم يكن معه مقطف او صحن مثلا يضعه فى قحفه * واما تلويث القحف وتقذيره فالناظم لا يبالى بهذا الامر فان قحفه كان يساوى نصفا او نصفين ومن كثرة استعماله وتداول الايام عليه وطرو العرق والحال الذى هو فيه يبس وصار مثل الخشب فصار لا تؤثر فيه رطوبة الجبن ولا غيرها فينزل الكلام على حقيقته فانتفى الاشكال عن هذا الهبال وقوله (وراح) اى وسار وهو مشتق من الروحاء مكان بارض الحجاز او من الراحة او من الريح او من ابى رياح الذى يصنع على غابة طويلة وهو اربع ورقات ملصوقات على اربع قطع من الغاب تلعب به الاولاد الصغار وهو مشهور فى بلاد المدن وغيرها وقوله (ورا) اى خلف (الجاموس) نوع من البقر فان اسم البقر يشمل الجاموس وغيره وهو ضخم كبير غليظ الجلد اسود وسمى البقر بقرا لانه يبقر الارض اى يشقها وواحدته بقرة واهل الريف يعايرون الولد الامرد بذلك ويقولون له انت بقرة مثلا يعنى يا كثير الخناء (مسئلة هبالية) لاى شئ لم يقولوا للولد الامرد يا جاموسى مع انها فى حكم البقرة والعجل يطلع عليها ويضربها

فهي في هذا الامر مثل البقرة فلا خصوصية لاحداهما (قلنا الجواب الفشروي) من وجوه* الاول ان الجاموس داخل تحت اسم البقر كما تقدم بيانه فصار شاملاً للنوعين* الثاني ان لفظة جاموسى مركبة من اسم وفعل فاذا قال الشخص للولد الامرد انت يا جاموسى ربما يفهم منه انت يا ولد جاء رجل اسمه موسى مثلاً فكانه يخبره بذلك فتندفع المعيرة عن الولد الامرد ولا يتوهم ويقال امرأة ولدت جاموسى اي وقت ولادتها جاء رجل يقال له موسى* الوجه الثالث ان اسم الجاموس مشتق من التجميس وهو التحسيس يقال فلان يتجمس في الظلام بمعنى انه يتحسس على شيء ياخذه واسم البقر مشتق من بقر الارض اي شقها بالمحراث فكان مثل وضع (الزب في الكس) مثلاً لانه يشقه اي يدخل فيه ومثله الامرد فانه يدخل الزب في استه مثلاً فكان مشبهاً بالفعل* واما التجمس فهو مشبه بمقدماته والفعل اقوى من الاسم لان التجسيس زرع والنيك حصاده فكان النيك ابلغ من التحسيس فلهذا صار يعاير بذلك الامرد ويقال له يا بقره فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله (يرعى النيف) اي يسوق الجاموس لاجل ما يرعى لانه هو الذي يرعى بنفسه فالرعي راجع للجاموس اي انه يسوق الجاموس الى المحل الذي ينبت فيه الحشيش المسمى بالنيف وهو يرعى اي ياكل يقال الجاموس او البقر يرعى في المحل الفلاني بمعنى انه ياكل منه واما قولهم للذي يسوقه ويتعهد مصالحه من حلبه وعلفه وربطه في الغيط ومباشرة وحراسته ونحو ذلك راعي فلكونه ملازمه وهو تحت كنفه فعليه ان يراعيه بالشفقة عليه والرحمة به* والنيف حشيش ينبت في الارض بنفسه من آثار نزول المياه على الارض واكثره في الاراضي التي لا تزرع وهو مشتق من النيفة التي تعمل في بلاد المدن وهي لحم يشوى في التنور ويؤكل وله لذة عظيمة او من النوف التي توضع على رقاب الثيران وقت استعمالها في الساقية او المحراث وذكر الجبن ولم يذكر الخبز والظاهر انه كان موجوداً عنده ومضى عليه مدة وهو ياكل منه من غير ادم

فاشتهى على قحفه جبنا لاجل ما يكفيه مدة (وحكى) عن الشيخ محمود عفا الله
ان رجلا نشأ له ولد من امرأة ماتت وتزوج غيرها فصارت زوجة ابيه
من كراهتها له تنم عليه حتى كرهه والده ثم لما تملكت من عقله قالت
يا انا يا ولدك هذا فقال لها ما المراد قالت تجيب من السوق سما له
فسمع كلامها واتى بالسم وسلمه اليها فقالت له هات لنا لحما نضعه فيه
فلما ذبح الجزار اتاها باللحم فعملت للولد طاجن لحم وطيبته بالابزار ووضعت
فيه ذلك السم فلما حضر الولد من الغيط كان الوقت قد امسى فقالت
له اجلس وكل هذا الطاجن اللحم فقال لها اني لم اصل العصر لان الوقت
راح لما اصلي واجي ناكله فتوجه الى المسجد وكان بعيدا من دارهم فلما
صلى العصر اذن المغرب ففتحت ابواب السماء بماء منهمر كافواه القرب
فجلس الولد بالمسجد الى ان صلى العشاء فعزم عليه شاب من خدمة المسجد
ودعاه الى داره فنام عنده فلما اصبح صلى الصبح وحضر الى المسجد
وجلس فيه حتى صلى الضحى ثم انه توجه الى داره فوجد امرأة ابيه سخنت
له الطاجن فقالت له لاى شئ لم تجئ فاخبرها بان فلانا عزم علي
فبت عنده فقالت له اجلس وكل هذا اللحم فاني سخنته لك فقال

ان جاك بدري الطعام اصطبح بو * كما جاك بدري من الزرع ناجب

وابوه يسمع ثم قال لها اعلف البهائم لاجل فطورهم بدري وذهب لعلف البهائم
فببركة الصلاة التي صلاها ورأفته على البهائم القى الله تعالى في قلب والده
ان الزرع الناجب هو الولد الناجب فقام بسرعة الى الطاجن وكسره والقى
اللحم على الارض وداسه برجليه فجاء الولد ونظر ذلك فعسر عليه لعدم
معرفته بما هنالك ولا يدري بما جئ له ونادى والده لزوجته هات له
قشطة وقال له كل واشرح فلما اكل وشرح قال لها توجهي الى بيت اهلك
بالستر وان جئت لك باحد كائنا من كان سياقا فلا تقبليه وان
قبلت السياق وجئت فقبرك في محل الطاجن تعلمي ذلك وتعتقديه
ولا تبديه والسلام فانظر يا اخي الى من قدم علف الحيوان قبل ان ياكل

وواظب على الصلاة المكتوبة كيف نجاه الله من هذه البلية * ثم ان الناظم انتقل لتمنى شيئاً آخر من الاطعمة التى يفعلها اهل الريف فقال

ص (على من قشع لقانه امو ملاّنه ۞ من الهيطليه اللى لها ترصيف) *

ش قوله (على من قشع) اى نظر نظراً حقيقيا (لقانه امو) او زوجة ابيه ايضاً واللقانة تأنيث لقان على وزن خرفان ويقال لها القصرية ايضاً وهى اناء من الفخار متسع دون الماجور وفوق الشالية سميت لقانة لان الشخص اذا اراد ان يشرب منها يلق بلسانه او بفمه الماء لانه لا يقدر على حملها او ان الذى صنعها فى الاصل من لقانة قرية مشهورة خرج منها علماء اجلاء وفضلهم مشهور ينتفع الناس بعلومهم الى يوم القيامة نفعنا الله ببركاتهم واضاف اللقانة الى امه لكونها كانت لها ولم يعرف غيرها ولا له شئ سواها فتمنى رؤيتها بحيث انها لامه (ملآنه) لا ناقصة وسهل الهمزة لضرورة النظم ثم بين الشئ الذى تمناه فقال (من الهيطليه) وهى طعام يعمل من نشاء القمح واللبن ولها لذة عظيمة فى المأكل وهى اخف من الارز باللبن خصوصاً اذا اضيف اليها العسل لان النشاء بارد يابس ويعدله الحلو واللبن تقدم انه رطب وقيل معتدل للحرارة والرطوبة والارز حار يابس فيكون النشاء اقل درجة منه وان كان الارز موافقاً لكل طعام * وفى كلام بعضهم لو كان الارز رجلاً لكان حليما لانه موافق للطبائع وسميت هيطلية من هطل السحاب وهو المطر لكونها تشبه بياضه او من هطل الثياب وهو طولها وجرها على الارض ولمعانها ولهذا قال الناظم (اللى) بتشديد اللام يعنى التى وهى لغة ريفية (لها ترصيف) اى من جنسها وشدة بياضها ولمعانها اى تضئ ويشتهى اكلها ويلتذ بها يقال فلان عليه ملوطة بيضاء ترصف اى تلمع وتضئ وهى مشتقة من الرصافة بنواحى الشام (ومن اللطائف) ان رجلاً مر بين الجسر والرصافة[٢] فرأى جارية حسناء بديعة الحسن والجمال وهى تمشى فقال صدق ابو العتاهيه ولم يذكر ما قال فهزت رأسها وقالت بل صدق ابو العلاء المعرى ولم تذكر هى ايضاً قال فاعترى الرجل الخجل وتركها ومضى[١]

٢ صوابه ابن الجهم على شاء [illegible] الاولى ان وله فى ذلك واقعة عجيبة مع بعض العلماء مستنيرة [illegible]

وكان بالقرب منهما رجل سمع ما قالاه فلحق المرأة وقال لها اخبريني ما اردتِ وما اراد والّا أعلمتُ بكما أمير المؤمنين فقالت له انه عنى بقوله صدق ابو العتاهية قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث ندري ولا ندري

وأنا عنيتُ بقول ابي العلاء المعرّي قوله

ايا دارها بالخيف انّ مزارها * قريبٌ ولكنْ دون ذلك أهوالُ

فتركها وسال الرجل كما سالها فأجابه بما اجابته به وأفهمته انّ الدّار قريبة ولكنها بجوار أمير المؤمنين فلا تقدر على الوصول لمطلوبك فانظر الى قوة حذق الجارية ومعرفتها المقصود وشدة فصاحة الرجل وفهمه المقصود ايضًا * ثمّ انّ الناظم بيّن كيفية الاكل من الهيطلية فقال

ص * (واقعُدْ لها بالعزم في رايق الضحى * واسحب لها المصبوبة ام وطيف) *

ش قوله (واقعُدْ) اىْ واجلس من غير استعجال بل اقعد قعدة متمكّن من غير خوف ولا فزع ولا احد يشوّش على (لها) امّا انّ الضمير راجع للقانة التي فيها الهيطلية ويكون قوله واقعد لها بمعنى انّى آكل منها وهي فيها فيكون اكله من الهيطلية لا نفس اللقانة وامّا ان كان الضمير راجعًا لنفس الهيطلية فلا اشكال ورجوعه لها أصوب وقوله (بالعزم) اي بالقوة والشدّة او انّه يقعد لها عازمًا على الاكل منها مثلًا (في رايق الضحى) اي وقت ارتفاع الشمس وهو وقت جواز صلاة الضحى ويقال ضحوة النهار وهو وقتُ الغداء وخلو الباطن واشتداد الجوع (واسحب) اي يأخذ أخذًا سريعًا مرة بعد أخرى لانّ السحب هو جرّ الشيء بحبل او غيره جرًّا سريعًا فيكون سحبه يطلق على الاخذ من غير جلد وقوله (لها المصبوبة ام وطيف) اي من الصبوبة التي تعملها زوجته امّ وطيف ووطيف ولدها سمّي بهذا اللفظ لكونه كان يصنع الجلّة أطوافًا وقيل كان له دويرة يحطّ فيها الجلّة طوفًا بعد طوف وقيل من طوافه حول البقرة في صغره وامّا اسمه الذي سُمّي به عند ولادته على ما قيل فهو دعموم لكن اشتهر بهذا الاسم وغلب عليه فصار علمًا واشتهرت امّه به فصار يقال لها امّ وطيف * وامّا المصبوبة

فانها تعمل من نوعين من دقيق الحنطة ومن دقيق الارز فاهل الكفور
والبلاد التي لم تزرع الارز يصنعونها من الحنطة واهل بلاد الارز يصنعونها
من دشيش الارز ويقال للتي تصنع من القمح قطايف وربما صنعوها
من الارز خالصا والفقراء يصنعونها من الدنيبة التي تخرج من الارز
عند بياضه مع خلط شيء عليها من دشيش الارز وسميت مصبوبة لانهم
يجعلون عجينها مائعا مثل عجين الكنافة ويحمون الفرن ويأخذون نصف
قرعة ناشفة او جوزة هند فارغة ويثقبونها ويجعلونها في عصا طويلة
ويغرفون من هذا العجين ويصبونه في الفرن اقراصا على ارغفة الخبز
وعندها رخاوة وطراوة فسميت بذلك لكونها تصب على هذا الحال *
واما القطايف فانها تعمل في بلاد المدن من الدقيق الابيض الخاص
المقطف وتصب على صواني صغار يقال لها الرقع من حديد او من نحاس
الا انها صغيرة مثل القرصة وهي الذ هذه الانواع واطيبها خصوصا
اذا قليت بالسمن وصب عليها العسل النحل ولله الحمد اكلنا منها مرارا
وتلذذنا بها ونسأل الله تعالى ان يطعمها لاخواننا الفقراء ويعمهم باكلها
لكن هذه بعيدة عن مقصد الناظم ولا يعرفها بالكلية وانما اشتهرت
في بلده مصبوبة ام وطيف هذه قيل انها زوجته على ما تقدم وقيل
كانت امرأة تصنعها في قريته مشهورة بذلك وسميت قطايف لان
الدقيق الذي تعمل منه مقطف اي منخول من المنخل الرفيع فيكون من باب
تسمية الشيء باسم الصفة التي تطرأ عليه وتمام الكلام انه اذا سحب للصبوبة بحال
ورأى الهيطلية فيقعد ويأكل منها حتى يكتفي لئلا يفهم احد ان مراده الا النظر وهذا
كما قال بعضهم النظر بالعين لا يقضي ملامه * غير مص الريق ولثم الخال وشامه ومن رام
النظر بالعين ما يشفي غليلك * الآن واصلني بنيك خليلك * وجعل الغصة لمحبوبك سبيلك * وادخل القبة ترى شيخ الكرام
الى آخر ما قال ويجري هذا المعنى في جميع الابيات التي صرح فيها بالرؤية جميعا فان مراده الرؤية
مع الاكل وليس المراد النظر الى الطعام لانه ما يكفيه ذلك خصوصا مع كثرة شهوته له وشدة جوعه

ثم ان الناظم انتقل الى ماكول آخر فقال ص * (الا ما ترى اشحال اللبن بعد غلوه * ولو كان بالخبز السخين رديف) *

شـ قوله (الا يا ترى) يريد أن يستفهم ويخبر ويسأل ويتحقق عن شيء بعيد عنه
ولم يره ولم يشاهده مثل ما يسأل الانسان عن صديقه الغائب عنه مدة طويلة
ولهذا قال (أشحال) يعني ما حال هذا الغائب كما يقول الرجل اذا قابل صديقه
بعد مدة وأوحشه ايش حالك اليوم مثلا (اللبن) الحليب (بعد) وضعه
في الدست و(غلوه) أصله وغليه ابدلت الياء المثناة من تحت واوا اجريا
على اللغة الريفية اى غليه بالنار يعني هل له لذة في المأكل وحلاوة في المطعم
ام كيف حاله (و) خصوصا (لو كان) اى هذا اللبن الحليب المغلي (بالخبز)
تقدم تعريفه في الطعام (السخين) تصغير سخن وصغره لحلاوة الالفاظ مثل
قول بعضهم   ما قلت حبيبي من التحقير * بل يعذب اسم الشيء بالتصغير
فلهذا قال السخين على وزن الطنين اى المسخن بالنار وقوله (رديف) على وزن
كثيف مشتق من الردف وهو ركوب الشخص على الدابة خلف آخر والسخين
مشتق من السخونة وهي الحمى لحرارتها وسخونة الجسد الذي اعترته أعاذنا الله
منها * وجعل الخبز رديفا للبن بمعنى انه لا يفارقه ولا ينفك عنه حتى يؤكل
معه فهو مثل الرجل الرديف خلف آخر لا يفارقه ولا يزايل ظهر الدابة
فهو واياه على ظهرها لا يفترقان ولا ينزلان الا سوية ولا يفارق احدهما
صاحبه وقوله هذا من باب تلذذ احدى الحواس الخمس يعني السمع فكأنه
يقول لهم اخبروني عن حال اللبن وعن اكله بالخبز وهل هو على هذه الحالة
لذيذ المأكل ولذذوا سمعي بذكره فلعلي أن أراه حقيقة وآكل منه يقينا
كما قال ابو نواس   ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سراً اذا امكن الجهر
فان الشاهد في قوله وقل لي هي الخمر اى لاجل ما التذ بسماع اسمها وتلذذ اذناي
بذكرها فان الحواس الاربع قد التذت وبقي حاسة السمع وكقول ابن الفارض
نفعنا الله به   ادر ذكر من اهوى ولو بملامي * فان احاديث الحبيب مدامي
ليشهد سمعي الى آخر ما قال * ثم انه لما اراد ان يلذذ سمعه باللبن المغلي مع الخبز
المسخن اراد ان يلذذ سمعه ايضا بفركة اللبن حتى يريد الله له بالاكل من
الجميع ويقضي مراده وما ذلك على الله بعزيز فان الله سبحانه وتعالى عند المنكسرة قلوبهم فقال

ص *(الا ترى اشحال مفروكة اللبن ۞ على زلطها قلبي يرف رفيف)*

ش قوله (الا يا ترى) اى يا ترى احدًا يخبرني خبرًا نافعًا (اشحال) اى اسأله عن حال (مفروكة اللبن) اى الفطير الذى يفرك باللبن بمعنى انه يعمل من الدقيق الابيض الناعم ويخبز فى الفرن او الجوره ويفرك اى يكسر بالايدى وهو حار ويوضع فى زبدية او مترد ويصب عليه الحليب حتى يغمره ويمتزج به ويصير مثل الثريد لينًا ناعمًا فى البلع والزلط لان الثريد فيه اللذة وهو افضل الطعام وفى الحديث الشريف فضل الثريد على سائر الطعام كفضل عائشة على نساء العالمين وورد ايضًا اثردوا فان فى الثريد بركة ثم قال الناظم (على زلطها) وكثرة شوقي اليها وحسرتي على بعدها (قلبي يرف رفيف) اصله رفيفًا الا انه مصدر حذفت الفه للضرورة اى يخفق خفقانًا زائدًا يشبه فى خفقانه رف جناح الطائر من شدة الوجد على زلط هذه المفروكة والزلط مشتق من الزلط بفتح اللام جمع زلطة وهى حجارة صغيرة ملساء تكون فى الرمال وسواحل البحر وسمى زلط الطعام به لملوسته واندفاعه من غير مضغ او لان اللقمة تحاكى الزلطة الكبيرة لان الزلطة لها قوة وسرعة فى رميها من اليد كما يقال زلطة فى راسك مثلًا يعنى جاءك ضربة زلطة فى راسك بسرعة حتى يؤثر ضربها فى رأسك فشبهت بذلك لانه يأخذ اللقمة منها بسرعة ويحذفها فى حلقه ويزلطها كما يحذف الرجل الزلطة بشدة وقوة وايضًا الفطير لين واللبن رطب فلا يحتاج الى مضغ اسنان ولهذا تأسف على فراق هذا المأكول وصار من شدة وجده عليه يرف قلبه ويخفق كالغصن الذى عليه طائر يتحرك ويرفرف بجناحه وهذا من كثرة الشوق ودواعى الشهوة وانتظار حصول المقصود والمطلوب فانك تجد العاشق دائمًا قلبه يخفق على فراق محبوبه

فلا يسكن الا اذا اجتمع به وتحدث معه ولاطفه فى الحديث وآنسه بالمسامرة فهنالك يزول عنابه وتسكن حواسه بأنسه بحبيبه واجتماعه به قال سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته

ومشبه بالغصن قلبى * لا يزال عليه طائر
حلو الحديث وانها * لحلاوة شقت مرائر
اشكو واشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر

اهـ ان كلام الاستاذ نفعنا الله به ومشربه ليس مما نحن بصدده ثم انه آلى على نفسه انه متى رأى لقانة ابن عمه الآتى ذكره ملآنة من الفت اكله كله لشدة شهوته وكثرة جوعه فقال

ص * (انا ان شفت لقانة ابن عمى مخيمر * ملآنة من الفتيت ملو طفيف)

ش قوله (انا) يعنى ابو شادوف لا احدا غيرى (ان شفت) اى رايت بعينى لا باذنى كما تقدم تعريفه (لقانة) تقدم بيانها واشتقاقها وتعريفها (ابن عمى) اخو والدى (مخيمر) سمى بذلك لانه كان له نقرة كبيرة يخمر فيها الجلة وربما بال فيها ايضا او لاتيانه بخميرة العيش لوالدته قبل خبزه او لاكله من العجين المخمر قبل تقريصه او لان وجهه يشبه الخميرة المشققة لبشاعته فانهم يعايرون بذلك ويقولون يا وجه الخميرة المشققة وقوله (ملآنة) اى اللقانة (من الفتيت) جمع فتة وهو تكسير الخبز لقما صغارا او كبارا واحسنها الصغار ويصب عليه العدس او البيسار حتى ييبس ويصير كقطع الحجارة (ملو طفيف) اى ملوا كاملا مطففا بمعنى انه زائد على حواف الاناء وهو مشتق من تطفيف الكيل او من طف الماء على الجروف اذا ارتفع عليها او من الطف محل بنواحى العراق من نواحى كربلاء التى استشهد فيها سيدنا ومولانا الامام الحسين رضى الله تعالى عنه وملخص قصته رضى الله عنه قيل ان معاوية لما مات ارسل يزيد لعامله بالمدينة ان ياخذ البيعة من سيد شباب اهل الجنة سيدنا الامام الحسين

فامتنع وخرج الى مكة المكرمة فاتت كتب العراق بانهم بايعوه
بعد موت معاوية فاشار عليه ابن الزبير بالخروج وابن عباس
وابن عمر وجماعة من الصحابة اشاروا بعدمه وبينوا له غدر اهل
العراق وما فعلوه بابيه واخيه رضي الله عنهم وقالوا له ان كان
ولابد فلا تأخذ اهلك معك فلم ينفذ ذلك فبكى ابن عباس وقال
واحسيناه وارسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى اهل العراق يأخذ
بيعتهم فأخذها وارسل اليه يستقدمه فخرج سيدنا الحسين
من مكة قاصدًا للعراق فعلم يزيد بخروجه فارسل الى واليه على
على الكوفة وهو عبيد الله بن زياد يامره بطلب مسلم وقتله ولم
يبلغ حسينًا ذلك حتى صار بينه وبين القادسية ثلاثة اميال
فلقيه جرير بن زيد التميمي فقال له ارجع فاني لم ادع لك خلفي خيرًا
واخبره الخبر ولقيه الفرزدق فساله فقال له قلوب الناس معك
وسيوفهم مع بني امية والقضاء ينزل من السماء فهم ان يرجع
وكان معه اخو مسلم فقال له لا نرجع حتى نأخذ بثاره او نقتل
وكان ابن زياد جهز اربعة آلاف وقيل عشرين الفًا لملاقاته
فوافاه بكربلاء فنزل ومعه خمسة واربعون فارسًا ونحو مائة
راجل فلقيه الجيش والتمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته
ليزيد بن معاوية فابى فقاتلوه وكان اكثر مقاتليه الكاتبين اليه
والمبايعين له فلما ايقن انهم مقاتلوه قام في اصحابه خطيبًا فحمد الله
واثنى عليه وقال قد ترون من الامر ما ترون وان الدنيا تغيرت
وتلونت وادبر معروفها واستمرت حتى لا يبقى منها الا صبابة الاناء
والا خسيس عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل
لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى فاني لا ارى الموت
الا سعادة والحيا مع الظالمين الا جرمًا فقاتلوه فكان آخر الامر
ان استشهد واستشهد معه سبعة عشر شابا من اهل بيته

وكانت هذه الواقعة بكربلاء كما رواه الطبرانى قال العلامة سيدى عبد الرؤف المناوى نفعنا الله به فى طبقاته فان قلت ينافيه ما ورد عن الطبرانى ايضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام قال اخبرنى جبريل ان الحسين رضى الله عنه يقتل بعدى بارض الطف وجاءنى جبريل بتربة منها واعلمنى ان فيها مضجعه (وما رواه سعد عن امير المؤمنين الامام على رضى الله تعالى عنه قال دخلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان فسألته فقال اخبرنى جبريل ان حسينا يقتل بشاطئ الفرات قلت لا تعارض لان الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر بارض الطف وهى من بلاد كربلاء فاندفع التعارض والتأم الكلام واستقام على احسن نظام هذا كلامه نفعنا الله به (ولما فعلوا به ما فعلوا اخذوا رأسه واتوا به الى ابن زياد فارسله ومن معه من اهل بيته الى يزيد ومنهم على بن الحسين وكان مريضا وعمته زينب فلما قدموا على يزيد سر سرورا كثيرا واوقفهم موقف السبى بباب المسجد واهانهم وبالغ فى اهانتهم ولما وضعوا الرأس الشريف بين يديه صار يضرب ثناياه بقضيب كان معه * (وقد اخرج ابو يعلى عن ابى عبيدة مرفوعا لا يزال امر امتى قائما بالقسط حتى يكون اول من يثلمه رجل من بنى امية يقال له يزيد * (وصح عن ابرهيم النخعى انه كان يقول لو كنت ممن قاتل الحسين ثم ادخل الجنة لاستحييت ان انظر الى وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم (وسمعت الجن تنوح عليه كما اخرجه به ابو نعيم وغيره (استشهد يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة احدى وستين وكسفت الشمس وقت استشهاده كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار واحمرت آفاق السماء مدة ستة اشهر واشتد الظلام حتى ظن الناس ان القيامة قامت الكواكب ترى فيها كالدم ومكث الدنيا سبعة ايام

كأنها علقة والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة تضرب بعضها بعضها بعضًا ولم يقلب حجر فى بيت المقدس يومئذ الا وجد تحته دم غبيط وصار الورس الذى فى عسكرهم رمادًا ونحروا ناقة فى عسكرهم فصاروا يرون فى لحمها نيران وطبخوها فصارت كالعلقم ولما ساروا برأسه الى ابن معاوية فقعدوا فى اول مرحلة يشربون الخمر فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرًا بدم وهو

ارجو امة قتلت حسينًا * شفاعة جده يوم الحساب ف

ولما وصلوا الى يزيد بن معاوية امر برد اهله الى المدينة وان يطاف بالرأس الشريف البلاد (وروى ابن خالويه عن الاعمش عن منهال ابن عمرو الاسدى قال والله رأيت رأس الحسين حين حمل وانا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ فى سورة الكهف حتى بلغ الى قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا فنطق الرأس الشريف بلسان عربى فصيح وقال جهارًا اعجب من اصحاب الكهف قتلى وحملى * وقال ابن حجر ورد من طريق عن على كرم الله وجهه عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب اهل الدنيا * واختلفوا فى راس الحسين بعد مصيره الى الشام الى اين صار وفى اى موضع استقر فذهبت طائفة الى انه طيف به حتى انتهى الى عسقلان فلاقاه اميرها فدفنه بها فلما غلبت الفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى الى لقائه من عدة مراحل ثم بنى عليه المشهد المعروف بالقاهرة وذكر آخرون انه حمل الى المدينة مع اهله ودفن بالبقيع والذى عليه طائفة من الصوفية انه فى المشهد القاهرى رضى الله عنهم اجمعين وقد تقدم ان الطف محل بالعراق من نواحى كربلاء واما الفرات فمبدؤه من بلاد قالى قلا من ثغور ارمينية من جبل هناك يدعى ابوزحس على نحو يوم من قالى قلا وهو يجرى فى ارض الروم

الى ان يأتى بلاد ملطية ومقدار جريانه على وجه الارض نحو
خمسمائة فرسخ وقيل اكثر من ذلك والاكثر من مائة ينتهى الى بلاد
للحيرة وهو نهر بين الى هذا الوقت يعرف بالعتيق وعليه كانت وقعة
المسلمين مع رستم وهى وقعة القادسية فيصب فى البحر الحبشى
وكان البحر يومئذ فى الموضع المعروف بالنجف وكان يقدم عليه
سفن الصين والهند وترد الى ملوك الحيرة وقد ذكر ان خالد
ابن الوليد المخزومى لما اقبل يريد الحيرة فى خلافة ابى بكر الصدّيق
رضى الله عنهما وذلك بعد فتح اليمامة ورآه اهل الحيرة فتحصنوا منه
فى القصر الابيض وقصر القادسية وقصر بنى نفيلة وهذه القصور
كانت بالحيرة وهى الآن خراب لا انيس بها وبينها وبين الكوفة ثلاثة
اميال فلما نظر خالد بن الوليد الى اهل الحيرة وقد تحصنوا منه
امر العساكر ان تنزل بالنجف واقبل خالد على فرسه هو وضرار بن
الازور الاسدى وكان من فرسان العرب فوقفا قبال قصر بنى
نفيلة فجعل العباديون يرمونهما بالخزف فصار فرسه ينفر فقال
له ضرار اصلحك الله ليس لهم مكيدة اعظم مما ترى فمضى خالد فنزل
فى عسكره وبعث اليهم ان ابعثوا اليه رجلا من عقلائهم وذوى
انسابهم يسائله عن امرهم فبعثوا اليه عبد بن عمرو بن قيس بن حيان
ابن نفيلة وهو الذى بنى القصر الابيض فاتى خالدا وله يومئذ
ثلثمائة وخمسون سنة فاقبل يمشى فنظر اليه خالد وهو مقبل فقال
من اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من صلب ابى قال فمن اين جئت
قال من بطن امى قال فعلام انت ويحك قال على الارض قال فيم انت
لاكنت قال فى ثيابى قال اتعقل لا عقلت قال اى والله واعى قال
ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال اخزاه من اهل بلد كلما اريد
ان اساله عن الشئ يحيد عن غيره قال والله ما اجبتك الا بما سألتنى
قال اعرب انتم ام نبط قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا

قال احرب انتم ام سلم قال لا بل سلم قال فما بال هذه الحصون قالت
بنيناها للسفيه نحبسه حتى يأتي الحكيم فينهاه قال كم لك من السنين
قال خمسون وثلثمائة سنة ادركت سفن البحر تأتي الينا في هذا النجف
بمتاع السند والهند وامواج البحر تضرب ما تحت قدميك وانظر
كم بينها اليوم وبين البحر ورايت المرأة تأخذ مكيلها فتضعه
على رأسها لا تتزود الا رغيفا واحدا فلا تزال في قرى عامرة متواترة
وعمائر متصلة واشجار مثمرة وانهار جارية وغدران مندفقة حتى
ترد الشام وتراها اليوم قد اصبحت خرابا وذلك دأب الله في البلاد
والعباد فرحمه خالد ومن حضره لما سمعوه منه وعرفوه وكان
مشهورا في العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل وكان معه
سم ساعة فقال له خالد ما تصنع به قال اتيتك فان يكن عندك
ما يسرني ويوافق اهل بلدي قبلته وحمدت الله عليه وان يكن غيره
لم اكن اول من ساق الى اهل بلده حزنا وبلاء فاكل هذا السم واستريح
من الدنيا فانه ما بقي من عمري الا اليسير فقال له خالد هاته فاخذه
ووضعه في راحته ثم قال بسم الله وبالله رب الارض والسماء بسم الله
الذي لا يضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء ثم استفه فتجللته
غشية وضرب بذقنه في صدره ساعة ثم افاق كانما نشط من عقال
فانصرف العبادي الى قومه وكان عبادي المذهب وهم النسطورية
من النصارى فقال يا قوم قد جئتكم من عند شيطان اكل سم ساعة
فلم يضره فصالحوه واخرجوه منكم فصالحوه على مائة الف درهم
قال المسعودي وانما ذكرنا هذه الحكاية لتكون شاهدة لما قلنا
من تنقل البحار وتقلب العيون والانهار على مرور الدهور والاعصار
وحكاها شهاب الدين بن العماد في حكايته في النيل السعيد كذلك
ثم ان الناظم نبه على عدم الاكتفاء برؤيته وانه لا يكفيه الا اكله جميعه فقال

ص * (قشرته جميعو ما تركت بقيتو * لغيري ولا عندي بدا توقيف) *

ش قوله (قشرته جميعو) القشر في الاكل وغيره اخذ الشيء جميعه او اتلافه ويتفاءل به فيقال كعب فلان اقشر ومنه يقال اكعاب واعتاب ونواصي ويقال امراة قشراء ورجل اقشر يعني انه قليل البركة قليل الرزق تأتي قلة البركة وقلة الرزق عند حلوله ودخوله على الشخص ونحو ذلك * وكان في قريتنا رجل قصاب يقال له سكيكر عشق امراة جميلة يقال لها كعب الخير فلما شغف بحبها ماتت وتحسر على موتها وحزن عليها حزنًا شديدًا فقال فيه بعض الادباء (مواليا)

صحبة سكيكر لكعب الخير كانت قال لو كعب اقشر قشرها بالعجل في الحال
لو شارني الموت او شفتو على الاهمال قلت اقتلع بو وخلي كعب في الخلخال

ومنه قصة طويس المذكورة في الكتب وكلها اسباب يجريها الله تعالى على يد من يشاء من خير او شر والا ففي الحديث الشريف لا عدوى ولا طيرة ولا فال (ونعق غراب) فقال رجل خير ان شاء الله فسمعه بعض العارفين فنهر الرجل وزجره وقال له لا تقل هذا هل الخير والشر الا بيد الله تعالى وقوله (قشرته جميعه) اي اكلته جميعه ولا ابقى منه شيأ لغيري وعندي مجاعة شديدة فمتى رايته لا ابقي منه شيأ وهذا من قبيل قلة البركة لان الشخص اذا شره في الطعام وارخى نفسه عليه واكل منه زائدًا عن القدر المعتاد ضره وآذاه وتولد منه الامراض ولهذا قيل * واكثر موت الناس بالتخم قال الشاعر

اذا شئت ان تحيى صحيحًا منعمًا * فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره * اذا قل اكل المرء عاش طويلا

قيل اجتمع عند ملك الهند ثلاثة من الحكماء هندي ورومي ومصري فقال لهم الملك ليصف لي كل واحد دواءً لا داء معه فقال الهندي الدواء الذي لا داء معه ان تفطر كل يوم على شيء من بزر الهندبا وقال الرومي الدواء الذي لا داء معه ان تفطر كل يوم على ثلاث جرعات من الماء الساخن وقال المصري الدواء الذي لا داء معه،

ان لا ناكل الا بعد الجوع وان نقوم وانت تشتهى الطعام فانك لا ترى علة الا علة الموت فقالوا كلهم صدق المصرى * ولما ارسل المقوقس ملك مصر الى النبى صلى الله عليه وسلم الجاريتين مارية وسيرين وكانتا من مدينة انصنا التى الآن خراب على شاطئ النيل من اقليم الصعيد وارسل له البغلة المسماة بدلدل وارسل له عسلا من بنها قرية من قرى مصر من نواحى القليوبية وارسل مع هذه الهدية حكيما وقال ان قبل الهدية ورد الحكيم فهو نبى فلما وصلت الهدية والحكيم الى النبى صلى الله عليه وسلم قبلها ورد الحكيم وقال نحن قوم لا ناكل الا بعد الجوع واذا اكلنا لا نشبع فلا نحتاج الى حكيم فلما بلغ المقوقس ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم قال يا له من نبى عظيم جمع الحكمة فى كلمتين وفى الحديث جوعوا تصحوا * فالجوع محل النشاط للعبادة ويتولد منه صحة للجسم وعدم الامراض خصوصا لاصحاب الرياضات وارباب الخلوات فان نتيجتهم فى ذلك الجوع لما ذكره العارف بالله تعالى الامام البونى فى بعض كتبه انها لا تصح رياضة من احد وفى قلبه مثقال حبة من شبع واما كثرة الاكل فانها تنشأ من امور اما من شدة الشره على الطعام او يكون ذلك عادة فقد رأينا من اكل الماجور الطعام ولم يشبع ورأينا من اكل مائة بيضة مشوية ولم يشبع وكان بعض الجبابرة ياكل الفصيل مشويا فى غدائه فاكله يوما واراد ان يجامع زوجته فامتنعت فعاتبها فقالت كيف تصل الى وبينى وبينك فصيل * وذكر سيدى محيى الدين بن العربى نفعنا الله به فى مواقع النجوم ان ابن عبد الملك كان اكولا فمر برجل معه زنبيلى بيض مشوى وتين فاكل ما فيهما فمرض ومات بذلك * وكان الوليد من ملوك بنى امية جبارا عنيدا وكان يشرب الزق الخمر وياكل الفصيل وفتح المصحف فرأى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فخرقه وانشد يقول

تهددنى بجبار عنيد * وانى ذاك جبار عنيد

اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يا رب مزقني الوليد

وهذا كله من تعنته وتجبره * وكان المأمون يأكل كثيرا فاصطنع
له بعض الحكماء المأمونية فصار يأكل منها فانسدت معدته وقل
أكله لأن قليلها يغذي الشخص ولهذا انسبت اليه * واما ما اتفق
لبعض الاولياء من انه كان يأكل الطعام الكثير الذي يكفي الجماعة
الكثيرة فانما هو من باب التصريف واظهار الكرامة * وقال ابن خلكان
كان سليمان بن عبد الملك يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامي وكان
به عرج * وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه ان سليمان بن عبد الملك
المذكور كان نهما في الاكل وقد نقل عنه اشياء غريبة فمنها انه
اصطبح في بعض الايام باربعين دجاجة مشوية واربعين بيضة
واربعة وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة ثم اكل مع الناس في السماط
العام ومنها انه دخل ذات يوم بستانا له وكان قد امر قيمه ان يجني
ثماره ويستطيب له منها وكان معه اصحابه فاكل القوم حتى اكتفوا
واستمر هو يأكل اكلا ذريعا ثم استدعى بشاة مشوية فاكلها ثم
مال الى الفاكهة فاكل منها اكلا ذريعا ثم أتى بدجاجتين مشويتين
فاكلهما ثم مال الى الفاكهة فاكل منها اكلا ذريعا ثم أتى باناء يقعد
فيه الرجل مملوءا سمنا وسويقا وسكرا فاكله اجمع ثم سار الى دار
الخلافة واتى السماط فاكل مع الحاضرين كأنه ما اكل شيأ ومنها
انه حج فاتى الطائف فاكل سبعمائة رمانة وخاروفا وست دجاجات
واتى بمكول عنب فاكله اجمع ومنها انه كان له بستان فجاءه رجل
ليضمنه ودفع له قدرا من المال واستؤذن في ذلك فدخل
البستان لينظره وجعل يأكل من ثماره ثم اذن في ضمانه فلما قيل للضامن
احمل المال قال كان ذلك قبل ان يدخل امير المؤمنين * وقيل
كان سبب موته انه اكل اربعمائة بيضة وثمانمائة تينة واربعمائة كلوة
بشحمها وعشرين دجاجة محمرة وفشت الحمى في عسكره وكان موته بالحمى انتهى

والله اعلم (قيل) مر رجل اكول فى سفره واجتاز بقرية فأضافه انسان واجلسه وكانت زوجته فى الفرن تخبز العيش فاتاه بجانب من الخبز وذهب يأتى بالادم كلما رجع وجده قد اكل الخبز جميعه فوضع عنده الادم وذهب ياتى له بخبز آخر ورجع فوجده اكل الادم جميعه ولم يزل على هذه الحالة حتى اكل جميع ما خبزته زوجته وكذا اكل الادم فقال له الرجل يريد معه المداعبة والمباسطة لما رأى منه هذه الحالة الى اين تمضى فقال الى مصر قال الك حاجة فيها قال نعم قال له وما هى قال وصف لى بها طبيب حاذق فقصدت الذهاب اليه قال لاى شئ قال انا رجل قل اكلى وانسد معدتى ومرادى منه شئ يصفه لى لعلى اقطع فى الاكل قال له الرجل انا بقالى عليك احسان ولكن سالتك بالله اذا قضيت حاجتك من الطبيب ورجعت فلا تمر على منزلى ان كان هذا فعلك ومعدتك مسدودة فكيف اذا اتسعت ثم انه اخرجه من منزله وتوجه الى حال سبيله (وقوله ما نزلت بقيتو لغيرى) اى لاحد غيرى قريب او بعيد (ولا عندى بذا توقيف) اى لا اتوقف فى الاكل ولا استحى من احد اذا كان ماشًا ولا اعزم ولا اطعم غيرى منه ولا انظر فيه ان كان باردًا او حارًّا او مقاربًا او من حرامٍ او من حلال فعلى كل حال لا انظر لهذا المعنى ولا التفت لهذا الامر ولا اطعم غيرى ✦ ثم ان الناظم تشوق الى ما كول من السمك المالح يقال له الفسيخ وتمناه واشتهاه فقال

ص ✦ (انا خاطرى اكلت فسيخ على الندى ❀ اضال عليها باكيا واسيف) ✦

ش (قوله انا) يعنى ابو شادوف لا غيرى كما تقدم معناه فى ابيات غير هذا (خاطرى) اى مرادى ودائما يخطر ببالى ذلك الامر وانا متشوق اليه ومشتهيه ومنتظره وهو (اكلت فسيخ) والاكلة واحدة الاكل والفسيخ نوع من السمك يقال له اليورى ونوع آخر

يقال له الطوبار يأخذونه ويضعونه على بعضه البعض
بعد أن يضعوا على كل رصة جانبا من الملح فينتقع به ثم يسيل
منه ماء ثم يضمر ويصلحه الملح ويشتد ثم انهم يأخذوه ويبيعوه
ويأكله اهل الريف وغيرهم يأخذون الفسيخة منه ويشقون
بطنها ويضعها الرجل او المرأة على يده اليسرى او في يديه الاثنين
ويعصر عليها الليمون وينتش منها القمة لقمة يأخذ بفمه القطعة اللحم
ويأخذ عليها اللقمة الخبز فيصير مثل الكلب الذي ينهش في الرمة
مثلا ويغلو فمه ويديه القذارة والرائحة الخبيثة ويأكلونه
حتى في الاسواق واغرب من هذا انه اخبرني من اثق به من
اهالى سمنود انه دخل مطهرة مسجد ولي على البحر يقال له العدوي
نفعنا الله به فرأى شخصا من الارياف قاعدا في بيت الخلاء ومعه
فسيخة ورغيف يأكل منهما فقام عليه وقال له تأكل في بيت الخلاء
فقال له انت تطردني من بيت الخلاء وهو مسجد المسلمين والا
مرادك تأخذ مني الفسيخة فخرج من غير استنجاء والفسيخة في
يده وراح الى حال سبيله * ولكن له عند نساء الارياف موقع عظيم
وشهوة لا يعدلها شيء خصوصا اهالى الكفور وبلاد الملق
فانهم لا يرونه الا من النيل يجيء لهم من دمياط ورشيد في المراكب
ويباع عندهم بالقمح والدراهم ولهم فيه رغبة زائدة ويجلب للصعيد
وغيره وهو مشهور ببلاد مصر * واما فسيخ البطارخ فانهم يبقوه
في الهواء الى ان يجمد ويصير يابسا عن الفسيخ وهو مأكول الاكابر
وسمي بطارخا لان جوفه ملآن بطروخ بخلاف الفسيخ فانه خالي
عن ذلك ويأكلون لحمه بالخل والزيت وربما اضافوا اليه الثوم
والبصل المخروطين والحرارات وهو شهوة عظيمة في بلاد المدن
وغيرها يتكلفون الاكلة منه كلفة زائدة ويأكلونه وحده ويسمونه
صرصر بكسر الصاد الاولى ويجعلون البطارخ الذي في جوفه

فى اناء ثانى ويضعون عليه الزيت الطيب او الشيرج وكل هذا له لذة عظيمة لكنه حار يابس واعتدال اكله فى الشتاء وسمى الفسيخ فسيخا لتفسيخه عند الاكل او ان الذى صنعه اولا خرج منه ريح عند اكله فشمه آخر فقال فسى اخ فركبوا ها بين الكلمتين وجعلوهما علما وقالوا فسيخ * قيل سمع بعض اهل الريف قارئا يقرأ قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فقال له يا شيخ وفيها فسيخ فقال نعم وفيها ما تشتهى نفسك الخبيثة وقوله (على الندى) اى وقت نزول الندا لاجل برودة الزمن لان الفسيخ حار يابس فاذا كان فى اول النهار ربما اعتدل اكله هذا اذا كان فى زمن الصيف واما زمن الشتاء ففى اى وقت كان ويستحب ان يشرب عليه شراب حلو او يؤكل عليه تمر فانه يذهب ضرره واذاه وقوله (آضال) تقدم معناه (عليها) اى على هذه الحالة والاكلة من الفسيخ لشدة شهوة نفسى الخبيثة اليها (باكيا) اى استمر على عدم حصول هذه الاكلة باكيا والبكاء هو غرغرة الدموع وسقوطها على الخدود ويقال بكت السماء اذا نزل منها المطر وبكاء السحاب قال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قال الشاعر

ولكن بكت قبلى فاورثنى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وهو مشتق من بك الجرح اذا خرج منه الدم وقوله (وآسيف) سكنه لضرورة النظم لان اصله آضال اسيفا على هذه الاكلة حتى تحصل لى فلا انفك عن الحزن حتى آكل منها واشبع والاسف هو شدة الوجد على فقد الحبيب وبعد الصديق قال الشاعر

وما اسفى الا على من اوده * ومن لا اودو ما عليه ملام

وقول بعضهم وما عتبى الا على من اوده * ومن لا اودو ما عليه عتاب

وقال بعضهم
اعاتب ذا المودة من صديق * اذا ما رابنى منه اجتناب
اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

ولبعضهم وانت اخى ما لم تكن لى حاجة * وان عرضت ايقنت ان لا اخا ليا

ولست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا
وقال (لما رأيت بنى الزمان وما بهم * خل وفى للشدائد اصطفى) آخر
(ايقنت ان المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى)
وقال صديقك فى هذا الزمان منافق * وخلك خل زره واحذر بوائقه آخر
ونافق فقد آن النفاق ولا تخف * كسادا فاسواق المنافق نافقه
فلا تخش الا الله لا رب غيره * فما رفع الدنيا لحر ولا ثقه
وقال زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لا يذاق آخر
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق
وقال انت ما احتجت الى الصبا * حبك الدهر اخوه آخر
واذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه * لو رأى الناس نبيا * سائلا ما وصلوه

وقيل فى الفرق بين الصاحب والصديق والخليل والحبيب * ان الصاحب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك ويحزن لحزنك ويعادى من تعادى ويصاحب من تصاحب * والخليل من طالت عشرته بك وتخللت محبته فى الاعضاء * والحبيب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك الخ وتخللت محبته فى الاعضاء واو طلب الفداء لفديته بمالك وبروحك * ثم ان الناظم انتقل من شهوة الخبز الى الطيب فقال

ص * (على من نضر فى فرن دارو طواجن * زغاليل من برج ابن ابو شعيف)

ش قوله (على من نضر) بالعين (فى فرن) وهو ما تضرم فيه النار ويخبز فيه الخبز وتقدم تعريفه فى الجزء الاول من هذا الكتاب (دارو) اى دار الناظم فالضمير فى داره راجع اليه يعنى لا يكون فى دار غيره ولا تكون الطواجن فى فرن غير فرنه لاجل ما يصير مطمئن الخاطر منشرح الصدر اذا حصل له ذلك وقوله (طواجن) جمع طاجن وتقدم تعريفه ثم ان (زغاليل) وهى افراخ الحمام البرجى المتخذ من الابراج ويقال له الحمام الغيطى لانه يرعى فى الغيطان

ومحلات الزرع والاجران وأكلها نافع يقوي الباه اذا اضيف
اليها الحرارات والسمن البقري فلا تسأل عن جودة طعمها ولذة اكلها
والحمام اسم جنس شامل لكل ما عب وهدر ثم انه بين ان الزغاليل
التي اشار اليها لا تكون الا (من برج) لا من الزغاليل المتولدة من حمام
البيوت والبرج واحد البروج ويطلق على برج القلعة وبرج الكواكب
والكلام هنا على برج الحمام وهو بناء مستدير حول بعضه البعض
فيه قواديس فخار ياتي اليها الحمام البري ويبات في تلك القواديس
ويفرخ ويخرا فيها ايضا ويسمون خراه عندهم رسما لياخذونه
لزرع البطيخ والبصل يطعمونه به وامره عندهم مشهور ويأخذون
من فراخه ويبيعون ويذبحون وهكذا في سائر البلاد واسم
الزغاليل مشتق من الزغللت وهو نبات ازرق اللون شبهت به الزغاليل
لزرقة ريشها او انه مشتق من الزغلية طائفة يصنعون الفضة
الزغل ويسمونها العصافير ويسمون القرش فرس والفحم الذي يصنعون
به زبيب والكير الذي ينفخون به الشيخ ولهم اصطلاح في هذه الصنعة
لكن تراهم دائما في شدة خوف من الحكام وطمع زائد وقلة بركة *
(وسئل الامام الشافعي رضي الله عنه عن الكيمياء فقال اعرف من
افتقر بها لا من استغنى فكذلك الحمام في كل قليل من الايام يدخلون
عليه ويأخذون افراخه ويذبحونهم ويبيعون منهم فهم دائما في خوف
مثل الزغلية وواحد الزغاليل زغلول كما ان واحد الهبابيل هبلول
والبرج مشتق من التبرج وهو المباهات بالزينة قال تعالى ولا متبرجات
بزينة (مسئلة هبالية) هل بين الحمام الطائر وبين الحمام المعروف
ببلاد المدن المعد للغسل ونظافة الاجساد مناسبة مع ان اللفظ
واحد لا يختلف الا بتشديد الميم الاولى ام كيف الحال (قلنا) الجواب
الفشروي ان المناسبة يمكن حصولها من وجهين وجه قياسي
ووجه طبي فالوجه الاول ان الحمام فيه ازدحام الناس وكثرتهم

على الحيضان والمغاطس وائتلافهم مع بعضهم البعض وانبساطهم بالكلام والمنادمات ونحو ذلك وكذلك برج الحمام فيه ازدحام الحمام على بعضه البعض وائتلافه ودخوله القواديس لافراخه وتغريده وتهديره وغير ذلك فكانت قواديسه تشبه للحيضان والمغاطس ودخوله لافراخه يشبه الخلاوى والاجتماع بالاولاد المرد لاجل التكبيس والتحسيس ونحوه وصعوده بعد ذلك الى اعلى البرج وذهابه لاكتسابه رزقه مثل خروج الناس من الحمام يكتسبون ارزاقهم ومعاشهم كما فى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو اخماصا وتروح بطانا فهذا هو وجه القياس الفطيسى (والوجه الثانى) ان الحمام حار رطب ينفع جميع الاعضاء اذا كانت حرارته معتدلة واحسن الحمامات ما قدم بناؤه واتسع فضاؤه وفيه منافع كثيرة حتى قيل انه الطبيب الابكم وكذلك لحم الحمام فانه مسخن محرك للباه وان كان فى افراخه الرطوبة والغلظ لاسيما اذا اضيف اليه الحرارات كما تقدم فان نفعه يكون تامًّا واجوده الحمام البرى واما الذى فى البيوت فان المداومة على اكله يتولد منها الحمى وزيادة الدم فكان فى ذلك المناسبة للحمام من هذا المعنى * فاتجه الجواب عن وجه هذا السؤال * (واما اسم الحمام الطائر فانه مشتق من الحوم وهو التردد فى الطيران يقال حام الطائر يحوم اذا فعل ما تقدم ومصدره حام يحوم حومًا (واما الحمام المبنى فانه مشتق من الحمى وهى السخونة لان الشخص اذا دخله صار كانه متلبس بالحمى لما يعتريه من الحرارة وحدوث العرق او من الحموم وهو الغطوس فى الماء من قولهم فلان استحمى فى البحر بمعنى انه سبح فيه وغطس او من الحميم وهو الماء الشديد السخونة والحرارة ويطلق على الصديق المحب لما فى المحبة من شدة الحرارة والشوق

ومنه قوله تعالى فما للظالمين من حميم ولا شفيع اى محب يشفع لهم ولشدة حرارته وقوة انفعاله شددت ميمه الاولى * (واما الحِمام بكسر الميم فهو الموت فان حاءه ما كسرت الا لان الشخص يكون فى حال حياته فى شدة وقوة فاذا مات انخفض حاله ومضى حكمه ولم يبق الا اثره قال الشاعر

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وهو مشتق من الشدة يقال حم الامر اذا اشتد ولا شك ان الموت شدة عظيمة فى معالجة الروح وخلوصها من الجسد ونحو ذلك *

انتهت الابحاث الفشروية والمصادر الهبالية وقوله (ابن) ويطلق عليه ولد ونجل يقال ولد فلان ونجل فلان (ابو شعنيف) اصله ابو لكن لم يساعده نشا الحرفية فى الكلام وهذه كنيته واما اسمه الاصلى فهو عفلق او بعلق على ما قيل وابنه المذكور فى النظم اسمه فلحس وهو من اسماء الكلب واشتهاره بهذه الكنية لانه كان يسرق للخنشر المسمى بالنيف المتقدم ذكره ويضعه للبهائم فشاع خبره بالسرقة وصار يقال فى البلد شاع بالنيف اى بسرقة النيف ثم انهم نزعوا الجار والمجرور وابقوا الفعل والاسم وركبوه تركيبا مزجيا وقالوا ابو شعنيف وهو مشتق من الشعنفة على وزن القلحفة ولعلها بمعناها ومصدره شعنف يشعنف شعنفة * ثم ان الناظم بين كيفية اكله فى الزغاليل وانها تؤكل بالفطير فقال

متن * وفطر فطائر من فطير ابن عمه * ويقعد لها قعدة غلام خسيفه

شر قوله (وفطر) على وزن وشمّر قال الشاعر

وشمّر عن اير وطرطر عامدًا * عليها ببول فهى فى البول تغرق

ومعناه انه يقول اذا حصلت لى تلك الطواجن الزغاليل وقضى الله مرادى بحصولها عندى لا يلذ لى اكلها الا بالفطير فلهذا قال (فطاير) مصدره مثل عمل عمايل ومثل قشر قشاير ومعناه ابطط او اصنع فطيرا والفطاير جمع فطيرة وتجمع على الفطير مثل خميرة وخمير

او حمارة وخمير والفطير ثقيل غليظ لا يوافق الآدمي لانه يولّد
الارياح هذا اذا اكل وحده واما مع غيره فلا باس به وهذا كله في فطير
الريف الذي اراده الناظم فانهم ياخذون الدقيق لا غير ويعجنونه بالماء
من غير خمير ويضعونه في الفرن او يدمسونه في الجورة ويقال له فطير
دماسي ثم انهم يأخذونه وياكلونه فهذا هو الثقيل المنهي عنه •
واما الفطير الذي تفعله الاكابر فهو من الدقيق العلامة ويبسّونه
بالسمن والعسل النحل فهذا لا بأس به وكذلك الذي يصنعونه
وقت عجنه بالسمن ويخبزونه للفطور ونحوه فهذا لا بأس به ايضا
بل هو المطلوب وقوله (من فطير ابن عمة) واسمه غنداق اي يكون
ابن عمة يتبرع له به من غير مقابل او يعيره الدقيق حتى يفتح الله عليه
ويردّه له او يهبه اياه او يتمكن من سرقته ويخبزه في فرن او الجورة
ويخرج الطاجن الزغاليل من الفرن ويفتّ في مرقها الفطاير المذكورة
ويتاهب للاكل منها (ويقعد لها) اي للزغاليل او لمجموع ذلك (قعدة)
اي مثل قعدة (غلام) وهو الذي اطر شاربه قال الشاعر

منا الغلام الذي اطر شاربه * والعانشون ومنا المرد والشيب

وقيل الغلام من بلغ تسع سنين من حين الفطام وقيل من جاز الكمال
والشدّة وقوله (خسيف) صفة للغلام اي عنده خسافة اي تفكر
وكآبة وشدة حزن فاكون مثله عند تفكر وشدة جوع فما اصدق
آن ارى هذا الطعام وهذا الفطير واكل منه حتى اكتفي ويذهب
جوعي وتنقضي شهوتي مثل الغلام الذي اعتراه الحزن والاسف
وقعد متفكرا حتى يذهب الله حزنه ويجمعه على احبابه فيزول همّه
ويسرّ بلقائهم فان اجتماع الاحبة عيد كما اتفق ان بعض
العارفين مرّ برجلين ياكلان في رمضان فقال لهما ما امركما
فالاخر محب صادق فرّقنا الدهر مدة ثم اجتمعنا في هذا اليوم
واجتماع المحبين عيد وصوم يوم العيد حرام فقال يا علامة محبتكما

فقال أَحدُهما اجرح ذرَاعي فجرحه فخرج الدم من ذراع الآخر من غير
جرح فصَارت ارواحهما واجسَادُهما كانها روح واحدة في جسد واحد
كما قال ابن العربي نفعنا الله به   نحن جسْمان لجسْم واحدٍ * نحن روحان حللنا بدنا
وقال ايضًا   وَلمّا التقينا للوداع حسبتنا * لدى الضم والتعنيق حرفًا مشددا   عفى عنه
ونحنُ وان كنا مثنّى شخوصنا * فما تبصر الابصار الا موحّدا

ومن هذا المعنى كثير من مشرب المحبّين ومطلب العارفين نفعنا الله بهم اجمعين

قال ابن هاني   لم يخلق الرحمن احسن منظرًا * من عاشقين على فراشٍ واحدٍ   عفى عنه
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعِد
واذا تألفت القلوب مع الهوى * فالناس تقطعُ في حديد باردِ
واذا صفا لك من زمانك واحدٌ * نعم الصديق وعش بذاك الواحد

وله ايضًا   لا يعرف العشق الا كل من عشقا * وليس من قال اني عاشق صدقا   رضي الله عنه
للعاشقين بحور يعرفون بها * لانهم عالجوا الاشواق والحرقا

وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المتحابين في الله في ظل العرش * وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش * ثم ان الناظم انتقل الى شهوة اخرى تمناها فقال

ص * (على من نضر طاجن سمك في فرينه * ولو كان يا اخواني بلا تنضيف)

ش قوله (على من نضر) بعينه لا سمع باذنه (طاجن) ملان (سمك) والسمك اسم جنس شامل لانواع كثيرة احل الله تعالى اكله هو والجراد حيًّا وميتًا وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال والكبير من السمك باردٌ رطبٌ غليظ والصغير باردٌ رطبٌ لطيف واجوده الطريّ واذا طبخ بالسمن والبصل والبهارات الحارّة اعتدل وزاد في الباه والمالح احرّ من الطري وايبس ونفعُ الكبير منه ان يؤكل مع شراب عتيق وفالوذج خصوصًا اذا كان متخذا من ماء عذب جاري والمقلي منه اولى من غيره قال بعض الحكماء كل منه ما تفلس واترك منه ما تملس والمتفلس منه

مثل البورى والقجاج والبنى فان كل واحد منها له لذة عظيمة وتفاوت فى الطعم واللذة فاما البورى فيحشى بالبصل والحرارات ويعمل على الارز المفلفل ويعمل ايضا فى الطواجن مرقة وغيرها وله لذة عظيمة ويعمل ايضا بالكشك وقد اكلته فى دمياط مرارا ويعمل ايضا بارز لكن قليل عن المفلفل يضيفون عليه ماء الليمون ويسمونه فقاعية واكلته وله لذة عظيمة وطعمية لطيفة * واما القجاج فانه اعلى رتبة واطيب طعما من البورى وهو يشبه الشبار الكبير وفى المثل اذا عدم الدجاج كل القجاج ويتنوع فى الاطعمة مثل البورى * واما السمك البنى فانه الذ فى الطعمة من الكل ولا يوجد الا فى قاع البحر العذب يحتالون على صيده ويأخذونه ويهادون به الاكابر والامراء والوزراء وهو جيد الطعم كثير النفع عن غيره خصوصا اذا قلى وحشى فلا تسال عن لذة طعمه فانك تود ان تاكل اصابعك من حسنه وفى المثل عن لسان حال البنى ان رايت احسن منى فلا تاكلنى * ونوع فى السمك يقال له شبار له لذة فى الطعم والماكل وقد ورد انه ياكل من حشيش الجنة وكل هذا بعيد عن مقصد الناظم وانما مراده السمك الذى يصيد من بلاده لما ينزل عنها ماء النيل وتصير البرك والنقر ملآنة بالماء فيتولد فيها سمك فراميط سود وشبار صغير وصير ونحو ذلك فتنزل اولادهم ويصيدون منها فيأتون به وينظفونه ويضعونه فى الطواجن ويضعون عليه شيئا يسيرا من الزيت الحار وبعض بصل مخروط ويضعونه فى الفرن الى ان يأخذ قوامه فياكلونه بخبز الاذرة او الشعير ويصير له زفرة ورائحة كريهة وهو عندهم الذ الماكول ويأتون بالقراميط السود الصغار ويدمونها فى الجورة الى ان تنضج يسيرا وياكلونها اعاذنا الله من ذلك ويذكر السمك تذكرت مما اتفق ان رجلا كان يهوى امراة بديعة الحسن والجمال وكان زوجها من اخواننا المطاعيم المغفلين فمر عليها عاشقها وما

وقال لها طال الموعد فقالت له فى غد تأتينى فى آخر النهار ثم انها اصبحت وقالت لزوجها قد اشتهينا السمك نطبخه فى هذا اليوم وناكله فمضى الى السوق واتى به فنظفته واصلحت شأنه ووضعته فى طاجن كبير وقالت له خذه وامض به الى الفران وارحنا من طبيخه وقل للفران يرسله مع غلامه آذان العصر فاخذه زوجها وذهب به الى الفران واعلمه بما قالت زوجته فقال له سمعا وطاعة ثم ان الفران ارسله لها فى الوقت المعلوم فبينما هى جالسة واذا بصاحبها الذى وعدته يطرق الباب ففتحت له وطلع واكل من ذلك السمك وتمتع بحسنها وجمالها وقضى منها مراده فبينما هو معها فى الحديث اذ طرق زوجها الباب فارتعب الرجل فقالت له لا تخش من شئ والزم الصمت ولا تتكلم ثم انها فتحت لزوجها الباب واظهرت له الحزن والبكاء فقال لها ما الذى اصابك فقالت له اسكت يا راجل لما تسكن روحى فى قلبى انا لم اقدر ارد عليك وكانت وقعتى معك وقعة الشوم ازاى الفران يرسل الولد بالطاجن السمك فلما كشفتو ناكل منو طلع لى راجل من جوا الطاجن وقعد ومن خضتى منو خايفه لا يطلع على شئ واهو قاعد ولولا استحيت كنت خرجت الى السكه وانا طول عمرى ما حد شافنى ولا نعرف حد غيرك قال فطلع زوجها يجرى حتى طلع الى الرواق فرآه جالسا بجانب الطاجن فقال له ذلك الملعون من حطك فى الطاجن يا ترى هو الفران والا صبيو فلم يتكلم بشئ فعند ذلك قالت له زوجته خدو وروح بيه الى الفران وهو يخبرك بحقيقة الحال وقل لو من ذا الوقت لا نحط فى طاجننا حد يخوفنا ويشوش علينا قال فمسك الرجل من يده وتوجه به الى الفران واعلمه بالقصة فعرف الفران الامر وتحقق القضية فقام وعمل انه يضرب الرجل وقال له انا وضعتك فى طاجن اللحم خالفتنى ونزلت فى السمك ان بقيت تخالفنى

شوش عليك ونضربك فقال الرجل للقران ياسيدى ما عدت اخالفك ابدًا الطاجن الذى توضعنى فيه لا اطلع منه ابدًا ثم ان القران قال لزوجها اخبر زوجتك انى شوشت عليه ولا بقى ينزل فى طاجنها ابدًا قال فمضى زوجها واخبرها بالقصة ففرحت وقالت ان عاد يحط لنا احد فى طاجننا ما بقينا نطبخ عنده شئ ابدًا ثم تركها زوجها ومضى الى اشغاله فانظر الى هذا التغفل العظيم * ومن العجائب ان بعضهم صاد سمكة فرأى مكتوبًا على جانبها بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله فاطلقها لاجل كلمة التوحيد والشهادة * واعجب من هذا ان بعض الاولياء كان فى سفينة فهاجت الريح واشرفت السفينة على الغرق فقال هذا الولى اسكن ايها البحر فانما على ظهرك بحر مثلك اى بحر من العلوم فسكن البحر وبطل الريح باذن الله تعالى فخرجت من البحر سمكة عظيمة وخاطبت هذا العارف وقالت له تزعم انك ولى وبحر فى العلوم والمعرفة ولكن انا اسئلك عن مسئلة ارد جوابها قال قولى فتكلمت السمكة بلسان فصيح وقالت له اذا مسخ الرجل هل تعتد زوجته عدة الاحياء ام عدة الاموات فتحير الشيخ فى امره ولم يرد لها جوابا فقالت السمكة اين دعواك فى بحر العلوم فقال انى استغفر الله مما قلت فارشدينى الى الصواب فقالت له ان مسخ جمادًا تعتد عدة الاموات وان مسخ حيوانا تعتد عدة الاحياء ثم انها غابت فى البحر فتاب الولى من دعواه ورجع الى الله سبحانه وتعالى ومن كرمه انه يقبل التوبة عن عباده فسبحان القادر على كل شئ وهو العزيز الرحيم فعجائب البحر لا تحصى وبذكر قصة القران والسمك تذكرت ان حفظ الوداد قليل فى الناس * ويعجبنى قول بعضهم

لئن كان لى خل علمت ولاءه * وكان صدوقًا فى المقال خليلا

فخان ودادی ثم انکر صحبتی * فیالیتنی لم اتخذه خلیلا

وقال بعضهم

واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادي
وقالوا قد سعينا كل سعي * لقد صدقوا ولكن في فسادي

وقال آخر

لاضربن رجائي الف مقرعة * حدا وانصب آمالي على خشبه
اعشرتي لاناس لاخلاق لهم * بيض الثياب واقفال على خربه

ومن كلام الامام الشافعي رضي الله عنه

البعد عن الناس كل بعد * مالم تكن بينهم مجمل
ولا نقل كان لي اياد * عليهم في الزمان الاول
المرء بين اهله كليث * اذا راوا ذيله مهلهل

(وقال ايضا رضي الله عنه)

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
٢ الآفاقلل لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال

(وقال بعضهم)

ما في زمانك من ترجو مودته * ولا صديق اذا جار الزمان صفا ٢
فعش فريدا ولا تركن الى احد * اني نصحتك فيما قد جرى وكفى

(ولابن عروس قطب بلاد المغرب)

الناس بحر عميق * والبعد عنهم سفينه
اني نصحتك فانظر * لنفسك المسكينه

وقوله (في قرنيه) اي قرن الناظم وصغره لاجل النظم بمعنى انه يأتي من الغيط او البحر فيراه في قرنه حاضرا مطبوخا من غير ان يتكلف بصنيعه وتحويجه من الزيت الحار والبصل ونحو ذلك وقوله (ولو كان) هذا السمك الذي اتمناه (يا اخواني) يخاطب به اصحابه واحبابه واخوانه الاصدقاء والمحبين وكل المؤمنين اخوان في الله قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقال بعضهم من فقد اخوانه فقد فقد مروءته قيل اتى رجل الى المأمون فقال له انا اخوك اعطني من بيت مال المسلمين ما يكفيني

٢ الذي احفظه (وفا) ٥

المحفظ (واقلل من لقاء الناس الخ) ه

فقال له من اين انت اخى فقال من قوله تعالى انما المؤمنون اخوة فقال صدق الله العظيم وصدقت اعطوه درهما فقال ما هذا عطاء الملوك فقال له المامون او فرضنا انى فرقت بيت المال على اخوتك ربما يحصل لك اقل من ذلك فمضى الرجل ولم يظفر بشئ غير الدرهم وقيل زاده عليه وارتد شاكرا وكان المامون يحب الحلم والعفو حتى انه كان يقول حبب الى الحلم حتى ظننت انى لا اثاب عليه ومن حلمه ان جارية من جواريه قدمت اليه لحما مشويا فى اسياخ من الحديد فوقع منها سيخ على خلعته فحرقها واتلفها فنظر اليها فقالت والكاظمين الغيظ فقال قد كظمت غيظى فقالت والعافين عن الناس فقال قد عفوت عنك فقالت والله يحب المحسنين فقال انت حرة لوجه الله تعالى وهذه ملكة عظيمة فى الحلم والعفو لا يقدر عليها احد رحمه الله وله اخبار كثيرة فى ذلك وقوله (بلا تنظيف) اى ولو كان يجد هذا السمك فى طاجن فى فرنه من غير غسل ولا تنظيف بالماء بل يرصتونه فى الطاجن بعظمه وبحوفه حتى يصير مثل المشوى فى الجورة فتمنى الاكل منه ولو على هذه الحالة لشدة فقره وقلة ما بيده وقوة شهوته للاكل منه وفى المثل الغريق يستند على القش وفى مثل آخر بطينه ولا غسيل البرك فعلى كل حال انه يسد جوعه ويقضى شهوته فالشخص اذا اشتهت نفسه شيئا ولو حقيرا متى وجده كان عنده عظيما واكل منه اكلا زائدا فان الشهوة البهيمية ترمى صاحبها على اخبث الماكول فكل من اطاع نفسه وهواه خسر *

قال سيدنا عيسى عليه السلام لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون وقال صاحب البردة رحمه الله

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم

قيل ان مخالفة النفس فيها النجاة والراحة للانسان والثواب فى المعاد وقيل مكث سيدنا عمر بن الفارض نفعنا الله به مدة يشتهى اكل الهريسة ويخالف نفسه ويصبر الى ان حصلت له يوما وهو فى الخلوة فمد يده ليأكل منها

فانشق حائط الخلوة وخرج منه شخص وقال اف عليك يا عمر فقال
فقال ان اكلتها ثم انه تركها ولم ياكلها بقية عمره وخالف نفسه * ومن
النكت المضحكة ان بعض الفقراء كان له تلميذ وكان دائما يقول له
خالف نفسك اذا قالت لك كل هذا فخالفها وكل غيره ولا تطعها ابدًا
فاتى لشيخه يومًا طعام مفتخر ووضعه بين يديه ووضع بين يدى
التلميذ صحن عدس وكان الذى وضع بين يدى الشيخ ارز مفلفل
بلحم ضان يقال لها فارش مارش فمد التلميذ يده واخذ الصحن
من قدام شيخه ووضع مكانه صحن العدس فقال له شيخه اما
قلت لك خالف نفسك فقال له يا سيدى حدثتني نفسي انى آكل
من الصحن العدس فخالفتها واكلت من هذا اللحم الضان بالأرز
المفلفل وكان لشيخه غلام جميل فدخل الشيخ يومًا فى الخلوة فوجد
التلميذ يلوط بالولد فقال له ما هذه الفعال فقال له يا سيدى
حدثتني نفسي وقالت لى نك الشيخ فخالفتها وفعلت فى هذا الغلام
فقال له الشيخ اخرج قاتلك الله ما اشقاك وما اخبثك فخرج
من عنده ولم يعد اليه * ثم ان الناظم اشتهى شيا لم ير فى بلده الا يوم عيد النحر
فقال ص * (على من رأى فى التل كرش ملقح ۞ ومن فوقه الدبان يحف وفيه
ش قوله (على من رأى) رؤية بصرية كما تقدم فى غير هذا البيت (فى
التل) اى تل بلده وهو الكوم العالى ويكون فى الغالب حوا البلد لان
كل من يكون عنده تراب او رماد يكبه قدام داره برّا البلد امامه
وجاره مثله وهكذا الى ان يتصل بعضه البعض ويعلو ويكبر من
كثرة ما يلقونه فوقه من القمامات وغيرها حتى يصير كومًا عاليًا يرى
من بعيد وبجانبه ايضًا محلات خالية يتغوطون فيها جميعًا نساؤهم
ورجالهم واولادهم وغالبهم يخرون فيها ايضًا ثم ان النساء والرجال
يصعدون اليه وقت الشخاخ وتحصل لهم المنادمة فيه والمحادثة
عن الغيط والزرع والقلع والعجول والجاموس وغير ذلك

وربما وقع بينهم الشر عند الشخاخ فيقوم الشخص لخصمه وشخاخه فى جبته او يبيل على ردائه حتى يغرق جبته ويضارب رفيقه ويرادّه عليه الخرا وهكذا ثم يؤل امرهم الى الصلح او القتل ونساؤهم على شكلهم عند قضاء الحاجة لا يتحاشون عن الكلام فى غزل الصوف والفل وغير ذلك لانهم لا يعرفون المراحيض ولا تبنى عندهم ولا يقدرون عليها الا ان تكون فى دار الشاد بالكفر له وجماعته يشخون فيها وقد قيل فى المعنى

سألت بنى الارياف ما لبيوتكم * مراحيض قالوا لا مراحيض للقوم
فقلت فماذا تصنعوا فى نسائكم * فقالوا جميعًا نحن نخرا على الكوم

فالتل والكوم عندهم بمعنى واحد ويسمى عندهم ايضا العِلّية بكسر العين المهملة وتشديد اللام قال الشاعر

اتيت الكفر فى ضحوه * رايت اهلو جميع شالوا   وراحوا فوق علّية * عليها الكل قد بالوا

اى طلعوا كلهم فوقها وشخوا عليها جميعًا نساءً ورجالًا واطفالًا وتطلق العلّية عندهم على الغرفة المبنية من الطين غير المطوب ولهذا يقال فلان اليوم فى العلالى اى انه صار يجلس عاليًا عن الناس وبقى له فى الكفر حرمة وقيمة على غيره ومن هذا المعنى قال الشاعر

جوز غزلان يا مخلاهم * شافنى على العدم خلاهم   متى يا زمان تجمعنا * فى العلالى انا واياهم

فان قيل ان الناظم قال فى التل فيفهم منه انه يرى الكرش فى جوف التل فيكون متواريًا عنه واكد الرؤية بقوله (ومن فوقه الدبان) والدبان لا يسقط الا على شئ ظاهر لا على شئ مغطى مستور كما تقول فلان فى الدار اى فى داخلها فما الجواب قلنا الجواب القشروى ان فى بمعنى على اى كرشًا ملقحًا على التل او الكوم كما يقال فلان فى الجبل اى فوقه لا داخله لانه لا يستطيع ان يثقب الجبل ويدخل فيه وان حرف الجر على بابه ويكون قوله فى التل بمعنى ان فى جوف التل نقرة يشخون فيها ويرمون فيها الكروش مثلا فصدق عليه ان الكرش فى جوفه وان كان ظاهرًا

يرى للناس فاتحه الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله (كرش ملفم)
اى كرش البهيمة التى يذبحونها يوم عيد النحر لانهم لايرون اللحم الا فى
ذلك اليوم ولا يمكن انهم يلقون الكرش على التل بل يأخذونه
ويلقون مافيه من التفل ويغلونه ويطبخونه مع بقية حوائج البهيمة
ويسمونه جغل مغل وله عندهم موقع عظيم وأمّا فى بلاد المدن
فانه من الضان ويضيفون اليه الراس والكوارع ويسمّونه سقطا
ويصنعونه بالحرارات والسمن والكزبرة والسلق ويصبّون عليه
الخل ويصير له لذة عظيمة فيبيعونه بالراس تارة ويدرجونه فى
الكرش مغسولا نظيفا وتارة من غير الرأس وتارة بالكوارع وتارة
بغيرها والروس يبيعونها مشويّة وحدها والكوارع تصنع تسقية
يبيعونها ويصبّون عليها الخل والدهن والثوم ولها لذة عظيمة كما
هو مشهور فى بلاد المدن وأمّا اهل الريف فانهم يصنعون جميع ذلك
فى الدست والبرام ويضيفون عليه الكزبرة وقليلا من الشيرج
ويقلون له بشئ من البصل او الثوم وياكلونه ولا يعرفون السمن
ولا الحرارات ولا شيأ من ذلك وربما يسلقون ذلك بالماء وياكلونه
حكم المرقة والكرش مشتق من التكريش وهو البروز والظهور
اى ان كرشه بارز ظاهر كما يقال للحائط اذا برزت منه حجارته عن سمتها
المعتاد وآلت للسّقوط حائط مكرّش اى آيل للسّقوط وفلان صاحب
كرش اى كرشه ظاهر كبير خصوصا اذا كان رجلا سمينا جسيما فان
كرشه يظهر كبيرا خارجا وفى الحديث ان الله يكره الحبر السّمين لكن هو
ممدوح فى الغنم والبقر يقال كبش سمين ممتلئ شحما ولحما فاذا ذبح على
هذه الحالة وادرج راسه فى كرشه يكون سقطه لذيذا عن غيره لسمنه
وكثرة شحمه ومن المناسبة ان السلطان قزلباش ارسل الى السلطان قانصوه
الغورى يهدده بهذه الابيات السيف والخنجر ريحاننا * افٍّ على النرجس والآس
شرابنا من دم اعدائنا * وكأسنا جمجمة الراس فاجابه يقول

لله في ملكه خاتم * تجري المقادير على نقشه
لا تنبش الشر فتبلى به * واحذر على نفسك من نبشه
مصارع البغي لها صولة * تنكس السلطان عن عرشه
لما طغى الكبش بشحم الكلى * ادرج راس الكبش في كرشه
ونحن ان لم نرج او نبتغي * كالميت محمول على نعشه

فلم يرتدع بما ارسل له السلطان قانصوه الغوري بل سار اليه بخيله وعسكره فتلقاه نائب الغوري ورده خائباً والقى الله كيده في نحره ولم يغنه ما صحبه السلطان الغوري من قولهم لما طغى الكبش بشحم الكلى الخ وهذا امثال الرجل الظالم اذا طغى وتجبر ربما اخذه الله تعالى بغتة وفي الحديث ان الله ليمهل الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته * فالناظم تمنى من الله تعالى وترجى من كرمه وحلمه ان يرى كرشاً مرمياً على التل اي الكوم غفل عنه اصحابه وتركوه نسياً وذهولاً او ان الشاد بالكفر ذبح كبشاً والقى كرشه على التل فان اهل الريف اذا ذبحوا بهيمة يوم العيد لا يتركون منها شيأ ويأخذون كرشها وجميع حوائجها يطبخونه ويأكلونه فالناظم ترجى ان الدهر يغلط يوماً ويرى هذا الكرش الذي تمناه وطلبه واشتهاه لكونه لم يقدر على مشاركة اهل الكفر في بهيمة (او كان من (فوقه الذبان) وهو الذبان وانما تستعمله العوام بلفظ الدبان لثقل الذبان على السنتهم ومفرده دبانه ودبون مفرد الذكور منه والدبان على وزن الغربان او الجديان والدبون على وزن المجنون او المأبون قال بعضهم مولياً

الذي احفظه حتى ... فاذا ... اذا لم يفلته وسمعته من غير واحد وجوز ه

في خاطري يا مليح لو كنت دبانه * واحط فوق شفتاك وتنش اقول دانه
على وبا بوحسن لك عين نعسانه * غيري تواصل وانا جي لك تقول نانه

(فائدة) للذباب خواص كثيرة ومنافع مذكورة في بعض الكتب منها انه اذا اخذت ذبابة وربطت وهي حية في خرقة بحيث تكون واسعة عليها حتى لا تموت وعلقت على من يشتك الرمد خففت عنه (وسئل بعض الفضلاء لاي شئ خلق الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة لانه يقع على تاج الملك فلا يقدر على منعه عنه (وكان المشركون يطلون اصنامهم بالزعفران وغيره فيقع عليها الذباب فانزل الله تعالى في كتابه العزيز

توبيخا لهم ولاصنامهم ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب والذباب له اعداء كثيرة منها حيوان صغير يقال له ضبع الذباب يشبه العنكبوت الصغير الا ان فمه واسع وارجله قصيرة عن ارجل العنكبوت يأخذ الذبابة بسرعة في فمه ويلفها فى شئ يخرجه من فمه كنسج العنكبوت فلم تزل معلقة فيه الى ان تموت (وذكر العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله به ان زوجته ام عبد الرحمن اصابها مرض شديد اشرف به على الهلاك فدخل يوما بيت الخلاء فسمع هاتفا يقول له خلص الذبابة من ضبع الذباب ونحن نخلص لك زوجتك من مرضها فالتفت الشيخ الى الحائط فسمع حس الذبابة فتحايل وخلصها فخلصت زوجته فى الحال وشفاها الله تعالى

وقوله (بيعف عفيف) اى يتراكم على بعضه البعض من كثرة نزوله عليه يمتص منه الرطوبة ونحوها ويعف بكسر الياء المثناة من تحت وكسر العين المهملة يقال عف الذباب على الشئ اذا سقط عليه وكثر وتراكم بعضه على بعض واما بفتح المثناة وضم العين فمن العفة يقال عف الرجل عن الشئ بمعنى كف عنه ثم ان الناظم خبر عن كيفية جره ولقفها فقال

ص * (دنا ان شفته خدتو نجالو سلقتو * وكلتو بتفلو ما ارى تقنيف) *

ش قوله (دنا ان شفته) اى اذا من الله علىّ ورايته ملقيا على التل (خدتو) اى اخذته فحذف الهمزة وابدل الذال المعجمة دالا مهملة جريا على اللغة الريفية (نجالو سلقتو) بمعنى انى القيه فى الدست او البرام وانقى عليه الماء لاغير واسلقه من غير تقلية ولا شيرج ونحو ذلك لشدة قرمى وعدم ما فى يدى وقوله (وكلتو بتفلو) اى بما جوفه من المريء ولو انه نجس مبالغة فى الاشتهاء له وشدة الحاجة اليه وهذا يعاير به الرجل الاكول عندهم فيقال فلان ياكل كرش بخراه مثلا ومن ذلك ما اتفق ان رجلا من اهل الريف طلع مصر يبيع جانبا من البيض

لاجل غلاوة ما عليه من مال السلطان فباعه وتوجه الى بلد فرأى بان المصريين كروشا تباع فقال لنفسه خذ لامك معيكه بجديد وكل انت الآخر بجديد ولو انكسر عليك مال السلطان فاعطى بياع الكروش الجديدين فصار يقطع له مما يباع للقطط وهو يأكل من غير ملح واخذ بالجديد الثانى قطعة كبيره وزاد له عليها كبده وروية وهى الفشة ولف ما اخذه فى شده الذى فوق راسه وربط عليه وكانت الفلوس التى باع بها البيض مربوطة ايضا على الشد ثم انه سافر الى ان مر على قرية فى الطريق فرأى شجرة فجلس يستريح تحتها فضربه الهواء فنام فجاء كلب فشم رائحة اللحم الذى على راسه فخطف الشد بما فيه وطلع الى سطح فى القرية فقام يجرى خلفه ويصيح ودخل الدار التى طلع الكلب فى سطحها فلما رآه النسوان مكشوف الرأس فى هذه الحالة قالوا هذا سارق فمسكوه وسلموه للشاد فى القرية فضربه وحبسه يومين حتى شفع فيه اهل الخير فاطلقوه فمن عدم ذوقه وشدة جهله ضيع الفلوس واكل الضرب ورجع الكفر خائبا نائبا وقوله (ما ارى تقنيف) يعنى انى ما اتقنف عن اكله لكونه فيه التفل ولان جوانبه فيها النجاسة مثلا فان نفسى تطيب لاكله ولا تمتنع عنه وفى القاموس الازرق والناموس الابلق ان التقنيف مشتق من القنف وهو المنع عن الشئ كما يقال انت قنف او فلان يتقنف او من القنافة بضم القاف وهى التى يوضع فى خرق الناف الذى على رقبة الثور ويعاير بها الرجل الخفيف العقل فيقال له يا قنافة قال الشاعر

لقد خف منى العقل حتى كاننى * احاكى فى الافعال قنافة البقر

ثم ان الناظم لما لم يتيسر له كرش ملقح على التل والكوم ترجى من الله تعالى ان يبلغه مناه وانه بعد مدة ان طال عمره يروح المدينة ويشبع فيها من اكل الكروش وغيرها من الترمس والمقلى فقال

متن * (انا ان عشت لاروح المدينه واشبع * كروش ولو انى اموت كفيف)

ش قوله (انا ان عشت) من المعيشة وهى قوام الجسد وانتعاشه من الماكل والمشرب اى ان طال عمرى وكان فيه تاخير فى علم الله تعالى (لاروح المدينه) والمراد بها مصر حرسها الله تعالى وادام سرورها باهلها وابد نعيمها بسكانها وحرس علماءها الاعلام وامراءها الكرام لانها مدينة الانس والصفا والسرور والوفا خص الله نساءها بالحسن والجمال والبهجة والبهاء والكمال وطيب المعاشره ولطف المذاكره كم عاشق بحسنهن افتتن ومن لم يتزوج مصرية ليس بمحصن وملاحها الولدان كانهم الغزلان او قضبان البان لايوجد مثلهم لا فى الروم ولا فى العجم ولا فى العراق ولم يُر الطف منهم فى العشرة باتفاق كما قلت فى هذا المعنى موشحا

(دور) يامن يرد عشق الجمال * يشد الى مصر الرحال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال
(مذهب) ملاحها لا يوجدوا * فى الروم ولا ارض العراق
* ولا بلاد ارض العجم * ومن رقى السبع الطباق
اللطف فيهم منطبع * وريقهم حلو كمذاق
(دور) من حاد عنهم بالميال * حرم عليه طيب الوصال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال
(مذهب) ياحسنهم ياالطفهم * ياظرفهم كم ذا ترى
* من كل اغيد حين يميس * تقول لعقلك لا ترى
مثلو ترى غيرو يفوق * سبحان خلاق الورى
(دور) فعش بهم دوم الليال * فحبهم عندى حلال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال
(مذهب) اما العجب ثم العجب * فى يوم الاعياد والفرج
* كم ظبى يرفل فى الحلل * والخال فوق خده وعج
تقول جنان رضوان حقيق * قد فتحت وقد خرج

(دور) منها يريد قتل الرجال * بحسن قد والمثال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر أرخى أو دلال
(مذهب) والله والله العظيم * ومن له انشق القمر
من عشقهم صبر فني * وزاد وجدي والسهر
* وقد بقيت صفر اليدين * ولست أقنع بالنظر
(دور) ما حيلتي في كل حال * إلا الدعا أراه محال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر أرخى لو دلال
(مذهب) يوسف سميتا دعوا الإله * يغفر ذنوبي كلها
وبلدي شربين عظيم * بين المدائن قدرها
* بلد الفخار مع العلا * والعلم مشهور ذكرها
(دور) ثم الصلاة باتصال * على النبي باهي الجمال
كم من جمال حاز الكمال * في مصر أرخى لو دلال

فسبحان من خصهم برشاقة القدود واحمرار الخدود ورقة الكلام وقلة الملام وحسن الانطباع وقلة الامتناع لفظهم ألطف من النسيم ورضابهم أحلى من التسنيم كما قال الشاعر

ما مثل مصر في الورى بلدة * سكانها ترتع في نعيمها
نسيمها ألطف شيء في الورى * وأهلها ألطف من نسيمها

وقوله (وأشبع) الشبع هو امتلاء المعدة بالطعام والشراب والشبع الزائد مضر ويطلق على الحسي وهو ما تقدم وعلى المعنوي وهو الغنى بعد الفقر يقال اليوم فلان شبعان أي استغنى بعد فقر وشبع بعد جوع خصوصاً إذا ذاق التعب والنصب أول زمانه وأفاض الله عليه فيكون شديد الحرص على الدنيا كثيراً ويقال في المثل هذا محدث النعمة لأنه لم يعرف قدرها ولم يصرفها في مصارفها وإنما لحق به الدهر حتى نال هذا الأمر قال الشاعر (مستحدث النعمة مستودها * عيناه مملوءتا فقر) (جرى به الدهر فنال الغنى * يا ويله إن عقل الدهر)

واما اذا عرف الشخص ما انعم الله به عليه وشكره على هذه النعم ولازم
فعل الخير واحسن وتصدق فهذا هو المطلوب والامر المحبوب
وقوله (كروش) جمع كرش اى ان بلغت المدينة لابد ان اشبع من
الكروش التى تسلق وتباع واقضى مرادى وبغيتى منها (ولوانى)
بعد شبعى من الكروش المذكورة وقضاء شهوتى (اموت كفيف)
اى اعمى يقال كف بصره اذا حصل له العما وفى الحديث القدسى
ان الله تعالى يقول اذا اخذت كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى
الا الجنة وهو حديث حسن رواه الترمذى عن انس * وقال الابوصيرى الاديب

اذا رمدت عيناى قل مسامرى * وقلت احبائى من الحى والحما
يقولون ان عوفى ملقناه ساعة * وان كف جئنا كى نهنيه بالعما

لان الارمد مريض لا يزار فاذا عمى يقولون له انت بقيت من اهل
الجنة وحصل لك الخير ونحو ذلك مما هو مشاهد بين الناس الآن
وفى الحقيقة ان الاعمى مسكين والشفقة عليه فيها اجر عظيم وفضل
جسيم خصوصا اذا كان فقير الحال فانه فى حكم الميت لا محال
قيل وجد مكتوب على تاج كسرى انوشروان هذه الكلمات
العدل اذا دام عمر * والظلم اذا دام دمر * والفقر هو الموت الاحمر *
والاعمى ميت وان لم يقبر * ومن لم يترك الذكر لم يذكر * وما ابتلى الله
عباده بشئ اضر من العمى والاعور على النصف من ضرر الاعمى
كما فى المثل اعمى قال لاعور كاس العمى مر فقال الاعور نصفه خبر عندى
وفى المثل الآخر (والاعور الممقوت فى اهله * اولى من الاعمى على كل حال)
وقوله كفيف على وزن نتيف صفة للامرد اذا طلعت ذقنه وكان
يشتهى الخنات او يكون به ابنة والعياذ بالله تعالى فانه دائما يحلق
ذقنه ويحسن للفاسق نفسه وينتف اصول شعره باظافيره او يلقطه
بالملقاط فان الامرد ما دام خالى العذار تميل النفس اليه واذا
التحا قل منه الوفا وصار وجهه كالقفا قال الشاعر

التحى الامرد الذى * كان فى التيه مسرفا　حسنًا كان وجهه * وسريعًا تصحّفا
فسرّ والله ناظرى * مذ رأى ذاك واشتفا　شكر الله لحية * صيّرت وجهه قفا

وقال آخر
سلب الناس بالمحاسن حتى * اذهب الله حسنه والجمالا
طلعت ذقنه وراحت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

ومن العشاق الوقحاء من يميل الى اصحاب اللحاء قال الشاعر

بلوطى يدعى عاشق المرد فى الورى * ويدعى بزان من يحب الغوانيا
فملت لاصحاب اللحاء تعففا * فما انا لوطى وما انا زانيا

وبعضهم يميل طبعه الى الشيوخ ويرى ان قول العذول فيهم منسوخ قال الشاعر
اهواه طفلًا فى القماط وامردًا * وبلحية واذا علاه مشيب

وقال بعضهم
تعشقته شيخًا كان مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
اخا العذل يدرى ما يراد من الفتى * امنت عليه من حسود ومن ضد

والعشق مراتب وللناس فيما يعشقون مذاهب كما قال بعضهم
تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

وكل هذا من الانهماك على الشهوة والخمول فى العشق والمحبه والا فالعاشق الظريف لا يهوى الا الشكل اللطيف المناسب للتعنيق والبوس وكلها غرامة فلوس * ثم ان الناظم بين كيفية اخذ الكروش من المدينة من ثمن غزل العجوز وهى زوجته واسمها قطيعة فقال

ص * (واخذ من غزل العجوز وابيعو * واكل بحقه يا ابن بنت عريف) *

ش قوله (واخذ من غزل العجوز وابيعو) المراد به غزل زوجته وكان اسمها قطيعه وقيل اسمها بعرة بنت قلوط والبعرة قريبة من القلوط لانها بنته والقلوط ابوها فهو ملازم لها ولفظ العجوز يطلق على المراة الكبيرة وعلى الخمرة فيقال لها العجوز ايضًا والعذراء ولها اسماء كثيرة قال بعضهم
عجوز وعذراء فاعجب لها * تنادى باسمين من كل واسم

وفى الكلام تقديم وتاخير ومعناه اذا عشت لاروح المدينة واخذ معى غزل العجوز وابيعه فيها (واكل بحقه) كروشًا وغيرها

ولو انى بعد ذلك اموت كفيفًا لانى اذا قضيت مرادى وعشت بقية العمر اعمى لا ابالى بعد قضاء شهوتى وحصول ما كنت ارجوه من الله تعالى (يا ابن بنت عريف) يخاطب رجلًا من اهالى الكفر قيل انه من اقاربه وقيل من اصدقائه والمعنى انه يبث اليه الشكوى مما ناله ويقول له لا بد انك تفرح لى اذا طال عمرى ورحت المدينة وشبعت فيها كروشًا وارجع اليك وهذا يدل على انه صديق له وصداقته مؤكدة حتى انه خاطبه من دون اهل الكفر فان الشخص لا يشكو حاله الا لصديق يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويتحمل عنه الهموم او يواسيه اذا كان متبشرًا من الدنيا ويسليه بالمحادثة ونحوها قال الشاعر

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك او يسليك او يتوجع

وقال ابن عروس

اوصيك ان صادفك ضيم * اشكيه للّى يريدك
الحمل اذا تفرق انشال * وان تم راقد يكيدك

وابن بنت عريف هذا اسمه على ما قيل خرا الحس واسم والده فسا التيران وسبب تسميته فسا التيران انهم كلما ربطوا التيران على الطوالة يقف فى وسطها ويفسو فيها لانه كان كثير الفساء فيشم من يقربه رائحة الفساء فيقول له انت فسيت فيقول له هذا فسا التيران فتسمى بذلك واما جده لامه فيسمى عريف لاحد امور قيل انه كان يعرف الاولاد طريق المحلات التى تحت التل يشخون ويخرون فيها وقيل كان يعرف تغريبة بنى هلال وما وقع بينهم وقيل كان له معرفة ودراية فى ضرب الفرقلة ونقر الطبلة والعمل على الزمارة ونحو ذلك وقيل انه كان يعرف الشاد امور البلص ويقول له خذ من هذا كذا ومن هذا كذا صورة عوانى فصار يقال له عريف من هذا القبيل كما انه يطلق هذا اللفظ على من يقيمه مؤدب الاطفال فى الكتاب يعرف الاولاد احوال القراءة ويعرف ايضًا الفقيه عن احوالهم فى غيبته كما هو مشهور فى بلاد المدن وغيرها فان كل كتاب لا بد له من عريف على ما جرت به العادة *

قال العلامة البلقينى الشافعى فى تفسير قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق جعل الله سبحانه وتعالى ذلك ليظهر الشاكر من غيره كما جاء فى حديث الاعمى والاقرع والابرص روى ان ثلاثة من بنى اسرائيل احدهم ابرص والثانى اقرع والثالث اعمى اراد الله تعالى ان يبتليهم فبعث اليهم ملكا (فاتى الابرص) فقال شئ احب اليك قال لون حسن وجلد حسن فقد قذرنى الناس فمسحه بيده فذهب البرص واعطى لونا حسنا وجلدا حسنا فقال اى المال احب اليك قال الابل فاعطى ناقة عشرا وقال بارك الله لك فيها (واتى الاقرع) فقال له اى شئ احب اليك قال شعر حسن ويذهب عنى هذا الذى قذرنى الناس منه فمسحه فذهب واعطى شعرا حسنا قال فاى المال احب اليك قال البقر فاعطاه بقرة حاملة وقال بارك الله لك فيها *

(واتى الاعمى) فقال اى شئ احب اليك قال ان يرد الله الى بصرى فابصر به الناس فمسحه فرد الله اليه بصره قال فاى المال احب اليك قال الغنم فاعطاه شاة فانتج هذا وولد هذا وهذا فكان لهذا واد من ابل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من غنم (ثم انه اتى الابرص) فى صورته وهيئته فقال له من انت قال رجل مسكين قطعت بى الحبال فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك اسألك بالذى اعطاك اللون الحسن والجلد والمال بعيرا اتبلغ عليه فى سفرى فقال ان الحقوق كثيرة فقال كانى اعرفك الم تكن ابرص يقذرك الناس فقيرا فاعطاك الله فقال لقد ورثته كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه (واتى الاقرع) فى صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لذاك ورد عليه مثل ما رد على الاول فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه (واتى الاعمى) فى صورته وقال رجل مسكين وابن سبيل تقطعت بى الحبال فى سفرى فقال قد كنت اعمى فردنى الله بصيرا وفقيرا فاغنانى فخذ ما شئت فوالله لا امنعك

اليوم شيئًا اخذته فقال امسك عليك مالك فانما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط
على صاحبيك * فمن الناس من يحصل له غرور بالنعمة وطيش بالرياسة كما قال بعضهم

اقول لمن قد طيشته رياسة * تمهل رويدًا فيك قد غلط الدهر
وما سدت عن علم ولا عن فصاحة * ولا عن ذكا فضل وهذا هو القهر
تأنى يراجع فيك دهرك عقله * فما سدت الا والزمان به سكر
ولكن سيصحو الدهر من بعد سكره * ويسقيك كاسات مذاقتها الصبر

وقال آخر مخمسًا   رشتم بلا حلم وعلم ولا ولا

وسدتم بلا أهل وفضل ولا ولا * سأقسم بالله الذى خلق الملا
يمينًا لقد نجستم رتب العلا * والبستموها بعد عزتها ذلا
فتبًا لدهر انتم عظماؤه * وانتم اراضيه وانتم سماؤه * فلو كنت ممن لا يرد قضاؤه
صفعت زمانا انتم رؤساؤه * بنعل ولكن صفعه بكم اولى
فطوبى لعبد يكتفى بذهابكم * وويل لحر يشتكى بابابكم * اقول وقلبى ملكم وازدريكم
لقد خاب من يسعى لنحو جنابكم * كما خاب من فى عشقه خان او زلا
فبعدى من الاوطان صفو لبنيتى * وفقد الذى هو عظم بليتى * وهمى وتعذيبى وقرب منيتى
فذاك مرادى واعتقادى وبغيتى * ولا يجمع الرحمن لى بكم شملا

ثم ان الناظم نبه على شئ آخر فقال

ص * (واشرف من الجامع زرابين عله * واكل بها من شهوتى فى الريف) *
* (واشبع من الترمس واكل مقيلى * والفو بقشر وما ارى توقيف) *

ش هذا الكلام كله من بقية كلام لابن بنت عريف المتقدم ذكره اى انه يقول انا اذا طلعت المدينة وبعت غزل العجوز واكلت بحقه كروشا وقضيت شهوتى من الكروش المذكورة ورأيت الترمس والمقيلى الذى اشتهيته ولم يكن معى شئ من الدراهم فحينئذ ادخل بعض الجوامع التى فى اطراف حارات المدينة التى يصلى فيها اهل الريافة لان الزرابين لا تكون الا بأرجل اهل الريف لان المراد بها المراكيب وهى جمع زربون على وزن مجنون او مأبون وهو المركوب

الذى يمشى به الفلاح ويسمونه ايضًا جوادًا او ترجيلًا (واسرق) والسرقة حرام ومنهى عنها قال الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما اى اذا سرق السارق النصاب وهو ربع دينار ما لم يكن له فيه شبهة والا فيمتنع عنه القطع كما هو مذكور فى كتب الفقه واباح الله تعالى قطع يد السارق نكالا له ولاجل تركها الامانة وعزها وارتكابها الخيانة وذلها كتب رجل لبعض العلماء شعر

يد بخمس مئين عسجد فديت * ما بالها قطعت فى ربع دينار

فاجابه بقوله عز الامانة اعلاها وارخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

اى ان هذه اليد لما تعدت على مال الغير واخذته وخانت الامانة ارخص الله قدرها واباح قطعها بذا الخيانة فهى حكمة للبارى جل وعلا وحدود اوجبها على خلقه من امر ونهى وغير ذلك وقوله (من الجامع) والمراد به المسجد وسمى جامعًا لانه يجمع الناس للصلاة والعبادة ونحو ذلك ومسجدًا للسجود فيه وقوله (زرابين) تقدم ان المراد بها المراكيب والتراجيل (عنن) يعنى كثيرة لان سراق المراكيب يحتاج الى زيادة معرفة فى السرقة وقلة دين فاما المعرفة فهى ان يتقرب من صاحب المركوب ويوهمه انه يريد الصلاة بل ربما وقف بجانبه وصبر عليه الى ان يخر للسجود لعلام الغيوب فيأخذ هو الآخر المركوب واما قلة الدين فانه لا يعرف الصلاة ولا يدخل الجامع الا للسرقة فقط وربما كان جنبًا وثيابه فيها النجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم لا يتحاشون عن هذا الامر ولا يعرفون الصلاة ولا العبادة وغالبهم لا يدخل الجامع الا لغزل الصوف والفتل او لحساب المال او ليستظل فيه اوان الحر وربما ربط فيه العجلة او البقرة ويجعلونه فى الغالب محلا لمحادثتهم فى الغيط والخيط والزرع والقلع ويصير لهم ضجة عظيمة وصياح وعياط وغارات كانهم فى زريبة بقر والناظم كان منهم لا محالة فلهذا نسب نفسه للسرقة وقال لابن بنت عريف

المتقدم ذكره انى اذا طلعت المدينة واكلت بحق الغزل كروشا ولم
يبق معى شئ اتلصص واتجسس واسال عن بعض الجوامع التى
باطراف حارات مصر واسرق منها المراكيب (واكل بها) فى كلامه
هذا تورية اما انه يبيعها ويأكل بثمنها او انهم يصدفونه حال
خطفه فيمسكونه ويطعمونه بالمراكيب التى خطفها علقة فيكون
هذا اكل معنوى فانه فى الغالب ان سارق الزرابين اذا وقع فى
ايديهم يقطعونها على اجبال رقبته يقال فلان اكل علقة اليوم
بالزرابين وفلان سرق مركوبا ومسكوه وقطعوه على اجبال رقبته
فسرقة المراكيب تحتاج الى خفة ودراية بالامور وان كانت ارذل
السرقات قيل مر بعض الحذاق من اللصوص على بعض التجار
وهو جالس فى حانوته وبجانبه نعل له فاراد هذا اللص اخذه
فجاء لجانبه بخفة وحط رجله اليمنى فى واحدة واراد ان يحط
رجله اليسرى فى الاخرى فالتفت التاجر فهرب اللص وتوارى بعيدا
بحيث لايراه التاجر ولم يأخذ الفردة الثانية من نعله فقال لغلامه
اين الثانية فقال له لا ادرى قال قد سرقت فقال له خذ هذه وامض
الى فلان وقل له يصنع واحدة مثلها فاخذها الغلام ومضى
وسبقه اللص حتى عرف الرجل الذى دفعها له فلما رجع الغلام
لسيده اتى اللص ومعه الفردة التى اخذها وقال للرجل لاتصنع
للتاجر شيئا فانه لقى الفردة الثانية واراها له وقال له هات الاخرى
فاعطاه اياها فاخذ الاولى بالسرقة والثانية بالحيلة فلما جاء
غلام التاجر يطلبها اخبره بالقضية فرجع واخبر سيده فتعجب
من حذق اللص وفعله * وقيل طلع الابوصيرى الاديب
الى مصر وذهب الى سوق المراكيب تحت الركن يشترى له مركوبا
فوقف على دكان فقال له بتاع المراكيب عندى مركوب احمر مثل وجهك
ياشيخ العرب فالتفت له الثانى من البتاعين وقال له عندى مركوب مليح

وحياة راسك وصار الجميع ينكتون عليه فصبر عليهم حتى فرغوا من كلامهم وقال لهم يا مشايخ السوق انا رجل غريب تشوشوا بي فان جماعة اخبروني ان المراكيب اليوم كثيرة ومن رخصها على اقفية اصحابها فقال الكل خلص تاره منا جميعا بما قاله بلطافة ثم قالوا له بالله انت الابوصيري قال نعم فاكرموه واعطوه مركوبا احمر فاخذه ومضى حتى دخل على البدري العودي رحمه الله تعالى رئيس مصر في الدخول فلما راه وفي رجله المركوب قال له وجهك احمر يا ابوصيري فقال له نكت بذري ودخلت الحمام فكان الجواب اظرف من السؤال * ومما مدح به البدري قول الابوصيري المذكور حيث قال

البدري كمل بالدخول * وفيه انطوى واندرج بوابه حلف بالطلاق * من يوم دخل ما خرج

والعرب يسمون المداس بالراحلة وقد جاء هذا في شعر المتقدمين والمتاخرين واستعمله المتنبي في مواضع من شعره * قال ابن خلكان رحمه الله تعالى جاءني صاحبنا جمال الدين الاردبيلي المجيد في صنعة الالحان وغيرها وانا في مجلس الحكم بالقاهرة المحروسة وقعد عندي شيئا وكان الناس مزدحمين لكثرة اشغالهم حينئذ ثم نهض وخرج فلم اشعر الا وغلامه حضر وفي يده رقعة مكتوب فيها هذه الابيات

يا ايها المولى الذي بوجوده * ابدت محاسنها لنا الايام
اني حججت الى مقامك حجة الاشواق لا ما يوجب الاسلام
وانخت بالحرم الشريف مطيتي * فتشرفت واشتاقها الاقوام
فطلبت انشد عند نشداني لها * بيتا لمن هو في القريض امام
واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

فوقفت عليها وقلت لغلامه ما الخبر فذكر لي انه لما قام من عندي وجد مداسه قد سرق فاستحسنت منه هذا النظم انتهى كلام ابن خلكان والبيت الاخير الذي تمثل به هذا القائل لابي نواس من قصيدة مدح بها الامين محمد بن هارون الرشيد ايام خلافته اولها

يَادَارَ مَاصَنَعَتْ بكِ الايامُ * لم يبق فيك بشاشة تستامُ

ويقول من جملتها فى صفة ناقته هو

وتجشمتْ بى هول كل تنوفةٍ * هوجاء فيها جرءة قدامُ
تذوى المطى وراءها فكانها * صف تقدمهن وهى امامُ
واذا المطى بنا بلغن محمدًا * فظهورهن على الانام حرامُ

(قيل) سرق رجل مركوبًا واعطاه لولده يبيعه فسُرق من الولد فقال له ابوه بعت المركوب قال نعم قال بكم قال برسماله فقال هذا رسماله السرقة فقال الولد وقد سُرق منى لاخسرت ولاكسبت فضحك عليه ابوه وخلى سبيله (وقيل) سُرق باب دار ابى سالم القاضى فجاء الى باب المسجد وقلعه فقالوا له ما الذى تصنع فقال اقلع هذا الباب فان صاحبه يعرف من قلع بابى (وقيل) كان مع ابى جحا زوجتان وكانت ام جحا ماتت فخرج ابوه يريد السفر فلما خرج من باب الدار تذكر انه نسى مركوبه فصاح على ولده يا جحا هات المركوب فسمعت زوجتاه الصياح ولم يعرفا ما الخبر فقالا له يا جحا ما يقول ابوك فقال يقول نك زوجات ابيك فى غيابى فشتماه وقالتا له هذا كلام باطل فقال اسمعوا انتم منه وصدقوا ثم قال الواحدة يا ابى والا الاثنين يعنى اجيب فردة من المركوب والا الاثنين فقال بل الاثنين فقال صدقتم الكلام فظنوا انه يقول له بل نك الاثنين وما مراد ابيه الا المركوب فولع فيهم بالنيك الى ان حضر ابوه (وقيل) جلس العينى فى محل يشرف على الطريق وكان عنده رجل من الشام من اعيان الناس فقال له يا سيدى يقولون ان اهل مصر عندهم الحذق واللطافة بخلاف بلدنا ومرادى ارى الامر عيانا فبينما هو يكلمه اذ مر بياع الفول الحار وهو ينادى عليه فقال العينى هل فى مصر احمر من هذا قال الرجل الشامى لا قال اصبر حتى ابين لك حذقه

م ٣٦٠ شا

ثم ان العينى ناداه فطلع اليه ومعه الفول والعيش فقال له مرادى فول حار ولكن ما عندى دراهم وما عندى الا فردة مركوب تعطينى بها فقال له الرجل يا سيدى كل شئ جبته اطعمناك به * قال فضحك العينى وتعجب الشامى من حذقه وانعما عليه ومضى الى حال سبيله * ومن التورية قول بعضهم هجوا فى رجل اسمه عوض ما لفظه

سر موجتى قد سرقت * وضاق بى رحب الفضا
اتيت للسرو ضحا * اخذت عنها عوضا

وقوله (من شهوتى فى الريف) اى شهوتى التى اشتهيتها وهى اكلى من الكروش وشبعى منها لانى ما وجدتها فى الريف فاذا طلعت المدينة وفعلت ما تقدم ذكره قضيتها وحصل لى المراد وقوله (واشبع من الترمس) المراد به المملح بعد نقعه فى الماء اياما فان اهل الريف لهم فيه رغبة لانه نقلهم اى يتنقلون به ايام الاعياد ويهادى به بعضهم البعض وله عندهم موقع عظيم ويباع فى بلاد المدن دائما وهو فاكهة الريافة اذا طلعوا المدينة يفتخرون باكله هو والمقيلى * وفى الترمس خاصية عظيمة ذكرها العلامة الشيخ شهاب الدين القليوبى رحمه الله تعالى وهو ان من داوم على اكل الترمس كل يوم ملء كفه بقشره على الفطور فان بصره يزداد قوة وقوله (واكل مقيلى) اى واشبع من المقيلى وهو الفول المنبت المقلى بالنار ومن هذا سمى مقيلى وهو مشهور لا يحتاج للتعريف وقوله (والفه بقشره) اى هو والترمس من شدة شوقى اليه لانى متى اردت تقشير الترمس والمقيلى طال على الامر لانى احتاج الى ان اقشره واحدة بعد واحدة وهذا لا يشفى خاطرى ولا مرادى وايضا فان الناظم من اهل الريف والارياف يأخذونه بالكبشة ويسفونه ولا يعرفون التقشير ولا غيره * (ومن المناسبة) ان رجلا جلس هو وغلامه فى محل ظلام ياكلان زبيبا

فقال له سيده كل زبيبة زبيبة وانا الآخر مثلك فلما فرغا من
الاكل قال له يا عبد الخير انا طمعت عليك بقيت اكل اثنتين اثنتين
فقال له يا سيدي ان كنت اكلت اثنتين اثنتين انا بقيت اسف
سفا والعرب من عاداتهم انهم ياكلون الزبيب بالكبشة والتمر
بالخمسة ويجدون في هذا الفعل لذة وحلاوة قال الشاعر

هنيئا لاصحاب البيوت بيوتهم * وللآكلين التمر اخماسا اخماسا

وبعضهم يقشر الترمس والفول واحدة واحدة واهل الارياف
بخلاف ذلك ولهذا قال (ما ارى توقيف) يعني ما اتوقف في لفه
بقشره ومراده باللف الاكل كالعمامة ولف البردة ومنه داهية
تلفك مثلا ونحو ذلك * ثم ان الناظم تمنى ان يأخذ له لبدة فقال

ص * (واخذ لي لبده وكر مشنير * وانزل كما كلب ابن ابو جعنيف)

ش قوله (واخذ لي لبده) هذا ايضا من جملة قوله لابن بنت عريف
السابق ذكره والمعنى انه يقول اذا اسعف السعد في سرقة الزرابين
وبعتها واكلت بثمنها اكلا حسنا او معنويا كما تقدم وبقي معي شيء
ولو خمسة انصاف اخذت لي لبدة جديدة بنصف من الخمسة (و) اخذت
بالاربعة (كر مشنير) اي شد احواشيه غزل احمر فانه يسمى عند
اهل الريف مشنيرا ولا يلبسه الا الاكابر منهم يقال فلان اليوم
لابس لبدة وكر مشنير يعني انه بقي من اكابر الكفر فالناظم تشوق
الى هذا الامر يعني انه اذا اطلع المدينة وهون الله عليه بسرقة الزرابين
يأخذ ما في مراده وينزل الى الكفر بلبدة وكر مشنير في قوة وشهامة
مثل الكلب الآتي ذكره ولهذا قال (وانزل كما كلب ابن ابو جعنيف)
وكلب ابن جعنيف هذا كان مشهورا في الكفر بالقوة والشجاعة
والنط على الكلاب وخطف العيش واكل البيض فكان الشخص من
اهل الكفر اذا انعم الله عليه بلبدة وكر مشنير يقولون فلان اليوم
اصبح مثل كلب ابن ابو جعنيف اي في القوة والشطارة والسرقة

حتى ستر نفسه وكسا روحه وبقى من الاكابر كما انك تشبه الانسان فى الخسة بالكلب او الخنزير فتقول انت مثل الكلب مثلاً وابو صاحب الكلب كنى بابى جغنيف او جغناف او جغنوف على ما قيل لثقله وكثرة كلامه يقال فلان جغناف ثقيل الدم مهذار فى الكلام من غير فائدة كما رأيته فى القاموس الازرق والناموس الابلق * ومن المناسبة لثقالة الدم وكثرة الكلام للحكاية المشهورة فى كتاب الف ليلة وليله وهى ما اتفق ان رجلاً من اكابر الشام صنع وليمة وخرج يدعو الناس لها فرأى شاباً غريباً ظريف الشكل لطيف الذات بديع الحسن والجمال الا انه اعرج فدعاه الى الوليمة فاجاب ودخل به على الجالسين فى منزله فقاموا له اجلالاً وتعظيماً لاجل صاحب المنزل فلما اراد الشاب ان يجلس رأى بين القوم انساناً صنعته مزين فامتنع من الجلوس واراد ان يخرج من المنزل فحلف عليه صاحب الوليمة وقال له ما سبب مجيئك معى ودخولك الى منزلى وما سبب رجوعك قبل فراغ دعوتى فقال له الشاب بالله يا مولاى لا تعترض على فان سبب هذا كله رؤيتى لهذا النحس المزين قاتله الله تعالى فانه ذميم الخصال قبيح الفعال تعيس الحركه قليل البركه فلما سمع صاحب الدعوة والحاضرون كلام الشاب فى حق المزين كرهوا مجالسته وقالوا للشاب والله ما بقينا ناكل حتى تذكر لنا ما وقع لك مع هذا المزين فانا كرهناه من وصفك فيه فقال الشاب يا جماعة جرى لى مع هذا التعيس فى بغداد بلدى حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر وسبب عرجى وكسر رجلى هذا المنحوس فحلفت انى لا اجالسه فى مكان ولا اسكن مدينة هو فيها وسافرت من بغداد من اجله وسكنت هذه المدينة وهى اقصى البلاد وقد نظرته عندكم

وانا الليلة ما ابات الا مسافرًا فقالوا له حدّثنا ما جرى لك معه فأبى والحّوا عليه هذا والمزين قد اصفرّ وجهه واطرق برأسه الى الارض واما الشّاب فانه قال اسمعوا يا جماعة ان والدى كان من مياسير بغداد ولم يرزق ولدًا غيرى فلما كبرت وبلغت انتقل والدى الى رحمة الله تعالى وخلف لى مالا جزيلًا وخدمًا وحشمًا فصرت البس وانتعّم وانا فى اهنى عيش فبينما انا ذات يوم من الايام ماشى فى زقاق من ازقة بغداد اذ رأيت مصطبة فجلست عليها لاستريح فاذا بصبيّة كأنها الشمس لم تر عينى اجمل منها طلّت من الطاق وكان لها زرع تسقيه فلمّا نظرت اليها تبسمت ثم انها اغلقت الطاق ومضت فاشتعلت فى قلبى النار وشغلت بحبّها ومكثت قاعدًا على المصطبة غائبًا عن الصّواب الى قريب المغرب واذا بقاضى المدينة راكب على بغلة وقدّامه العبيد والخدم حتى اقبل على هذا البيت الذى فيه الصّبية ودخله فعرفت انه ابوها فجئت الى بيتى وانا مكروب وزاد على العشق والهيام واعترانى الضّنا فمرضت بحبّها واستمريت على هذا الحال ايّامًا واهلى يبكون على ولا يعرفون حالى الى يوم من الايام دخلت على عجوز فلم يخفها امرى فقالت لى يا ولدى انت ما فيك مرض غير انك عاشق فقم واجلس واطلعنى على قضيتك وانا ابلغك مرادك فاثر كلامها فى قلبى وجلست واخبرتها الخبر فقالت لى ما صفة الموضع الذى رأيتها فيه فوصفته لها وقلت لها انّ اباها قاضى بغداد فقالت لى يا ولدى اعرفها واعرف اباها وانا ادخل عليها كثيرًا لكن عليها الحجر من امّها وابيها وانما انا اسعى فى اجتماعك بها ولا تعرف هذا الامر الا منّى فطب نفسًا وقرّ عينًا فلما سمعت كلامها وحديثها طابت نفسى للاكل والشرب وقلت لها اسعى وجميع ما تطلبينه خذيه منّى فقامت من عندى وتوجهت اليها

وجاءتني ثاني مرة ووجهها متغير وقالت لي كلمتها فشتمتني
واغلظت علي فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضي وصارت
العجوز في كل يوم تعودني فجاءتني يوما وهي تضحك وقالت لي
هات البشارة قد طاب خاطر الصبية عليك لما ذكرت لها انك
مرضت بحبها ومن اجلها فقالت لي اقرئيه مني السلام وطيبي
قلبه وقولي له ان عندي اضعاف ما عنده فاذا كان يوم الجمعة
قبل الصلاة يجيء الى الدار وانا انزل افتح له الباب واطلع به
عندي في الطبقة واجتمع انا واياه ساعة ويخرج قبل ان يعود
ابي من الجامع فلما سمعت كلام العجوز زال عني ما كنت اجده
من الالم وفرح اهلي ولم ازل مترقبا يوم الجمعة حتى اني واذا بالعجوز
دخلت علي وقالت هيئ نفسك واحلق رأسك والبس احسن
ثيابك وامض في الميعاد وازل ما عليك من الاوساخ في حمام
فان معك في الوقت فسحة وخرجت من عندي فقلت لغلام من
بعض غلماني امض الى السوق وائتني بمزين يكون عاقلا جيدا
قليل الفضول فغاب عني ساعة واتاني بهذا النحس لا كان الله له
في عون فلما دخل سلم علي فرددت عليه السلام فقال لي يا سيدي
اني اراك ناحل الجسم فقلت له اني كنت مريضا فقال اذهب الله
عنك البأس والاحزان وجميع الآلام واماط عنك الاسقام
ولا زلت بك الاقدام وعافاك الله وشافاك ولا شمتت فيك
اعداك وهناك بما اعطاك فقلت له تقبل الله منك دعاءك
فقال لي ابشر يا سيدي فقد جاءتك العافية ان شاء الله تعا
ثم قال لي تريد يا سيدي ان تقصر شعرك او تنقص دما فانه قد
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال من قصر شعره يوم
الجمعة صرف الله عنه سبعين داء من البلاء وروي عنه ايضا
انه قال من احتجم يوم الجمعة لا يأمن ذهاب بصره فقلت له يا هذا

قم الآن واحلق رأسى ودع عنك الهذيان والقلقة اللسان فانى ضعيف من اثر المرض فادخل يده فى حرمدانه واخرج منديلاً كان معه ففتحه فاذا فيه اصطرلاب فاخذه ومضى الى وسط الدار ورفع رأسه الى شعاع الشمس ونظر فيه ساعة وتأمل طويلاً وقال اعلم ياسيدى وفقك الله وهداك ورعاك وعافاك وشفاك وهداك انه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة ثامن عشر صفر الخير سنة ٧٥٣ ثلاث وخمسين وسبعمائة من هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد خمسة آلاف سنة من تاريخ سيدنا آدم عليه السلام وثلاثة آلاف وعشرون سنة من تاريخ اسكندر الرومى واربعة آلاف سنة من التاريخ الفارسى والطالع فى يومنا هذا على ما اوجب فى الحساب من المريخ ثمان درجات وست دقائق اتفق رب الطالع عطارد والمريخ داخل معه فى تسديسه على ان اخذ الشعر جيد ويدل ذلك يامولاى ايضاً على انك تريد الاجتماع بنفس والطالع فى هذا الامر مفسود والحال فيه مذموم فقلت له ياهذا والله لقد اضجرتنى وضيقت منافسى واصغرت روحى وفولت على بفال غير حسن ولا محمود وما دعوتك للنجامة ولا لشئ من كثرة الكلام فيما لا يعنيك وانما دعوتك لتأخذ شعرى فافعل ما دعوتك له ومن اجله ودع عنك ما لا اريد والا فاذهب عنى ودعنى احضر لى مزيناً غيرك فقال يامولاى احمد الله انت طلبت مزيناً فمن الله عليك بمزين ومنجم وطبيب وعارف بصنعة الكيمياء والسيمياء والنحو واللغة والمنطق والمعانى والبيان والبديع وعلم الحديث والفقه والتواريخ والحساب والصرف والعروض والانشاء وقد قرأت الكتب ودرستها ومارست الامور وعرفتها ودبرت جميع الاشياء وركبتها وانما كان سبيلك ان تحمد الله على ما اعطاك وتشكره على ما اولاك

فقد قال الله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وما بحمد الله عاجز عن الفضيلة حتى تقول لى هذا القول وانما اشير عليك اليوم ان تعمل ما اقول لك عليه فى حساب الكواكب فانى ناصح لك ومشفق عليك واود لو كنت فى خدمتك سنة لان حقك علىّ واجب وحق ابيك قبلك واجب ولا اريد منك اجرًا ولو فعلت ذلك لكان اسرّ الاشياء الى قلبى وكل هذا لاجل منزلتك عندى واكرامًا لوالدك رحمة الله عليه لانّ له عندى اياد متقدمة وله علىّ فضل لا يحصى لانه كان يحب خدمتى له وما كان يخدمه احد غيرى لما رأى من كثرة ادبى وقلة كلامى وحسن صنعتى وخفة يدى فلهذا كانت رغبته فىّ وكان يحبنى كثيرًا لقلة فضولى فخدمتى لك فرض قال فلما سمعت منه ذلك الكلام قلت انت اليوم قاتلى لا محالة من كثرة كلامك وهذيانك فيما لا يعنيك فقال لى يا مولاى ومثلى من ينسب الى الهذيان وكثرة الكلام فوالله لقد كان والدك رحمة الله عليه اذا حضرت عنده يتمنى ان اتكلم بين يديه سنة كاملة ليقتبس من علمى ويلتقط من درر نظمى وفهمى وينظر الى حسن صنعتى ونحن سبعة اخوة الاول اسمه بقبوق والثانى اسمه الهدار والثالث اسمه بقبيق والرابع اسمه الكوز الاسوانى والخامس اسمه الفشار والسادس اسمه الزعفوق وانا لقلة كلامى سمونى الصامت وان اردت ان احكى لك عن اصلى وفصلى ونسبى وحسبى وما جرى لاخوتى الستة من اول الزمان الى آخره فاسمع ما اقول فلما اكثر علىّ الكلام واطاله بلا فائدة امرض قلبى وحسيت ان مرارتى قد انفطرت فقلت لغلامى ادفع له اربعة دنانير ودعه يروح عنى لوجه الله تعالى فما بقيت احلق رأسى فى هذا اليوم فلما سمع ما قلته لغلامى قال لى هذا النحس الخبيث ايش يا مولاى هذا الكلام

ايمان المسلمين تلزمني لا اخذ منك اجرة حتى احلق رأسك ولا بد لي من خدمتك فانها واجبة علي واصلاح شأنك لازم لي ولا ابالي بعد ذلك ان اخذت منك شيأ او لم آخذ فان كنت يا مولاي لا تعرف قدري وحقي فانا اعرف حقك وقدرك لمقام والدك عندي فالله تعالى يرحمه ويطول عمرك فوالله لقد فجع الناس فيه وكان والله جوادا عظيما كريما حليما سخيا محبا لاخوانه ارسل خلفي مرة في نهار جمعة مثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من اصحابه فقال انقص لي دما فاخرجت الاصطرلاب واخذت الارتفاع فوجدت الطالع مذموما لاخراج الدم فاعلمته بذلك وقلت له يصبر المولى ساعة حتى يتغير هذا الطالع واقضي حاجة مولانا ففرح بكلامي وقال والله ان عندك فضيلة ولو كان احد غيرك لكان اخرج لي الدم وشكرني لجماعته وحكيت لهم حكايات ظريفة فتعجبوا وطرب جماعته منها غاية الطرب فانشدت اقول

اتيت الى مولاي انقص دمه * فلم ار وقتا يقتضي صحة الجسم
جلست احدثهم بكل عجيبة * وبين يديه انثر العلم من فمي
فاعجبه مني السماع وقال لي * تجاوزت حد الفهم يا معدن العلم
فقلت له يا سيد الكل في الورى * افضت علي الفضل لا زلت في حلم
لانك رب الفضل والجود والعطا * وكنز العلا في اللطف والجود والعلم

فلما سمع ابوك رحمه الله حكايتي وشعري طرب وصاح على الغلام وقال اعطه مائة دينار وخلعة فاعطاني ما امر لي به ثم اخذت الطالع فوجدته جيدا فاخرجت له الدم ثم ان هذا النحس صار يزيد في كلامه وهذيانه فقلت لا رحم الله والدي الذي عرف مثلك قال فضحك هذا النحس من كلامي وقال لا اله الا الله سبحان من يغير ولا يتغير ما اظن الا ان المرض غيرك لاني ارى عقلك نقص والناس كلما كبر سنهم زاد عقلهم وما اظن الا انك خرفت من المرض والله تعالى يقول والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا

ويروى عن انس بن مالك انه قال من ارضى والديه فقد
ارضى الله تعالى ومن اسخط والديه فقد اسخط الله تعالى وقال الشاعر

واسى الفقير اذا ما كنت مقتدرًا * على الزمان وللاحسان فاغتنم
الفقر داء دفين لا دواء له * والمال زين يزين المنظر الشيم
وافش السلام اذا ما جزت في ملاء * والوالدين فكن عونا لبرهم

لكن يا سيدى انت معذور والله تعالى يقول ليس على الاعمى حرج ولا على
الاعرج حرج ولا على المريض حرج وابوك وجدك ما كانا يفعلان شيأ
الا بمشورتى وقد قالوا في المثل من لم يكن له كبير فليتخذ له مشير
قال الشاعر اذا ما عزمت على حاجة * فشاور كبيرا ولا تعصه
وما تجد احدا ادرى بالامور منى ومع ذلك انى واقف بين يديك
على اقدامى اخدمك وما ضجرت منك فتضجر انت منى فقلت له
يا هذا لقد اطلت علىّ واوجعت رأسى من كثرة الكلام فبالله عليك
انصرف عنى واظهرت له الغيظ واردت ان اقوم وقد دنا منى الوقت
الذى انا منتظره والوعد الذى انا طالبه وانا في كرب من هذا النحس
وكثرة كلامه فقال يا مولاى انا ما اعتب عليك ابدا وانا متعجب منك
الذى رأيتك بهذه اللحية وبالامس كنت احملك على كتفى وامضى بك الى
الكتاب فقلت له بحق الله احلق رأسى وقم عنى قال فعند ذلك لما
رآنى غضبت اخذ الموسى وسنه وتقدم الى رأسى وحلق منه بعض شعر
ثم رفع يده وقال يا مولاى ان العجلة من الشيطان والتانى من الرحمن
قال الشاعر تانّ ولا تعجل لامر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم
وخير الامور ما كان فيه التانى واظنك مستعجلا وانت قاصد حاجة
وانا اخشى ان تكون حاجة غير موافقة وامرا غير صالح فاخبرنى فان
وقت الصلاة قد قرب ثم رمى الموسى من يده واخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس
وقال بقى لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله يا هذا

اسكت عني فقد ضيقت علي الدنيا وقد زهقت روحي منك فتقدم واخذ الموسى وحلق شيئاً يسيراً ثم رماه وصار يهدر علي في الكلام الى ان مضى ساعتان وبقي ساعة واحدة وخشيت ان تأخرت عن الموعد لا ادري كيف السبيل في الدخول اليها فقلت له احلق رأسي بسرعة ودع عنك كثرة الكلام فاني اريد ان اتوجه الى دعوة عند اصحابي فلما سمع هذا النحس بذكر الدعوة قال انا لله وانا اليه راجعون والله يا سيدي ذكرتني جماعة ضيوفاً عندي ومرادي اصنع لهم طعاماً وما عندي شيء وانت تحضر لي بجميع ما اطلبه ولا اروح الا واياك وتشرفني اليوم في محلي وليمتي احسن من وليمة اصحابك فقلت خذ ما تريد واحلق بقية رأسي ودعني في حالي فان الوقت ضاق ولا لي حاجة في الذهاب الى منزلك واحضر له جميع ما طلبه حتى البخور العود ومرادي ان الله يصرفه عني حتى امضي الى مطلوبي فقال لي يا سيدي وانا الآخر عندي جماعة ملاح زيتون الحمامي وضليع الفاسخ وسلطوح الفوال وعكرشة البقال وسعد الحمال وسويد العتال وحميد الزبال وابو عكارش البلان وقنبر الخرفان ولكل واحد منهم قصة ان اردت احكيها لك فاما حميد الزبال فانه يرقص بالطار ويغني على الزمار وفي صفته اقول

روحي الفداء لزبال شغفت به * حلو الشمائل كالاغصان ميالا
جاد الزمان به ليلاً فقلت له * والشوق ينقص مني كلما زالا
اضرمت نارك في قلبي فجاوبني * لا غرو ان اصبح الوقاد زبالا

فامض يا سيدي معي الى اصحابي واترك اصحابك فانك تمضي الى ناس يكثرون من الكلام فيشوشون عليك واما انا فاني مثل اسمي صامت ولا اكثر الكلام وكذلك ضيوفي لا يتكلمون كلاماً كثيراً فاذا توجهت معي اليهم تأنس بي وبهم في هذا اليوم في منزلي واني خائف عليك من الذين انت قاصدهم ربما يكون فيهم واحد فضولي فيوجع رأسك وانت قد صغرت روحك من هذا المرض فقلت له غير اليوم فان مرادي امضي الى اصحابي وامض انت الى اصحابك فقال هذا النحس معاذ الله يا مولاي ان اتخلى عنك وادعك

تمضى وحدك فقلت له يا هذا ان الموضع الذى انا ماض اليه لا يحتمل
احدا يدخله غيرى فقال لى يا مولاى اظنك اليوم فى ميعاد واحدة من
احبابك واصحابك تريد الخلوة معها لاجل الحظ والخلاعة والانس
والمنادمة والا كنت تأخذنى معك وانا احق من جميع الناس واساعدك
على ما تريده وانا خائف ان تكون امرأة اجنبية مخادعة تحتال عليك
وتفعل معك شيأ يروعك فان مدينة بغداد ما يقدر احد ان يعمل
فيها شيأ ووالى بغداد جبار وربما يصدفك معها او يخبره احد بك
فيرمى رقبتك فقلت له يا اخس الناس يا منحوس ايش هذا الكلام الذى
تقابلنى به وقد ملأتنى غيظا وها هو قد جاء وقت الصلاة فلم يزل يلح
علىّ حتى فرغ من حلق رأسى فقلت له الآن امض الى اصحابك بهذا الطعام
وانا منتظرك الى ان تعود وتمضى معى ولم ازل اداهنه واخادعه
وهو يقول لا امضى الا معك ولا ادعك تروح وحدك حتى حلفت له
انى انتظره الى ان يعود وامضى انا واياه فاخذ جميع ما اعطيته له
وخرج من عندى ثم انه ارسله مع حمال الى منزله واخفى نفسه فى بعض الازقة
واما انا فقد قمت من وقتى وساعتى وقد سلم المؤذن وضاق الوقت
فلبست ثيابى وسرت مسرعا وحدى الى ان اتيت الزقاق ووقفت على الدار
التى رأيت فيها الصبية وهذا التعيس المزين خلفى ولم اشعر به فوجدت الباب
مفتوحا فدخلت فوجدت العجوز واقفة خلف الباب تنظرنى فطلعت
الطبقة التى فيها الصبية فلم اشعر الا وصاحب الدار قد عاد من الصلاة
ودخل القاعة واغلق الباب فاشرفت انا من الطاق ورأيت هذا المزين
المنحوس قاتله الله قاعدا على الباب فقلت فى نفسى انا لله وانا اليه راجعون
من اين علم هذا النحس بى حتى ساقه الله تعالى الى لهتك سترى ثم ان صاحب
الدار ضرب جارية من جواره فاتى العبد يخلصها فضرب العبد فصاح
العبد فاعتقد هذا الكلب المزين الخبيث انه يضربنى فصاح ومزق ثيابه
ووضع التراب على رأسه وصار يقول قتل سيدى فى بيت القاضى واسيداه واسيداه

فاقبل اليه الناس من كل جانب وهو يصيح ثم مضى الى دارى والناس
خلفه واعلم اهلى وغلمانى وقال لهم سيدى قتل فى بيت القاضى فجاؤا
صارخين راخين الشعور وهو يصيح قدامهم الله ينصر السلطان
القاضى قتل سيدى فسمع صاحب الدار ضجة الخلق والصراخ والعياط
والناس يقولون له تقتل فى دارك اولاد الناس والمزين يقول
واقتيلاه واسيداه فخرج وفتح الباب والناس يصيحون فى وجهه
وهذا النحس يقول الله ينصر مولانا السلطان فقال يا قوم ما هذه
القصة فقال له المزين تقتل سيدنا فى دارك وتسألنا ما هى القصة
فقال له القاضى واين سيدك حتى اقتله فقال له هذا الخبيث
المزين انت ضربته بالمقارع وصار يصيح والآن ما بقى له حس
وسبب ذلك انك قتلته فقال له القاضى ومن ادخل سيدك فى دارى
بغير اذنى فقال له انه عاشق بنتك وقد دخل لها وانت فى صلاة الجمعة
حكم الموعد الذى اوعدته به فلما جئت ورايته ضربته وقتلته وما بقى
يفرق بينى وبينك الا السلطان او تخرجه من بيتك فى هذه الساعة
فقال له القاضى وقد اعتراه الحياء والخجل من الناس ان كنت صادقا
ادخل انت واخرجه فنهض هذا الكلب المزين النحس الشقى ودخل الدار
فلما رايته طلبت طريقا اخرج منها او موضعا اهرب فيه فلم اجد غير
صندوق كبير فدخلت فيه ورددت على الغطا وقطعت الحس
وكتمت النفس فالتفت هذا النحس الشقى الخبيث المزين فلم ير غير الصندوق
فى المحل الذى كنت فيه فاتى اليه وحمله على راسه وقد غاب عقلى وخرج به
مسرعا فلما علمت انه لا يتركنى حملت نفسى ورميت روحى من الصندوق
الى الارض فكسرت رجلى وخرجت فرايت خلقا على الباب مثل التراب
فصرت انثر الدنانير على رؤسهم فالتهوا عنى فحملنى غلمانى وعبيدى
على عواتقهم وصاروا يجرون بى فى ازقة بغداد وهذا النحس المزين
يجرى خلفى ويقول الحمد لله يا سيدى الذى خلصتك من القتل وانا وراءك

لا تخاف وما كان لك حاجة بعشق بنت القاضي وعشق النساء صعب
وصار يشنع علي في الاسواق ويهتكني بالكلام الى ان ادخلني غلماني
في خان فقلت للبواب بالله عليك امنعه عني فقام عليه البواب والغلمان
وطردوه ومنعوه وقد زهقت روحي واشرفت على الهلاك واحضرت
فقيهًا وكتبت وصيتي وارسلتها الى اهلي واخذت معي بعضًا من غلماني
وجانب دراهم وسافرت من بلدك بغداد وما دخلت منزلي من الفضيحة
التي حصلت لي بسبب هذا الكلب وحلفت لا اسكن في بلدة فيها هذا
التعيس المزين فلما جئت الى بلدكم هذه احضرت لي طبيبًا وصار يداويني
حتى شفاني الله تعالى وحمدت الله على ذلك لكن حصل لي من ذلك الكسر عرج
فهذا اول يوم خروجي من منزلي وقد لاقيتني ودعوتني الى وليمتك
فلما رأيت هذا الشقي جالسًا عندكم ما طاب لي الجلوس ولا الاكل
وانما اسأل فضلكم ان تسمحوا لي بان اخرج من عندكم لاجل خاطر هذا
المنحوس وهذه يا جماعة قصتي قال فالتفتوا اليه وقالوا له هل الكلام
صحيح فرفع رأسه وقال نعم وهو يحمد الله الذي سخرني له فخلصته وانكسرت
رجله فان كسر رجله اولى من ضرب عنقه فانا قد عملت معه هذا الجميل
لله تعالى فقال له الجماعة الحاضرون قاتل الله الابعد قد هتكت الشاب
وغربته عن اهله وفضحت قاضي بغداد ثم انهم نهروه وشتموه واخرجوه
من عندهم واكرموا الشاب اكرامًا زائدًا وتعجبوا مما فعله معه هذا
النحس المزين وتفرق كل منهم الى حال سبيله * وفي الغالب ان كثرة الكلام
عند ارباب هذه الصناعة عادة معروفة وطبيعة جبلية توجد في كبيرهم
وصغيرهم لكن هذا النحس قد زاد في الثقالة والرذالة وعدم الذوق *
ومن المناسبة لذلك ما قاله العلامة القليوبي في نوادره وهو ما يحكى
عن الفضل بن الربيع انه قال لي الرشيد يومًا اطلب منك حجامًا اسكت
من الحجر فقلت له ان لي غلامًا عاقلًا اديبًا ظريفًا ذا سكينة ووقار
وله معرفة تامة فقال ابعثه الي فبعثته اليه واكدت عليه انه يلزم السكوت

مع الادب ولا ينطق بشئ وان يتأهب احسن اهبة واكدت عليه
ثم بعد ذلك دخلت على الرشيد فوجدته عبوسا منقبضا فقال يا فضل
ان لذلك الغلام شأنا وانا لا نراه ابدا بعد اليوم ثم اني سألت فراشا
مختصا به عن خبره فقال يا فضل لما اتى الحاجم جئت به الى امير المؤمنين
لاخراج الدم فلما بدأ بالحجامة قال يا امير المؤمنين اني اسئلك عن شئ فقال
له ما هو قال قدمت محمدا على المأمون والمأمون اسن منه فقال له اخبرك
به اذا فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال واسألك يا امير المؤمنين عن شئ آخر
فقال له ما هو قال لم قتلت جعفر بن يحيى البرمكي فقال له اخبرك به اذا
فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال واسألك عن شئ آخر فقال له قل فقال
لم اخترت الرقة على بغداد وبغداد اطيب منها فقال له جوابك عن ذلك
اذا فرغت فلما فرغ دعا مسرورا خادمه وقال له لا تشرب الماء البارد
قبل ان تقتله فانه سألني عن ثلاث مسائل لو سألني عنها المنصور ما اجبته
قال الفضل فبينما انا جالس اذ دخل ابو دلامة على الرشيد باكيا وقد تواطا
مع ام دلامة انه يدخل على الرشيد وهي تدخل على زبيدة فلما مثل
بين يديه بكى وانتحب فقال له الرشيد ما بالك تبكي فقال

وكنا كذي زوجين قطا في مفازة * من الانس في عيش رخي وفي رغد
فافردنا ريب الزمان بصرفه * ولم ار شيئا قط اوحش من فرد

ثم اعلن بالنحيب والعويل وقال يا امير المؤمنين ماتت ام دلامة
وانا محتاج الى تجهيزها فامر له بمال وكانت ام دلامة قد دخلت على
زبيدة وهي باكية فقالت لها زبيدة ما بالك فقالت ان ابا دلامة
مضى لسبيله فاعطتها مالا تتجهز به وذهبت فدخل الرشيد على زبيدة
وهو مغضب من اسئلة الحجام وموت ام دلامة فقالت له زبيدة
يا امير المؤمنين ما لي اراك حزينا فاخبرها الخبر فضحكت وقالت
الآن خرجت ام دلامة من عندي لتجهيز ابي دلامة فضحك هو ايضا
وقال والآن خرج من عندي ابو دلامة لتجهيز ام دلامة قال الفضل

فخرج علينا الرشيد مسفرا مستبشرا مستغرقا فى الضحك فعجبت منه
كيف دخل حزينا وخرج مسرورا فاستخبرته فاخبرنى بما حصل فشفعت
حينئذ فى الحجام فقبل شفاعتى واطلقه واستحضر ابا دلامة وقال له ما حملك
على هذا فقال له يا امير المؤمنين لكى يقال انه لا يتوصل الى عطاء امير
المؤمنين الا بالحيلة وضحكا جميعا من ظرافة حيلتهما * وقد علمت
ان المزينين اقل الناس عقولا وافسدهم رايا فلا ينبغى لعاقل ان
يطلعهم على اسراره ولا يشاورهم فى امر من اموره فانهم لا يحفظون
الاسرار ولا يكتمون الاخبار فالاولى اجتنابهم وعدم الركون اليهم
واذا احتاج الانسان الى المشاورة فليشاور حكيما عليما خبيرا قد جرب
الامر فان المشاورة مطلوبة شرعا * قال العلامة الباعيثى فى تفسيره
امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة اصحابه وهو غنى عنها فقال تعالى وشاورهم فى
الامر وهو تشريع للامة وقد اثنى الله على عباده بالمشاورة فقال تعالى وامرهم
شورى بينهم * وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كانت امراؤكم خياركم
واغنياؤكم سمحاءكم وامركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها
واذا كانت امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم وامركم الى نسائكم فبطن الارض
خير لكم من ظهرها رواه الترمذى عن ابى هريرة وانشد ابو القاسم الحبيبى قال انشدنى
ابو عثمان   اذا كنت فى حاجة مرسلا * فارسل حكيما ولا توصه
وان باب امر عليك التوى * فشاور حكيما ولا تعصه) ونص الحديث الى اهله * فان الامانة فى نصه
اذا المرء اضمر خوف الاله * تبين ذلك فى شخصه (وانشد ابو القاسم الحسن قال انشدنا
ابو بكر محمد بن المنذر قال انشدنا ابو سلمة المؤدب (شاور صديقك فى الخفى المشكل *
واقبل نصيحة ناصح متفضل   فالله قد اوصى بذاك نبيه * فى قوله شاورهم وتوكل)
وقال يحيى البرمكى ثلاثة تدل على عقول الرجال الهدية والكتاب والرسول *
وسمع ابو الاسود الدؤلى رجلا يقول   اذا كنت فى حاجة مرسلا * فارسل حكيما ولا توصه
فقال قد اخطا قائل هذا البيت ايعلم الرسول الغيب وان لم توصه انت فكيف يعلم
ما فى نفسك ثم انه قال   اذا ارسلت فى امر رسولا * فافهمه وارسله اديبا

ولاتترك وصيته بشئ * وان هو كان ذا عقل اديبا) فان ضيعت ذلك فلا تلمه * على ان لم يكن علم العيوبا
ثم ان الناظم عرج على مشايخ الكفر باسمائهم فقال

ح * (ويجلس بجنبي ابن جروو وكل خره ❀ وابن كل النضيف وضيف) *
*(وابن فسا التيران وابن حر الحس ❀ وقلوط والزبله وابن كنيف) *

ش قوله (ويجلس بجنبي) اى هؤلاء المشايخ يعني مشايخ بلد الناظم الذين افتخر بذكرهم واجرى اسماءهم على لسانه والمعنى انه يقول اذا نزلت من المدينة وانا مكسي لبدة وشدا مسنيرا وانا كما الكلب المتقدم ذكره واتى الى مشايخ البلد المذكور وجلسوا بجانبي وهم ثمانية رجال الاول (ابن جروو) الثاني ابن (كل خره و) الثالث (ابن كل الصك النضيف) اى المتراسل بعضه اثر بعض حتى يخلي القفا مثل علم سيدي احمد البدوي مثلا وقيل الصك النضيف شرطه ان يكون من رجل شديد ويكون قفا الشخص مصلحا خاليا عن شئ يمنع عنه الصك بالاقلاو ويرسله بالصك بسرعة وعجلة حتى يحمر قفاه فعلامة نضافة الصك احمرار القفا وورمه * حكى ان ابا نواس نادم امير المؤمنين هارون الرشيد ليلة فانعم عليه بجاريه وامر بحملها معه وقال لها اذا طلب منك الحاجة صكيه وكلما اراد الحاجة زيديه من الصك فلما وصل الى منزله واراد منها الفعل نزلت فى قفاه ركا وهكذا الى الصباح فلما اصبح اتى الخليفة وهو فى غاية ما يكون من الالم لا يقدر ان يلتفت يمينا ولا شمالا فقال له الخليفة كيف كانت ليلتك يا ابا نواس مع الجارية فقال له يا امير المؤمنين كانت طيبة الا ان مولانا عودها عادة قبيحة فضحك منه وانعم عليه بمال وغيره * وقوله (وضيف) هذا فعل امر على لغة اهل الريافة فى كونهم يثبتون حرف العلة فى فعل الامر كقولهم فى قم قوم بالواو وفى ضف ضيف بالياء وفى نك نيك بالياء والمعنى انه يقول له ضف الصك على الصك اى جعله متتابعا لا ينقطع بعضه عن بعض حتى لكثرته يصير كانه ضربة واحدة فان للمضاف والمضاف اليه كالشئ الواحد ويحتمل ان يكون قوله وضيف من الضيافة واتى به لتمام البيت (و) الرابع (ابن فسا التيران) سمي بذلك لان اباه كان انقطع مدة فى دار لمرض اعتراه وهو كثرة الفساء فاتخذ له محلا بين التيران يسمى طوالة وصار يفسي فيها

ليلاً ونهاراً فصار كلما شم احد رائحته يقول له ما هذا فيقول فسا التراب
فسمي بذلك (و) الخامس (ابن خرا الحس) سمي ابوه بذلك لكثرة لحسه من
الجلة وهو صغير وقيل قلع عرقيته ووضعها على الارض وصار يخرا فيها
حتى ملاها وصار يلحس من حواليها فسمي بذلك (و) السادس (قلوط)
مشتق من القلط على وزن الضرط والهلط يقال فلان غلط قلوطه
بمعنى انه شبع من الرزق وبقي في الكفر عظيم الامر يجلس مع النصراني ركبه
بركبه ويلبس اللوطا الاحمر والشد المشنبر (و) السابع من مشايخ البلد
(الزبله) سمي بذلك لانه كان في صغره مشغولاً بلم الزبل من محل مرعى الغنم
ومن السكك والكيمان وبيعه وكان هذا سبباً لسعادته وكان بينه وبين قلوط
صداقة في البلد فكان قلوط دائماً فيها لا يفارقها والزبلة تارة يسافر
وتارة يقعد فيها وكان قلوط هذا في وسطها سواء بسواء والزبله في طرفها
وكانوا بها دون بعضهم بعضاً وبينهم محبة ومودة واتحاد غالباً ومناسبة
لان الزبلة قريبة من القلوط وان كان القلوط ارفع منها لكن ابن خرا
الحس اعظم واكبر من الكل واشهر من الجميع ولذلك اذا ناديت احداً منهم
في البلد يغلب لسانك الى خرا الحس وتخجل في وجهك * ومن النوادر ان
بعض الولاة من المغفلين قال لكاتبه اكتب لفلان واغلظ عليه وقل له يا خرا
افعل كذا وكذا فقال له الكاتب يا مولاي لا يصلح هذا الكلام لهذا الرجل العظيم
القدر لانه من ارباب العظمة فقال له حيث كان الامر كذلك الحس موضع الخرا
بلسانك ولا تخل فيه اثراً (و) الثامن (ابن كنيف) وكان شهيراً موصوفاً معروفاً
يقصده جميع الناس من كل جهة ويقابلونه بوجوههم يتعاطى مصالح البلد
وكان نديماً لقلوط وابن خرا الحس الا ان ابن خرا الحس كان محجوب ابن كنيف
في الصغر فلما كبر صار ابن كنيف نديماً لهذه الجماعة المذكورين ولا يستغنون
عنه كما قال بعضهم مواليا (وطواط عشق خنفسا وصبح بها مجحوب * وبنا لها قصر حوابيت خلا
من طوب * وحضر النقل والمأكول والمشروب * ما للنديم الخرا الا الذي المحبوب * ثم ان الناظم لما تمنى
ان يجتمع عنده هؤلاء الجماعة يحصل له بهم السرور ويفرح وينشرح بهذه اللمة عنده قال

ص *(وافرح بالنعمه وينشرح خاطري * وهذا مرادي يا ابن بنت عريف)*
ش هذا كله خطاب لابن بنت عريف المتقدم ذكره اي انه يرجو من الله ان يبلغه
مناه من سرقة الزرابين المتقدمة ويمن عليه حتى ينزل من المدينة بلده وكرم مشتهر
ويكون له مقام في البلد ومقال بين الناس ويجتمع عليه شيوخ البلد المتقدم ذكرهم
ولا يحتاج لاعادتهم فان الاعادة ليس فيها افادة وقد عرفت اسماءهم باللفظ والذوق
ويتلخص القول ان الناظم يقول ان حصل لي هذا فهو غاية مطلوبي ومرادي من الدنيا
ونهاية مرغوبي من اللذات فاني قد كبرت والزوجة صارت عجوزا عقيما واذا من الله تعالى علي
بما طلبته يبقى رزقي وامراتي على الله تعالى فانه رزاق كريم يرزق الطائع والعاصي والبر والفاجر
وانا على حد قول القائل (يا من طلب رزق ونالو * روحي في رزق امراتي)
(قم في الدجا سرح ذقنك * لابد لك من خرآتي) او انه اختص بالطالب لنفسه وقال لعقله المرا
تاكل خرا والف دقن ولا دقني (ثم انه ختم كلامه بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال

ص *(واختم قصيدي بالصلاة على النبي * نبي عربي مكي شريف عفيف)*
ش قد اقتدى الناظم بالحديث الشريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب
لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومثل الكتاب النظم وغيره وفي الشفا
لابن سبع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اكثروا من الصلاة علي فانها تطفئ غضب الرحمن
وتوهن كيد الشيطان والاحاديث الواردة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة
وبالجملة فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مسنونة عقب الدعاء وقال الشيخ الملا في شرح ام البراهين
ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة من كل مؤمن ودليل ذلك ما روي ان جبريل
عليه السلام قال للرسول صلى الله عليه وسلم ان من الاعمال مقبولا ومردودا الا الصلاة عليك
فانها مقبولة * وقد ذكروا ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخلها رياء فهي مقبولة بلا شك
وقد روي ان الدعاء موقوف بين السماء والارض حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
في ابتدائه وفي انتهائه الى آخره قال وروي عن ابي بكر رضي الله عنه ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
امحق للذنوب من الماء البارد وان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم افضل من عتق الرقاب في مقابلة
العتق من النار ودخول الجنة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مقابلة سلام الله تعالى على اهل
الجنة فناهيك بها من منة قال في كشف الاسرار * وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا

من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله
كيف نقول قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى اله وصحبه وسلم
وان كان رواه الدارقطني وحسنه العراقي كما في مسالك الحنفاء وذكره السيوطي
مقيدا له بكونه بعد العصر والله اعلم *

(خاتمة)

* في ذكر نوادر متفرقة
نختم بها الكتاب وان كان قدم منها البعض استطرادا لمناسبة الكلام لبعضه آنفا
(قيل) تزوج بعضهم بامرأة مات عنها خمسة ازواج فلما مرض هذا السادس
صارت تبكي وتقول الى من تكلني بعدك فقال لها الى السابع الشقي (ويحكى)
ان بعض اللطفاء كان يكثر من الشراب سرا وكان عليه حجر من ابيه فبلغ والده ذلك
فما زال يتتبع اخباره الى ان رآه ومعه زجاجة ملآنة من الخمر فمسكها وقال له ما هذا
فقال له هذا لبن فقال ويحك اللبن ابيض وهذا احمر فقال الولد صدقت
انه كان ابيض فلما رآك خجل واستحى واحمر ولعن الله من لا يستحي فخجل ابوه وتركه وانصرف
(وحكى) ان بعض الظرفاء كان اذا غضبت زوجته بادر الى رفع رجليها واشتغل
بنكاحها فقالت له يوما انا كلما يشتد غضبي عليك تأتيني بشفيع معك لا استطيع رده
(وقيل) دخل رجل مجنون على قاض وهو ماسك ايره وقال السلام عليكم ورحمة الله
فقام القاضي وكشف عن استه وادارها الى المجنون وقال وعليكم السلام قال الله تعالى
واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ما لهذا السلام الا هذا الرد (وحكى)
ان الاصمعي قال كنت يوما عند الرشيد فقال لي من عندك يؤانسك فقلت له
ليس عندي احد فلما ذهبت الى منزلي ارسل لي جارية بديعة الحسن والجمال آنستني
بكلامها وابهرني عذب اقتراحها من بدائع الحركات المطربة المهيجة لسواكن الشهوة
التي توقظ النائم وتنعش الفؤاد فلاعبتها ولاعبتني حتى مالت نفسي اليها ورغبت
في الركوب عليها وخلعت ثيابي وسألتها ان تخلع ثيابها فخلعتها وهي تتنفس
تنفس السقيم وتأخذ القلوب بكلامها الرخيم ولبسنا ملابس الشراب واحضرنا
المآكل والمشارب واكلنا وشربنا وتفكهنا واردت ان اهم فاعتراني من الفتور
وعدم الانتصاب ما كدر خاطري وافسد علي ليلتي فتحيرت في امري وصرت
لا ادري ماذا افعل فاكثرت من ملاعبتها حتى صارت تقلب ايري بيدها فلم يزدد الا فتورا وارتخاء

وحصل له انكماش حتى صار كالميت الذي لا حركة فيه فعظمت حسرتي وصرت منها في حياء وخجل فلما آيست منه قالت يا سيدي دع ايرك فما لنا فيه حيلة ولا ينفع فانه ميت ثم قامت وقالت لي نم على ظهرك حتى اغسله واكفنه فخجلت منها ولم اقدر اخالفها ونمت لها كما طلبت فمسكته بيدها وغسلته وكفنته بمنديل ثم قالت لي قم صل عليه فقمت وانا في غاية الخجل فتوضأت وصليت الصبح وسرت من وقتي الى الرشيد فقال لي ما خبرك فقلت له يا امير المؤمنين حكايتي غريبة واخبرته بما حصل لي معها فضحك حتى استلقى على ظهره وقال لي نحن احوج اليها منك لصغرها وفطانتها فاخذها مني وعوضني جارية غيرها وعشرة آلاف درهم وحظيت عند الرشيد وسميت من يومها بالاصمعية (وقيل) كان رجل نحوي اسمه زيد فرأى غلاما اسمه بكر فلما اختلى به قال له يا ولدي حرك الاير حركة الاعراب فانه فاعل بلا ارتياب ومد الى استك كالمد المتصل واجعل الهمزة آلة لئلا ينفصل واطال الكلام في هذا المعنى فدخل عليه رجل يسمى عمرا فصك زيدا وقال له اعرب ضرب عمرو زيدا فقام الولد وهو يجري ويقول واعرب وخرج بكر هاربا (وقيل) مرض رجل نحوي وكان بعيدا عن اهله فرأى غلاما يعرفه من اولاد جيرانه فقال له امض الى اهلي وقل لهم ان فلانا قد اصابه داء او وجع ركبتيه وآذى خصيتيه واسقم بشرته وزاد علته واسهر مقلته واجرى عبرته وصار يكثر على الغلام من هذا الكلام فقال الغلام يا سيدنا اقتصر انا اقول هلك قديما ولا يحتاج لهذا الكلام (وقيل) احتضر بعض البخلاء فقال له ولده اوصني فقال اذا جلست على مائدة الاكل وتكلم معك انسان فلا تزد على قول نعم ولا تكررها فانك اذا كررتها ثانية فاتتك مضغة ثانية بتحريك فمك بها (وقال بعض الطفيلية) اذا طلعت الشمس على الفقير ولم يتغد نادى مناد من سماء سقف حلقه الصلاة على جنازة الغريب (وقيل) جاء رجل الى امرأة بلحم فقال لها اطبخي بعضه فانه ينفع البطن واقلي بعضه فانه ينفع الظهر واشوي بعضه فانه ينفع الجماع فقالت له يا رجل ما عندنا قدر ولا حطب والاولى اننا نشوي الجميع (ووقف بعض النحاة) على قصاب وقال له هذا اللحم

من الضأن الفتي او من المعز الثني فقال له القصاب هو من خيار الضأن
قال له النحوي اذبحته لغرض ام لمرض فقال له حتى اتبلغ انا وعيالي منه
قال النحوي اكان ذكراً ذا خصيتين ام انثى ذات حلمتين قال له الجزار كان ذكراً
ينطح الحائط برميه قال النحوي اكان يمج الماء بشدقيه ام يمصه بشفتيه
قال كان يدلي زلومته في الماء ويشرب حتى يشبع قال النحوي اكان رعى الشيح
والبعيثران ام العصف والريحان قال كان يرعى من نبات الارض كله قال له النحوي
امتنت شفرتك وحددت مديتك قال جعلتها لو وقعت على رقبة الابعد قطعتها
قال النحوي ابدأت بالبسملة واظهرت الحيعلة التي هي على وزن فيعلة على قول
بعضهم وقال بعضهم هي على وزن فعللة والصحيح الاول فقال القصاب الغلام
هات الجلد حتى اقطعه على اكتاف هذا النحس الذي عطلنا وقطع رزقنا فلما سمع
النحوي منه ذلك شتمه وهرب (وحكي) ان بعض الظرفاء امتدح بعض
الرؤساء بقصيدة فرسم له ببرذعة حمار وحزام فاخذهما على كتفه وخرج
بهما فمر به بعض اصحابه فقال له ما هذا قال انني مدحت مولانا الامير بقصيدة
من احسن القصائد فخلع علي خلعة من احسن ملابسه فبلغ الامير ذلك فضحك
وارسل له خلعة واجازه بجائزة حسنة (وحكي) عن الاصمعي انه قال
رأيت بالبادية جارية حسناء وعلى خدها خال اسود فقلت لها ما اسمك
قالت مكة فقلت ما هذه النقطة السوداء قالت الحجر الاسود فقلت لها
قصدت ان اطوف بالبيت واقبل الحجر الاسود فقالت هيهات لم تكونوا بالغيه
الا بشق الانفس فاخرجت لها صرة فيها بعض دنانير وناولتها اياها فقالت
ادخلوها بسلام آمنين ان شئت فقبل الحجر الاسود وان شئت ادخل الركن
قال فاذهلني حسنها وجمالها (قيل) سافر رجل مع جماعة وفيهم امرأة جميلة
ومعها ولد جميل فزنى الرجل بالمرأة ولاط بالولد فقالت المرأة للولد اعرفه
فلعلنا ان رجعنا نظفر به ونعرض امره على الحكام فقال لها الولد اما انا
فكان ظهري لوجهه واما انت فكان وجهك لوجهه فمعرفتك له ابلغ من معرفتي اياه
(ومات مجوسي) وعليه دين وترك ولداً له داراً فقال بعض غرمائه اثبت لولده

9673

لم لا تبيع دارك وتسدد دين ابيك وتخفف بها عنه فقال لهم الولد اذا بعت داري وقضيت دين ابي هل يدخل الجنة فقالوا لا قال دعوه في النار وانا في الدار (وقال المأمون) ليحيى بن اكثم وهو يعرض له من الذي يقول هذا البيت

قاض يرى الحد في الزنا ولا * يرى على من يلوط من باس

فقال له القاضي يحيى او ما يعرف امير المؤمنين من قاله قال لا فقال يحيى هو من قول الفاجر احمد بن ابي نعيم الذي قال

اميرنا يرتشي وحاكمنا * يلوط والراس شر ما راس
لا ارى الجور ينقضي وعلى الامة وال من بني العباس

فافحم المأمون وسكت خجلا (وارسل بعض المغفلين الى صديق له هذه الابيات

اذا ما ذكرتك يا منيتي * يسيل المخاط على لحيتي
وليتك عندي اذا ما خريت * تكون لسانا في ثقبتي
نسيمك عطر ماء السما * واورثني الويل في ركبتي
اذا لم تزرني انا مدنف * فان الهوى سهل معدتي

ومما ينسب للحريري رحمه الله تعالى

صديقك في هذا الزمان منافق * وخلك خل دعه واحذر بوائقه
ونافق فقد آن النفاق ولا تخف * كسادا فاحوال المنافق نافقه
وعرص وقد واظلم وبالفحش فافتخر * فما رفعت دنياك حرا ولا ثقه
وما فيك غير الدين عيب ولن ترى * بدهرك الا ملحدا وزنادقه

ومثل ذلك قول الابوصيري الاديب عفا الله عنه

ستة في الهوى فعلهم * بعد الموت بهم تذكر
تمخول وعرص وافسق * وغن وقامر واسكر

ونختم هذا الكتاب بابيات * من بحر الخرافات * فنقول

تم كتاب الهلس والتخريف * وما جرى في وصف اهل الريف
جعلته جزءين باختصار * فجاء كالزبلة في التيار
لكنه مع ثقل المعاني * وخبط عشوى يا ذوي العرفان
ولفظه الكثيف في المقال * وحشوه مسائل الهبال
ابحاثه جاءت كما الحس الخرا * يا وجه الاصحاب حقيقا لامرا
فليس يخلو جمعه من فائده * من نكتة او قصة مشاهده
واصل ما الجاني لفصله * وشرحه ونسخه ونقله
العارف الحبر وحيد الدهر * وعالم الاسلام زاكي الفخر
شيخ امام مصدر الطلاب * وروضة العلوم والآداب

ومعدن الجود مع المطلوب * اعنى الامام احمد المسند
جزاه رب العرش جنات النعيم * مع النظر لوجه مولانا الكر
والله يرحم من قرا كتابى * هذا ويرشده الى الصواب
ومن رأى فيه عيوبا وخلل * وسدها فالشخص معدن الزل
ولا تلمنى فالسماح افضل * واعذر اخاك مكرها يا بط
والحمد لله على التمام * ثم صلاة الله مع سلام
على النبى الهاشمى احمدا * والآل والاصحاب انجم الهدى
ما غردت ساجعة الاطيار * او لاح برق فى دجا الاسحا

وكان طبع هذا الكتاب * المنظوم فى سلك كتب المفاكهة
بين الاصحاب * على ذمة المطبعة السعدية * الكائنة
بثغر الاسكندرية * مصححا على اصله المطبوع
مع زيادة الدقة من مصححه الفاضل *
النحرير الصالح الكامل * حضرة مولانا
الشيخ محمد يحيى السعدى فجاء بحمد الله
يفوق فى الصحة عن اصله * وناهيك
بالثقة فى مصححه الرئيس وفضله *
وذلك فى غرة شهر الله رجب
من شهور سنة ١٢٨٩ هجرية *
على صاحبها الصلاة
والتحية * ما لاح بدر
تمام * وفاح
مسك
ختام
م

1872

VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

32101 076413192